

مسرحیات شکسپیر

جامعة الدول العربية

المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم – القاهرة

الملك هنرى الرابع

الجزآن الأول والثانى

ترجمة

الأستاذ مصطفى طه حبيب

مراجعة

الأستاذ محمد شفيق غربال الأستاذ محمد بدران

الطبعة الثانية

دار المعارف

مقدمة

ألف شكسبير مسرحية هنرى الرابع عقب فراغه من تأليف مسرحية ريتشارد الثانى مباشرة. ومن ثم فإن صلة تاريخية تربط بين المسرحيتين، ذلك أن الجزء الأول من هنرى الرابع يبدأ فوراً فى أعقاب ريتشارد الثانى. بل ما أكثر ما يشير ذلك الجزء إلى أحداث تلك المسرحية. وهكذا فإن الانتظارات والآمال التى تضمنها الجزء الأول من هنرى الرابع نراها كامنة ماثلة فى ريتشارد الثانى. ولما كان شكسبير قد ألف ريتشارد الثانى عام ١٥٩٦ فالمرجع الذى يرقى إلى مرتبة اليقين أنه كتب الجزء الأول من هنرى الرابع عام ١٥٩٧.

وكانت المسرحية قد أطلق عليها أولاً تاريخ هنرى الرابع فى جميع طبعاتها الأولى. - وقد وضح الاختلاف بين كل الطبعات الأولى وبين الجزء الثانى عندما صدر الجزآن معاً لأول مرة فى طبعة الفوليو عام ١٦٢٣) - ولم تكن القصة فى طبعتها الأولى تدور حول تاريخ هنرى الرابع ليس غير، فإنه يبدو أن شكسبير عندما كتب هذه المسرحية إنما كان مشغول الفكر بمسائل هامة أخرى. وبما أنه قد أردف الجزء الأول من المسرحية بالجزء الثانى منها وبمسرحية هنرى الخامس، فإنه يتضح أنه كانت تدور فى خلدته فكرة تأليف سلسلة من المسرحيات التاريخية تستمد أصولها من تاريخ حرب الوردتين وتكون مشابهة أيضاً لسلسلة المسرحيات التاريخية التى دارت حول هذه الحرب نفسها - وهى مسرحية هنرى السادس بأجزائها الثلاثة ومسرحية ريتشارد الثالث التى كان شكسبير قد ألفها قبل ذلك ببضعة أعوام. غير أنه بالرغم من أن الأسباب الرئيسية التى ثارت من أجلها المنافسة بين النيبيلين لانكستر ويوروك واحتدمت، والتى نراها فى خلع ريتشارد الثانى، فقد كانت النتائج المربعة. التى أسفرت عنها تلك المنافسة والتى كان أسقف كارلزل قد تنبأ بها (ريتشارد الثانى فى فصل ٤ البيت الأول) - كانت هذه الآثار قد أسدل عليها ستار من النسيان والزمن الطويل. كما أن الحرب لم تتشب لمدة نصف قرن وطوال هذه الفترة كان يسيطر ذلك الشبح البطولى لهنرى أمير مونماوث منقذ وطنه ومحرره، (أو على الأقل منقذ عرش أبيه) باعتباره أمير ويلز، ثم باعتباره الملك هنرى الخامس فاتح فرنسا وغازيها، والذى تحاشى طوال سنى حكمه ما قد يمكن أن يسفر عنه عدم ولاء رعاياه له. وحول شخصية هنرى هذه تدور مسرحية هنرى الرابع بجزأيه ومسرحية هنرى الخامس. بل إن هذه القصة ليست مأساة تراجيدية مؤسية بل هى قصة بطولة انتصارية الخاتمة والنتائج، فضلاً عن ذلك فقد تطلبت من شكسبير نهجاً مختلفاً عن نهجه ذاك الذى نراه فى مسرحية ريتشارد الثانى.

فالأمير هال إذن، هو المركز الحقيقى والشخصية الرئيسية فى الجزء الأول من مسرحية هنرى الرابع، كما أنه هو وحده الشخصية الأكثر نشاطاً بين جميع عناصر الحكمة المسرحية.

وإن إصرار شكسبير على أن يقدمه فى مسرحيتين (الجزء الأول من هنرى الرابع ومسرحية هنرى الخامس) بدلا من أن يقدمه فى مسرحية واحدة، لدليل على أنه كان إصرارًا يستند على ذلك الفيض من القصص بل الأساطير التى راجت عن شبابه العاثر وهى القصص والأساطير التى امتلأت بها كتب التاريخ.

وهذا الأمير الشاب، بطل معركة أنجكورت الذى كان أكثر ملوك إنجلترا فى العصر الوسيط تدينًا وتمسكًا بتعاليم المسيحية – أضفت عليه كتب التاريخ شابًا عابثًا مستهترًا ضاع بين قرناء السوء. ولكن الأمير خلع كل هذا عنه لحظة دُعِيَ إلى تولى العرش. والمرحلة الأولى من هذا التطور الغريب هى موضوع هذه المسرحية.. وهى بذلك تعد مقدمة للرؤيا المجيدة التى نراها عندما أصبح هذا الشاب هنرى الخامس بكل أمجاده.

ومع أن الفرق بين هذا الأمير الشارد وبين ذلك الملك العظيم ماثل أمامنا فى هذه المسرحية كما هو ماثل فى مسرحية هنرى الخامس، إلا أنه مجرد فرق فى المظهر وليس فى الحقيقة. أما بالنسبة لشكسبير فإن هذا الأمير هو عينه ذلك الملك. والفرق عنده ليس بين أمير سيئ السيرة وملك طيب، ولكنه بين حقيقة الأمير وطبيعته وبين سمعته، بين ما يفعله الأمير عندما يدعوه الواجب إلى تأكيد نفسه وبين ما قد يفعله أو يكون عليه مظهره عندما يكون يُضَيِّع وقته سدى. ومن هنا فليس ثمة إصلاح حقيقى. فإن الأمير يعرف دائمًا ما هو صواب وهو يفضل على سواه. ولكن المظاهر وحدها هى التى تقف ضده. وللتوفيق بين هذين النقيضين فإن شكسبير يعمد إلى تفسير يخالف القواعد السيكلوجية كل المخالفة فيقول إن الأمير كان يعتمد انتظار أحسن الفرص لعلها تسنح فيظهر للناس من أى معدن كان ولكنه اكتفى بهذا القدر. ولكن الواقع أن المسرحية ضمناً، تقدم سبباً آخر أكثر وجاهة وهو أن الأمير كان يتمتع بصحة فولستاف. وهكذا فإنه من العسير بل ليس فى وسع أشد المتزمتين من دعاة الأخلاق أن يخالف هذا الاختيار.

والمسرحية بعد ذلك قصة واقعية أضفى عليها المؤلف كثيراً من فنه التراجيدى. ويقوم الجزء الأكبر منها على ما سرده الرواية هولنشيده عن حكم هنرى الرابع وهنرى الخامس. ولا شك أن شكسبير كان قد قرأ السيرة الأولى التى كان قد وضعها "هال" والتى يتفق هولنشيده مع الجزء الأكبر منها، كما أنه قرأ دون شك – أيضاً القصيدة التى كان قد وضعها الشاعر صموئيل دانيال وعنوانها "الحروب الأهلية ١٥٩٥". وتشيد هذه القصيدة بالدور الذى قام به الأمير هال فى معركة شروزبرى كما تشير إلى قتاله مع هوتسبر. غير أن ثمة رواية قديمة أخرى عنوانها "أشهر انتصارات هنرى الخامس" كانت قد عالجت الموضوع فبدأت بحادث السرقة فى مكان يدعى "جاذهل" وانتهت بالزواج الفرنسى.

وطالما أن مصدرنا حول ذلك لم يكن سوى نسخة قديمة مشوهة طبعت عام ١٥٩٨ فإنه من العسير أن نقدر مدى استفادة شكسبير منها رغم أنه كان يعلم تمامًا صحة ما ذهبت إليه. ولكن شكسبير لم يكن مؤرخًا لقد كان كاتبًا مسرحيًا ومن ثم فلم تكن مهمته أن يعيد كتابة التاريخ بل أن يحوّل ما زوّده به التاريخ إلى مسرحيات. وعندما كانت الدراما الجيدة تتفق مع التاريخ كان شكسبير يقدم عرضًا جيدًا للتاريخ وفق ما كانت مصادرة تسجله. أما حين كان التاريخ يتناقض مع الدراما فإن شكسبير كان يتجاهل التاريخ كلية أو يعيد صياغته لكي يحقق بذلك غرضه الدرامى. والمسرحية بسبب ذلك كله تربط تفاصيل تاريخية صحيحة كل الصحة مع تفاصيل أخرى خيالية كل الخيال، بل لقد كانت تلك التفاصيل التاريخية بالذات تتطلب تفاصيل خيالية. فشكسبير يتذكر مثلاً أن بولنبروك قد نزل فى ريفنسبرج وحلف يمينًا فى دونكاستر ثم قابل هوتسبر فى قلعة بيركلي. ولكن عندما يقدم شكسبير الملك فى سن أكبر من سن وهوتسبر أصغر مما كان، فإنه لا يفعل ذلك جهلاً بالحقائق التاريخية وإنما إحساسًا منه بما يجعل مسرحيته أكثر وقعًا. وبدافع من غريزة المؤلف الدرامى فى التركيز واستمرار حركة الحدث. كان شكسبير يعمد إلى إلغاء الفوارق الزمنية بين الفترات والمراحل المتوالية فى المسرحية لدرجة يبدو معها كل شيء وكأنه قد حدث فى بضعة أسابيع. مع أن الواقع فعلاً أنه كان قد مر عام كامل بين هزيمة مورتيمر فى ٢٢ يوليو ١٤٠٢ وبين معركة شروزبرى فى ٢١ يوليو ١٤٠٣. أما عندما يصمت التاريخ أو يعجز عن تفسير السبب الذى حدا بالأمير إلى القيام بدور المجازف المتهور، وعن توضيح أية صورة كان يتخذها الأمير فى عبثه ولهوه، وأى نوع من الرجال كان هوتسبر - حين ذلك كان شكسبير يلجأ إلى استخدام خياله إذا ما أكثر ما كان التاريخ يضلله.

على أن تكون المسرحية مع ذلك يمتاز فعلاً بالبساطة كما أن الحبكة المسرحية والأحداث تتحرك فيها ببطء. ففى المناظر الأولى تتجمع ثلاث قوى معارضة وهى: قوة الثوار والملك والحزب الموالى، وقوة هوتسبر والأمير، والقوة الناجمة عن سمعة الأمير السيئة ومزاجه المتكاسل وقيمة شخصيته الحقيقية التى كانت تعادل ثقلها ذهبًا. ولكن كل هذه الأمور والقوى المتعارضة يتم حلها فى معركة شروزبرى. ولا تفعل المسرحية فى ذلك كله إلا أقل القليل، بل إنها لا تفعل سوى أنها تمضى قدمًا نحو هدفها النهائى. على أن هذه المناظر المتعاقبة وهى تظهر واحدة أو غيرها من تلك القوى المتعارضة التى تمضى قدمًا نحو اليوم الذى يُتخذ فيه قرار حاسم - هذه المناظر إنما تشد من قوى تلك المعارضات. وعند ما تقترب المعركة فإن المناظر المتتابعة تأخذ فى القصر، كما أن تلك القوى المتعارضة تأخذ فى الاندماج. كذلك فإن أحداث المعركة نفسها تقدم الجواب على كل الأسئلة.

فالولاء ينتصر على التمرد، كما ينتصر الأمير هال على هو تسبر وتنتصر شجاعة الأمير وبسالته على كل الهواجس والشكوك.

والحبكة البسيطة فى هذه المسرحية (والتي تخلص من التعقيدات الحديثة العهد والتغيرات التي تطرأ على اتجاهات العاطفة والتي تجعل الحبكة فى مسرحية ريتشارد الثالث أكثر إثارة) - هذه الحبكة البسيطة - إنما تنتعش وتحيا بسبب تلك المهارة التي تتطور بها المناظر كل على حدة. فقصّة السرقة فى "جاذهل" وهى عبارة عن سلسلة من المناظر التي يمكن أن ندعوها حبكة فرعية إذا لم تصل إلى نهايتها قبل أن تنتصف المسرحية، يتضح أنها تجمع قوة الدفع كلما مضت فى تطورها حتى تصل قمته. على أن بعض المناظر قد جرى تصميمها، كما لو كانت مسرحيات صغيرة؛ وخير مثل على ذلك هو المنظر فى بيت جلنداور. وهذا المنظر مفيد للحبكة المسرحية من ناحية واحدة هى أنه يظهر الثوار وهم يمضون قدماً فى حبك استعدادهم وبضعون تصميمًا شريراً لتقسيم بريطانيا.

ولكن شكسبير يفرض الصيغة الدرامية بأن يخلق خصومة مؤقتة بين هوتسبر وبين جلنداور وتصل هذه الخصومة إلى درجة كبيرة قبيل اللحظة التي يتراجع فيها جلنداور. وهكذا فإن الفائدة التي يجنيها بهذه الخصومة (وهى ليست عظيمة القيمة) - فائدة قصيرة العمر لأن جلنداور يعتمد إلى تجميد الموقف بأن يخلق الموسيقى التي كان قد وعد بها. والفرصة المؤدية إلى هذه الموسيقى تأتي فى أعقاب التطور الذي حدث من التناقض بين أنصار مورتيمر العاطفين وهم ضحايا حاجز اللغة وبين أنصار بيرسى. على أن هذا الموقف ملئ بالتوتر الدرامى اللائق به، ومن ثم يحقق شيئاً شبيهاً بالقرار الدرامى قبل نهايته. أما المنظر التالى وهو من منظر "الحان" والمنظر بين الملك والأمير، فهو أيضاً يتضمن انعكاسات واضحة للموقف الذي كان فى المقدمة.

أما معارضة أنصار بيرسى للملك وهى الدعامة. التاريخية للمسرحية فليس من شك فى أنها كفاح ساذج فى سبيل السلطان ولكنها من الناحية الدرامية تعد على الأقل شيئاً أكثر من ذلك، لأن الموقف كله يتسم بالسخرية بسبب المطالبة السافرة التي يتقدم بها الملك بأحقية فى العرض وإدراكه لعدم ثبات موقفه أو رسوخه. إن صورته كرجل أحنت السنون ظهره وأثقلته مقارعة الخطوب وأضعفته الأعباء صورة درامية وليست صورة تاريخية. فقد كان فى الواقع رجلاً قوياً فى عنفوان رجولته إذ كان فى منتصف الثلاثين. ولكنه يتوق إلى شن حرب مقدسة للتكفير عن الخطأ والأذى الذي ألحقه بالملك ريتشارد. ومن ثم فهو ينظر إلى مقاومة الأمير باعتبارها سوط السماء لمعاقبته على سوء سلوكه. إن غموض مسلكه - بين عزمه على أن يتمسك بالجائزة التي حصل عليها ووخزات ضميره - أمر غير واضح أو مفهوم كما أنه لم يحسمه

بصورة أو بأخرى؛ بل إن ذلك يجعله أكثر إثارة ومدعاة للتفكير لأنه لم يتم تقديمه باعتباره سياسيًا شريرًا كما كان هوتسبر يعتقد.

على أن المنافسة بين الأمير وبين هوتسبر هي النبع الدرامي في المسرحية، فإن الضربة القاصمة التي تقتل هوتسبر إنما تزود الأمير بشرف الفوز والتفوق، كما أنها تقضى على ثورة الأمير وتؤكد ولاءه لأبيه الملك. وهذه الخصومة والعداء يعلنها المنظر الأول من المسرحية ثم تظل باقية بصورة أو بأخرى في كل منظر آخر تقريبًا. ولكنها مع ذلك مجرد خيال من اختراع المؤلف. فإن هوتسبر الذى لم يكن من شباب الشمال كان أكبر سنًا من الملك أبى الأمير، كما أنه بالرغم من أنه قُتل فعلا فى موقعة شروزبرى فإن أحدًا لم يعلم على وجه التحقيق من الذى قتله.

والذى لا شك فيه أن شكسبير قد سعى جاهدًا لى يجعل الأمير يبدو شخصًا أفضل من حقيقته. أما مزاج هوتسبر المتقلب فيؤكد كل منظر يبدو فيه هوتسبر، كذلك فإن جموحة أما يدعو إلى رثاء كل من أبيه وعمه (الفصل الأول المنظر الثالث) وزوجته (كما فى الفصل الثانى المنظر الثالث).

كذلك فإن ورسستر وفيرنون يتحديان زعامته (الفصل الرابع المنظر الثالث) أما نفاذ صبره إزاء أى ثناء على خصومه فإنه يهمل إهمالاً مضاعفًا. أما وداعه عشية المعركة فهو مزاج غريب بين البسالة والقدرية. على أن اللمة التى تتوج هذا كله تضاف إلى غزله فى المنظر الذى يقسم فيه إنجلترا ويغالط فى تفاصيل التقسيم. والواضح أنه ليست هناك أية بادرة من التعاطف مع إنسان يتكرر لوطنه الأم. على أن الأمير من الناحية الأخرى ينال ما يبرره فى كل نقطة. فنحن نتأكد من اتزان والثقة فيه والاعتماد عليه فى المفاجأة التى ينطق بها فى نهاية أول منظر يظهر فيه. فالخزى والعار الذى يسفر عنه عبث انهماكه فى شهوات الشباب إنما ينتقل إلى فلوستاف ثم ينتهى إلى الضحك.

وفى منتصف المسرحية نراه يؤكد لأبيه أنه أزرق فعلا بالرغم من المظاهر ومع أن مجرد الوعد بشيء يختلف عن تحقيقه إلا أن التحقيق يتم فى النهاية. فإنه يقدم التقدير الكامل لبسالة هوتسبر وسمعته، كذلك فإن أعداءه يعترفون بشجاعته واعتداله (الفصل الرابع المنظر الأول البيت ٩٧ والفصل الخامس المنظر الثانى البيت ٥٢). وفى اليوم الذى يتخذ فيه قراره نراه يفوز ويفتدى رأيه الضائع.

على أن كل هذا التقدير الدقيق لمختلف الموازين كثيرًا ما ذهب هباء. فإن قراء المسرحية ومشاهديها على المسرح يصبحون من أنصار هوتسبر، بل إنهم يرغبون فى تغيير الصورة إلى

نقيضها. فإن عدم ولاء هوتسبر للبلد الذى يرغب فى تقسيمه لا لسبب سوى أطماعه الأنانية كثيرًا ما يتجاوز القراء والنظارة فى المسرح. فإننا نجد ثمة عطفًا يتسلل على الثوار ولا سيما فى قصة خيالية. والأمير ينظر إليه باعتباره منافقًا وذلك لأن إخفاءه طبيعة الملكية الصادقة إنما هو نتيجة للروية والتدبير، كما لو لم تكن مثل تلك الروية والتدبير من أولى المهام بالنسبة لرجل يحسن تقدير الأمور، وكما لو لم يكن التهور والانفعال ابتذالا وصورة من صور الفوضى والاضطراب.

أما ما اقترفه الأمير فيما بعد من رفضه فولستاف فى الجزء الثانى من هذه المسرحية ومن الزندقة والتظاهر بالتقوى فى مسرحية هنرى الخامس فهى كلها تعود بأثر رجعى وتضاف إلى الحكم الصادر ضده. على أن السبب الحقيقى فى قلب الحكم هو سبب مسرحى: إن الدور الذى يقوم به هو تسبر دور يتسم بالعدوان والحيوية طوال المسرحية بينما أن الأمير يجب أن يظل تحت الغطاء حتى النهاية تقريبًا. على أن الميزة للممثل الذى يقوم بدور هوتسبر والخسارة التى تلحق بالممثل الذى يقوم بدور الأمير تبلغ كل منهما من الضخامة حدًا كبيرًا. ودور هوتسبر بلا شك هو أحسن الأدوار التى تمثل فى الجانب التاريخى من المسرحية. فإنه يحيرنا بصورة كاملة لدرجة أنه يجرد النقاد من أى سلاح. وطالما أن الأمر كذلك فإن شكسبير لا يمكنه التهرب من المسؤولية، ولكن يمكن أن يقال دفاعًا عنه إنه حشد فى الرواية كثيرًا من العلامات المميزة التى تظهر لنا أى طريق يجب علينا أن نسلكه.

ومع ذلك فحتى هوتسبر نفسه تطغى عليه شخصية فولستاف الذى هو حقًا أعظم انتصار حققته المسرحية. وإلا فإذا اعتبرناها ملحمة رائعة من ملاحم المعارك فإن فولستاف فيها يحولها إلى شىء فريد يفوق العقل. ولقد صيغت شخصية فولستاف بسخاء ودقة. ومع أن مسرحية "الانتصارات الشهيرة" تتضمن شخصية مماثلة له إلا أنه حتى إذا كان دوره فى تلك الشخصية كما فهمه شكسبير أكثر إقناعًا مما هو لدينا فى هذه المسرحية، فإنه من المستحيل تقريبًا أنه قدم لشكسبير أكثر من مجرد بداية. فليس ثمة شىء يقوله التاريخ سواء عن الشهيد سير جون أولد كاسل (كما كان فولستاف يدعى فى التمثيليات السابقة) أو سير جون فاستولف (الجزء الأول من هنرى السادس الفصل الثالث المنظر الثانى والفصل الرابع المنظر الأول) ليس شيئًا من هذا يمكن أن نُعزى إليه تلك الشخصية الخالدة التى خلقها شكسبير. إن فولستاف قد تمت صياغته موافقة كل الموافقة للدور المعين له بأقصى حدود الدقة والبراعة. فهو يصبح تجسيدًا لانهماك الأمير فى شهوات الشباب.

إن فولستاف هو الذى يخلق جو الفقر والحرمان ويساهم الأمير فى ذلك ولكنه غير مسئول عنه بل يقف دائمًا بعيدًا عنه. ومن ثم فإن فولستاف ما هو إلا كبش الفداء فهو يأخذ على عاتقه تلك الشرور والآثام التى تلحقها الأسطورة بالأمير. وهو إذ يمضى قدمًا فيبرئ ساحة

الأمير فإن الشوكة تنتزع انتزاعاً من تلك الشرور والآثام، وذلك بأن يقدمها، ليس غير، فى صورة مسرحية مصحوبة بالضحك وباعتبارها البراءة والطهارة الكاملة. إن أقوى درجات ضبط النفس والتحكم فى الذات هى وحدها التى تجعلنا بينما نضحك من مجون فولستاف ومزاجه نتذكر أنه كاذب فعلاً وطفيلى ونهم وسكير عرييد ولص، بل أكثر من ذلك كله إنه هو الذى نحتقره. إن شخصية فولستاف اختراع درامى ممتاز كعازل لشخصية الأمير.

إن التقليد الدرامى هو أن المهرج هو مصدر السخرية والأبله والمجنون أو المدعى المحتال الذى يتفوق على نفسه فى النهاية ويُعرض علينا ليثير فينا عاصفة من الضحك السافر الذى مرده إلى ما لدينا من صدق الحكم والإدراك، وهو فى ذلك يشابه فولستاف الآخر الذى نراه فى مسرحية زوجات وندسور المرحات. ولكن فلوستاف مسرحية هنرى الرابع، وبالرغم من كل الهزء الذى يطلقه عليه الأمير والآخرين والذى يتفاداه هو دائماً بمنتهى المهارة - فولستاف هذا قلما نراه وقد فضحته الأحداث أو قهرته أو دحرته أو أهانته. ذلك أنه يستطيع دائماً أن يريح شيئاً ما على الأقل وأن يحقق شيئاً ما من الانتصار. بل إننا نراه فى نهاية المسرحية فى صورة شخص يدعى دعوى زانقة بأنه انتصر على هو تسبر. ولكننا إزاء هذا النجاح لا نملك شيئاً من السخرية. فالواقع أن مثل هذا النجاح ولو فى الخيال إنما يثير فينا شيئاً أعمق هو على شعور الشفقة والعطف أقرب. وهكذا يستحوذ فولستاف على إعجابنا لوقاحته المتناهية. فنحن عندما نضحك معه إنما نضيع كل فرصة تسنح لنا بأن نجلس إزاءه على منصة القضاء. وهكذا فإن عجز قدراتنا العادية الانتقامية عجزاً تاماً وإسنادنا إلى فولستاف دوراً هو خليط من التعاطف والحرمان ما هو إلا انتصار للخيال الكوميدى.

وفضلاً عن ذلك فإن فولستاف الغامض الملتبس هو فولستاف الحقيقى. فهو لا يمكن أبداً على صورة واحدة مرتين متتاليتين. بل هو سلسلة متصلة الحلقات من الشخصيات التى يقوم بتمثيلها. فهو فى ذلك ممثل كوميدى أصيل وكل إنسان آخر إن هو إلا أداة يجب أن ترتفع إلى مستواه.

وأدواره عديدة يخطئها الحصر وكل دور منها يتبعه نقيضه: الرجل العجوز والشاب المرح الوثاب، الرجل السمين والرجل النشيط (أو على الأقل الخيالى)، الطفيلى والحامى العظيم لباردولف وأمثاله، وهو الداعر الفاسق وهو المترمت وناقد الأخلاق، وهو الجندى الشهم الباسل وهو الجبان الرعيد، أو على الأقل هو الذى يعرض تلك البديهة وهى أن التبصر خير سمات الشجاعة (الفصل الخامس المنظر الرابع البيت ١٢١) على أن أشهر أدواره هو الدور الذى يقوم فيه بالمراوغة المتقنة. فهو يقع ثلاث مرات على الأقل فى الحصار ولكن ليتلوى ويتملص فينجو بواسطة عملية ناجحة من المغالطة والمراوغة (ولكن الواقع أنه جبان فيما يتعلق بالغريزة فالأمير

مدین له بحبه وحبه یقدر بمليون من الجنيهات أما هو فقد قدم لهوتسبر جرحاً فى فخذہ). على أن أعجب أدواره كلها هو دوره كطالب للشرف. وفى سطور المقدمة التى يبرهن فيها ذلك فقد تبدو كلمة واحدة وكأنها تنسق أساس جميع الأجزاء الجادة فى المسرحية. ولكننا فى ذلك الوقت نصبح وقد ألفنا ما یعمد إليه فولستاف من تشويه القضايا الحقّة وتشويه الأمور الصادقة وتحويلها إلى أمور ضالة خادعة، فتأخذها كما لو كانت قطعة أخرى من المنطق الكاذب مثل جدله ذاك الذى قال فيه إن السرقة ليست خطيئة إذ كانت حرفة الإنسان (الفصل الأول المنظر الثانى للبيت ١١٧). وهكذا فإن خلقه المتلون الختال يجعل المخاصمة والشجار حول جنبه يبدوان كأنهما أمرًا غير مقبول وفى غير موضعه مما جعل نقاد الأدب یصدقونه ويمضون فى تأييد هذا الرأى.

وبالطبع فإن فولستاف جبان عندما یهرب أو یصطنع الموت. ذلك أن الشخص الجريء عندما یهرب أو یصطنع الموت يبدو مضحكًا ولكن فى الوقت عينه فإن امتلاك النفس الذى ینفذ به هذه اللمحات من الحصافة والتمیيز إنما تختلف اختلافًا كاملاً عما یعمد إليه جبان من تحطيم الأسنان أو الركل بل تجعل منه جبانًا یختلف عن جميع الجبناء الآخرين، كما تجعله أكثر سخرية وهُزءًا. إن الضحك الذى تُقابل به نكاته فضلًا عن أنها أكثر من مجرد كونها دلائل براعته - هذا الضحك ما هو إلا اعتراف سعيد بالحق والبراعة اللذين یستخدمهما دائمًا متظاهراً بأنه شىء ليس فى حقیقته ولا من طبعه أو أنه على الأقل لم یکن منذ دقيقة أو ساعة أو يوم. إن عينه البراقة وصوته المنقوع فى النبیذ وجسمه الذى لا یحسن استخدامه تسيطر كلها على كل موقف یجد نفسه فيه، بل يجعلها جميعًا تتحول إلى طرب وسرور بأن یفترض أى دور یكون آخر ما ینتظره منه أى إنسان. إنه یعصف خلال المسرحية كلها مثل قهقهة عالية ویکاد یصل إلى حد یجعل معه مسرحية شكسبير عن تاریخ هنرى تتحول إلى ملهاة فولستاف.

حنا إلياس

الملك هنرى الرابع

الجزء الأول

ترجمة

الأستاذ مصطفى طه حبيب

مراجعة

الأستاذ محمد شفيق غريال الأستاذ محمد بدران

أشخاص الرواية

King Henry Iv	الملك هنرى الرابع
Henry, Prince of Wales	هنرى ولى العهد أمير ويلز)
John of Lancaster	{ لورد جون لانكستر
Earl of Westmoreland	
	إيرل وستمورلند
Sir Walter Blunt	سير ولتر بلنت
	توماس برسى
	: إيرل وويستر
Thomas Percy, earl of Worcester	
	هنرى برسى
	: إيرل نور ثمبرلند
Henry percy, earl of Northumberland	
Henry percy, Hostspur	هنرى برسى الملقب هوتسبر
	: ابنه
	إدموند مورتيمر
	: إيرل مارش
Edmund Mortimer, earl of March	
Richard Scroop	ريتشارد سكروب
	: رئيس أساقفة يورك

: إيرل دجلال

أرشيبالد

Owen Glendower

أدوين جلنداور

Sir Richard Vernon

سير ريتشارد فرنون

Sir Michael

: من حاشية رئيس أساقفة يورك

سير ميكل

Poins

: سيد من حاشية الأمير هنرى

إدوارد بوان

Sir John

سير جون فولستاف:

Falstaff

Gadshill

جادشيل

Peto

بيتو

Bardolph

باردولف:

Lady Percy

: زوج هوتسبر وأخت مورتيمر

لادى برسى

: ابنة جلندور وزوج مورتيمر

لادى مورتيمر

Lady Mortimer

: صاحبة حانة رأس الحلوف فى إيست شيب

السيدة كويكلى

Mistress Quickly

لوردات - ضابط - مأمور - خادم - حاجب - سقاة - حمالان - مسافرون -

أتباع

إنجلترا

: المنظر:

الفصل الأول

المنظر الأول

لندن - القصر

الملك هنرى ومعه سير ولتر بلنت يقابلان وستمورلند وآخرين

الملك : أما من سبيل وقد زلزلتنا الإحن وأوهنتنا الهموم أن نحمل السلام الذى طاردته حروبنا الأهلية على أن يطمئن ويهدأ ويتنفس الصعداء من هذا الطراد الطويل، وأن يهمس فى عبارات لاهثة شائعات حرب جديدة تشنها فى شواطئ سحيقة بعيدة عن ديارنا،

كى لا تعود هذه الأرض الضاممة

إلى تدنيس أفواهها بشرب دماء أبنائها،

ولنرد يد الدمار عن حياضها التى أضرت بها الخنادق
والمتاريس،

ولتكف سنابك الخيل المتحاربة عن إهلاك حرثها ونباتها،

وليقف هؤلاء المتخاصمون من أبنائها الذين قطعتهم

الإحن واندلع بينهم لهيب الحقد

كما يندلع لهيب الشهب فى سماء ثائرة عاصفة،

ليقف هؤلاء الأبناء الذين اشتبكوا أخيراً فى قتال

عنيف وحرب أهلية عاتية

أثخنّت فيها الجراح وأزهقت الأرواح

مع أنهم جميعاً من جيلة واحدة تجمعهم أرومة مشتركة،

ليقفوا صفّاً واحداً على اختلاف نزعاتهم

ويسيروا معاً مؤتلفين إلى هدف مشترك،

متناسين خلافاتهم وغير متكرين لوشائج الدم والألفة

والجوار التى تربطهم،

وهكذا يكف سيف الحرب عن أن يرتد فى نحر صاحبه

كما ترتد السكين التي لم يحسن صاحبها غمدها في يده
فتجرحها.

فهيا بنا أيها الأصدقاء نجند قوة من الإنجليز
ونقودها إلى الأرض المقدسة حيث قبر المسيح

٢٠

الذى نحن جنده الآن
والذى تعاهدنا وارتبطنا تحت الصليب المقدس أن
نحارب في سبيله،

هيا نقود هذه الحملة من الرجال
الذين خلقت أذرعهم في بطون أمهاتهم لطرد الوثنيين
من الأرض المقدسة

٢٥

التي وطئتها أقدام المسيح المباركة
الذى احتمل منذ أربعة عشر قرنًا مرارة الصلب إيثارًا
لسعادتنا ومصالحنا،
ولقد كان إرسال هذه الحملة هدفنا ومرادنا منذ اثني
عشر شهرًا،

٣٠

ولذلك فمن نافلة القول أن أناديكم بأننا سنذهب إلى
هناك،

فما لهذا اجتماعنا، وإنما اجتمعنا
لأسمع منك يا بن العم العزيز الكريم وستمورلند
ما قرره مجلسنا الخاص ليلة أمس
في شأن إنفاذ هذه الحملة العظيمة الخطر

وستمورلند : مولاي، لقد كان إنفاذ هذه الحملة على الفور موضع

البحث الجدى

٣٥

واتخذت عدة من التدابير لمواجهة تكاليف الحملة
وتعيين قوادها

ولكن أمس انقلب الأمر

حين وفد رسول من الغال يحمل أنباء سيئة

لعل أكثرها سوءًا أن مورتيمر النبيل

الذى قام على رأس حملة من رجال هيرفردشير

لتأديب الثائر الوحشى جلندور

قد وقع أسيرًا فى قبضة هذا الغالى الخشنة،

٤٠

وأن ألفًا من رجاله ذبحوا

ومثل بأجسادهم بعد الموت أشنع تمثيل،

وأن نساء الغال قمن بعملية التشويه هذه بوحشية

وبلا تورع

مع أن مجرد ذكر هذا الحدث

٤٥

أو رواية أخباره يتتدى له الجبين خجلًا.

الملك : يبدو إذن أن أنباء هذه المعركة

قد أرجأت إنفاذ مشروع حملتنا إلى الأرض المقدسة.

وست : أخشى أن الأمر كذلك يا مولاي الكريم،

إذا أضفنا إلى هذه الأنباء أنباء أخرى غير سارة

ولا مرضية

جاءت من الشمال مفادها

٥٠

أن المغوار هوتسبر الشاب

قد التقى فى عيد الحصاد الرابع عشر من شهر سبتمبر

عند هولمدون بايرل دوجلاس الفارس الشجاع،

وأن معركة حامية دموية دارت بينهما هناك

كما يصفها الرسول الذى استنتج ذلك

مما سمعه من قصف المدافع المتبادلة بينهما،

ولم يقطع الرسول بنتيجة المعركة، ولا لمن كان فيها الغلب

٦٠

لأنه امتطى صهوة جواده ليسرع إلينا بالأنباء

بينما المعركة على أشدها حامية الوطيس بين القريقين.

الملك : ها هو ذا صديق عزيز صادق الحماسة دعوب

هو السير ولتر بلنت قد ترجل عن جواده لتوه

لم ينفض عنه غبار السفر الذى احتمله

فيما قطع من أراض مختلفة من هولمدون حتى مقر ملكنا،

٦٥

وقد أفضى إلينا بأنباء سارة ومطمئنة،

أنبأنا أن إيرل دوجلاس غلب على أمره،

وأن عشرة آلاف من الإسكتلنديين الشجعان ومعهم

اثنان وعشرون فارساً

قد تكدست أجسادهم غارقة فى دمائها

فى سهول هولمدون وقد رآها سير ولتر بنفسه

ومن بين الأسرى الذين وقعوا فى أيدى هوتسبر موريديك

٧٠

إيرل فايف (١)

والابن الأكبر لدوجلاس المغلوب وإيرل إيثول (٢)

(١) Mordake the Earl of Fife.

(٢) Athol.

مرى وانجوس ومنتيث (٣)

أليست هذه غنيمة مشرفة وكسباً موفوراً؟

أجل ماذا تقول يا ابن العم أليس الأمر كذلك؟

٧٥

ستمورلند : بلى وأيم الحق،

إنه لغنم يحق للأمير أن يباهى به ويفخر.

الملك : صدقت، ولشد ما يحزننى قولك هذا ويحملنى على أن

أرتكب خطيئة الحسد،

الحسد للورد نورثمبرلند

على أن يكون له مثل هذا الابن المبارك

٨٠

الذى يلهج المجد بذكره،

هذا النبت المستقيم العود وسط الأحرار الملتفة،

هذا المجدود الذى اصطفاه آلهة الحظ خليلاً، وجعلته

موضع الاعتزاز والفخر،

إنى لأقرأ آيات حمده بينما أنظر

لأرى ابنى هارى الشاب وقد تلطخت صفحته بالشقوة

والعار،

٨٥

أواه ليته كان فى الإمكان أن تثبت

إن جنية من خاطرات الليل قد استبدلت

ابنه بابنى وهما فى قماط الطفولة حيث يرقدان

وسمت فتاى برسى وابنه بلانتيجينت (٤)!

٩٠

إن لأخذت ابنه هارى ولأعطيته ابنى،

ولكن ما يجدى هذا فالأبعد بينه وبين سانحات

Murray, Angus, Menteith. (٣)

Plantagenet. (٤)

خواطري! وبعد يا ابن العم،

ما رأيك فى هذا المجد الذى أحرزه برسى؟

إن الأسرى الذين غنمهم فى هذه المغامرة

قد استبقاهم لنفسه لينتفع بهم، وبعث إلى برسالة

يقول فيها

٩٥

إنه لا حق لى فى أحد منهم، اللهم إلا إيرل فايف..

وستمورلند : هذه تعاليم عمه ورستر،

هذا الكوكب النحاس الذى يترصدك فى كل اتجاهاته،

إنه هو الذى يغريه أن يسوى ريشه ويرفع عرفه كما يفعل الصقر حين يبدأ الطرد

وأن يتحدى بشبابه جلالك ووقارك.

١٠٠ الملك : ولكنى بعثت إليه أستجوبه فى هذا الموقف،

ولهذا أرى أن نرجئ

حملتنا المقدسة إلى أورشليم حينًا من الزمن،

ولنجتمع أيها العزيز بمجلسنا يوم الأربعاء القادم فى

وندسور،

فأبلغ ذلك إلى اللوردات

وعد إلينا من فورك ثانية،

فلا يزال لدينا مزيد مما يجب أن نقوله ونفعله فى هذا

١٠٥

الشأن،

ومن الحكمة أن نتدبر ذلك فى هدوء لا أن نبت فيه

ونحن فى ثورة من الغضب

وستمورلند : سأفعل يا مولاي.

(يخرجون)

المنظر الثانى

(لندن - غرفة فى بيت ولى العهد أمير ويلز، حيث يرقد سير جون فلتستاف على مقعد فى أحد الزوايا وهو يغط فى نومه. يدخل ولى العهد ويوقظه)

فولستاف : (وهو يستيقظ) هيه يا هال فى أى ساعة من النهار نحن يا فتى؟

الأمير : يا لك من غبى تبلد ذهنك من طول معافرتك للنبيذ المعتق، وحل إزارك بعد العشاء، ونومك على المقاعد بعد الظهر، فأنساك هذا أن تسأل عما تريد أن تعرفه. فيا للشيطان، أى شأن لك أنت بالنهار، حتى تعنى بالسؤال عن الوقت فيه، اللهم إلا أن تكون ساعاته كئوساً من النبيذ، ودقائقه ديكه سمينه، وعقاريه ألسنة العاهرات، وميناؤه لافتات للمواخير والحانات، وإلا أن تكون الشمس المباركة نفسها امرأة لعباً من بنات الهوى، تتبختر فى ثيابها الإرجوانية الصارخة. مهما يكن الأمر فلست أرى سبباً يدعوك إلى أن تكلف نفسك مشقة السؤال عن ساعات النهار فى غير ما حاجة.

فولستاف : لقد أصبت الهدف حقاً، وكدت تفهمنى الآن يا هال، فنحن الذين نسرق الأكياس، لا نعمل إلا فى ضوء القمر، ولا نحسب أوقاتنا إلا به وبالنجوم السبعة، ولا نسير قط فى ضوء الشمس، "هذا الفارس الجميل الجوال فى كبد السماء"، ولذلك أتوسل إليك يا فتى العزيز حين تصبح ملكاً، حفظ الله ملكك يا صاحب السماحة، لا بل يا صاحب الجلالة فهذا ما ينبغى أن أقول لأن السماحة لن يكون لك منها نصيب.

الأمير : ما هذا الذى لن يكون لى منه نصيب؟

فولستاف : أقصد وأيم الحق أنه ل يكون لك نصيب كاف يعادل

ما فى الدعاء الذى يقال قبل وجبة من البيض والزبد.

٢٥ الأمير : ماذا تعنى بهذا؟ أفصح عما تريد وتكلم بوضوح فى الموضوع.

فولستاف : اسمح إذن أيها الفتى العزيز عندما تصبح ملكًا، لا تدع أحدًا يلقبنا نحن فرسان الليل ورجال الطريق - بالمتسكعين المفسدين بهجة النهار، السارقين جماله، بل لنكن حاشية ديانا الصائدة، سادة الليل وعشاق القمر، ودع الناس يقولون عنا إننا رجال حسنو السلوك، فنحن كالبحر تحكمنا سيدتنا النبيلة العفة آلهة القمر، وفى ظلها نعمل وتحت وجهها نسرق.

٣٣

الأمير : لقد أحسنت القول وأجدت التشبيه، فإن حظوظنا نحن حاشية القمر كالبحر تارة فى مد وتارة فى جزر، والقمر يتحكم فى مصائرنا كما يتحكم فى حركة البحر، والدليل على ذلك حاضر الآن، فكيس الذهب الذى ينتهب فى إصرار وعزم مساء الاثنين، ينفق فى يسر وسرف صباح الثلاثاء، إنه يُنتهب بصب اللعنات على رؤوس الرحالة والمسافرين وأمرهم بالوقوف وتسليم ما معهم من النقود، ويُوقف بالصيحات المتكررة على صاحبة ألحان، هات لنا مزيدًا من النبذ، إننا فى بحر الحظوظ هذا تارة فى غيض نقف عند أسفل سلم المشنقة، وتارة فى فيض يبلغ بنا أعلاها.

٤٣

فولستاف : تالله، لقد قلت صدقًا يا فتى، ولكن أليست صاحبة ألحان امرأة غاية فى الملاحه، تستحق أن يصرف عندها كيس الذهب؟

٤٦

الأمير : حلوة كعسل هيبلا^(٥) أيها العجوز العرييد (أولد كاسل) يا ربيب الحانات، ولكن أليس قميص السجن الخشن لباسًا متينًا يستحب معه الحبس من أجل دين صاحبة ألحان؟

٤٩

فولستاف : وى، وى أيها الحبيب المجنون، ماذا تعنى بهذه التوريات والإيماءات؟ أى شأن لى بقميص السجن؟

٥٤ الأمير : وى، ويا للجدرى يا رجل! أى شأن لى بصاحبة الحان؟

٥٦ فولستاف : لقد طلبتها مرارًا وتكرارًا لتسألها الحساب.

الأمير : وهل طلبت إليك مرة من المرات أن تدفع نصيبك من الحساب؟

فولستاف : كلا، ومن واجبي أن أقر لك بحقك، فأقول إنك دفعت جميع الحساب هناك.

٦٠

الأمير : بل هناك وفى كل مكان آخر كنت أدفع ما أسعفنى النقود، أما إذا لم تسعفنى، فقد كنت أضيفها دينًا علىّ.

٦٣

فولستاف : قد أسرفت فى الديون على هذا النحو، ولولا أنك ولى العهد لكان إشهار إفلاسك هو المنتظر، ولكن أتوسل إليك يا فتاي العزيز أن تجيبني! هل ستُنصب المشانق فى بريطانيا عندما تصبح ملكًا؟ وهل ستستلب من الجسارة ثمرة إقدامها، كما هى الحال فى ظل القانون العتيق المضحك الذى انقضى إبانها، أتوسل إليك ألا تفعل ذلك يا فتاي.. ولا تقدم على شئ لص عندما تصبح ملكًا.

٧٠

الأمير : لا، لن أفعل ذلك، ولكن أنت الذى ستفعله.

فولستاف : أسيكون ذلك لى؟ يا لك من رجل عديم النظر، بالله لأكون قاضيًا فذاً.

٧٣

الأمير : لقد أسأت فهم إشارتى أيها القاضى المزيف، إنما عنيت إنك ستأخذ على عاتقك شئ اللصوص، وبذلك تصبح جلاذًا عديم النظر.

٧٦

فولستاف : حسنًا يا هال، إن هذا يتفق نوعًا ما مع ميولى، وأنا أحبه حبى لملازمة القصور تمامًا، وأؤكد لك ذلك.

٨٠ الأمير : بل تحبه لتفوز بالخلع والملابس.. أليس كذلك؟

فولستاف : بلى، للفوز بالخلع والملابس، فهو يستولى على ملابس ضحاياها من المشنوقين؛ بحق السماء لقد ضقت صدرًا بهذا الحديث عن المشانق والجلادين وأصبحت محزون النفس كالقط الذكر أو الدب المقيد فى السلاسل تتبحه كلاب الصيد.

٨٤ الأمير : بل قل كأسد هرم أو كقيثارة محب!

فولستاف : بلى، أو كأنغام موسيقى قرب لنكولنشير المملة.

٨٨ الأمير : وماذا تقول فى الأرنب المحزون وفى القلب الموحل المقبض؟

فولستاف : إنك تفيض بالتشبيهات القذرة الدنيئة، ولأنت بحق أيها الأمير العزيز معين لا ينضب من الاستعارات والتشبيهات البغيضة، ولكن أرجوك يا هال أن تكف عنى غرورك وشقوتك، ولوددت أن أضرع إلى الله أن يهدينى وإياك إلى مكان نستطيع أن نلتمس فيه مددًا من الكلمات الطيبة فنشتريه لأنفسنا، لقد لأمنى فيك بالأمس أحد السادة اللوردات من أعضاء المجلس، وعنفنى فى الطريق العام من أجلك يا سيدى، ولكنى لم ألق إليه بالا، رغم أن حديثه كانت تنطق الحكمة من جوانبه. أجل لم آبه وإن نطق بالحكمة وألقى بها فى عرض الطريق أيضًا.

٩٨

الأمير : لقد أحسنت صنعًا، فالحكمة تستصرخ الناس فى الطريق، ولكن أحدًا لا يآبه لها ولا يصيح لدعوتها.

١٠٠

فولستاف : إن لك لقدرة ماجنة على ترديد عبارات الكتاب المقدس وتقطيعها بما يجلب عليك اللعنة، وفى الحق إنك قمين أن تفسد العابد الناسك! لقد أغويتنى وقدنتى إلى كثير من المهالك والآثام يا هال، وأسأل الله أن يغفر لك هذه الزلة.. لقد كنت بريئًا قبل أن أعرفك يا هال، لا أدرى من المفاسد شيئًا، والآن أصبحت، إذا كان لإنسان أن يقول الحق، أقرب ما أكون إلى الأشقياء الملعونين. لا بد لى أن أرتدع عن هذا الغي، وأثوب عن هذه الحياة، لأنفضن يدى منها، وتالله لئن لم أنته عنها، فما أنا إلا شقى مجرم، ولتخلن بى اللعنة كما لم تحل بابن

ملك فى العالم المسيحى.

- ١١١ الأمير : أين نستولى على كيس من الذهب غدًا يا جاك؟
- فولستاف : فى أى مكان تشاء يا فتى، وسأسلب كيسًا، ولئن لم أفعل فلك أن تدعونى مجرمًا وأن تمتهن قدرى.
- الأمير : إنى لأرى فيك توبة طيبة وتحولا حسنًا، فمن الصلاة والابتغال إلى السرقة وانتهاب أكياس النقود.
- ١١٧ فولستاف : ويك يا هال، إنها مهنتى يا هال، وليس آثمًا من يعمل فى مهنته.
- (يدخل بوان)، اسمع يا بوان، أيمكن أن تعرف هل رسم اللصوص جادشيل لنا خطة لمغنم جديد (مشيرًا إلى الأمير) يا لله إذا كان الناس تتقذهم فضائلهم وأعمالهم فأى طاقة من حميم فى جهنم يمكن أن تتسع له، إنه أقدر مجرم عرفته اللصوصية، وأكثر الناس إقدامًا على سرقة الشرفاء.
- ١٢٢ الأمير : أسعدت صباحًا يا ند (٦)
- بوان : أسعدت صباحًا يا هال العزيز. ماذا يقول السيد المؤنب الضمير؟ ماذا يقول السير جون العجوز الغارق فى النبيذ والسكر، اسمع يا جاك فيم كان اتفاقك مع الشيطان بشأن روحك؟ حتى بعتة روحك فى يوم الجمعة الحزينة السابقة مقابل كأس من نبيذ ماديرا وفخذ ديك باردة؟
- ١٢٩ الأمير : إن سير جون وفى بعده، وسيفوز الشيطان بصفقته، فما عرف عن السير جون أنه يعارض الأمثال أبدًا، ولذلك فهو سيعطى الشيطان حقه.
- ١٣٥ بوان : إذن فأنت ملعون يا سير جون لاستمساكك بوعدك حتى مع الشيطان.

الأمير : إنه ملعون على أى حال لأنه إن لم يلعن لوفائه للشيطان فسيلعن لخداعه إياه.

بوان : خلنا من هذا الحديث، واسمعوا أقول لكم يا فتیان، ستجدون غدًا صباحًا فى الساعة الرابعة مع البكور فى جادزهيل حجاجًا فى طريقهم إلى كانتريرى، وقد حملوا معهم قرابين ثمينة، كما تجدون تجارًا مسافرين إلى لندن وقد ورمت أكياسهم من النقود.. لقد أعددت لكم جميعًا أقنعة تستخفون بها، وما عليكم إلا أن تعدوا خيولكم وتتجهوا إلى جادزهيل وجادشيل يبيت الليلة فى روشستر، وقد هيأت لكم عشاء غدًا مساء فى إيست شيب، وفى مكنتنا أن نقدم على هذا العمل مطمئنين اطمئننا إلى النوم، فغن جئتم فأنا كفيل أن أملأ لكم جيوبكم ذهبًا، أما إذا لم تجيئوا ففروا فى بيوتكم ولتتخطفكم المشانق.

١٤٧

فولستاف : اسمع يا إيوارد: إن أنا بقيت فى بيتى ولم أذهب إلى

جادزهيل، لأتسبب فى شنقك جزاء على تركك إياى

١٥٠

بوان : أذهب أنت يا ذا الخدين المنتفختين.

فولستاف : ألا تصاحبنا يا هال؟

الأمير : من؟ أنا.. أنا أسرق؟ أنا أصير لصًا؟.. ما أنا

بالذى يفعل ذلك وأيم الحق.

١٥٤

فولستاف : لئن لم تأت معنا فأنت مجرد من الأمانة والرجولة وحق الصداقة عليك، منكر لأصالتك، مثبت أنك لم تتحدر من دم ملكي، بل أنت أدنى من الملوكى (٧) قيمة لأنك لا تستطيع أن تقا تل من أجل عشرة شلنات.

(بوان يقوم بإشارات من وراء ظهر فولستاف موجهة للأمير)

(٧) الملوكى عملة إنجليزية تساوى عشرة شلنات.

- ١٦٠ الأمير : إذن لأكونن ما جنًا مرة في حياتي.
- فولستاف : بخ بخ.. لقد أحسنت القول.
- الأمير : بل لأقبعن في بيتي مهما تكن الأمور.
- ١٦٥ فولستاف : تالله لئن فعلت لأخونك حين تلى الملك.
- الأمير : لست أبالي
- بوان : أرجوك يا سير جون أن تخلى بينى وبين الأمير، فسأذكرن له من الأسباب ما سوف يغريه بالذهاب معنا.
- ١٦٩ فولستاف : أدعو الله أن يهبك قوة الإقناع، وأن يهبه أدنًا واعية حتى تؤثر كلماتك فيه ويؤمن هو بما يسمع، ويرضى وهو الأمير الصادق أن يلبس ولو على سبيل المرح مسوح اللص المزيف، فإن مساوئ العصر الصغيرة أحوج ما تكون إلى من يرعاها ويشجعها، وداعًا وستجدنى إن شاء الله فى بيت أيسـت تشيب.
- الأمير : وداعًا أيها الربيع المولى، وداعًا يا صحوة صيف فى الشتاء^(٨)
- (يخرج فولستاف)
- بوان : والآن يا أميرى المحبوب، اركب معنا غداً، فإن لدى مزحة أريد أن أنفذها ولكنى لا أستطيع أن أقوم بها وحدي. سنترك فولستاف وباردولف وبيتو وجادشل يسرقون هؤلاء الرجال الذين أعددنا لهم كمينًا من قبل، أما أنت وأنا فلن نكون معهم، فإذا ما استولوا على الغنيمة ولم نستطع أنا وأنت أن نسلبهم إياها، فلك أن تقطع رأسى هذا من فوق كتفى.
- ١٨٥
- ١٨٨ الأمير : وكيف نفترق عنهم عندما نبدأ العمل؟

(٨) الشتاء لا يبدأ حقيقة فى ٢١ ديسمبر كما يعلم التلاميذ خطأ، ٢١ ديسمبر قلب الشتاء فى النصف الشمالى لأن الشمس فى هذا اليوم تتعامد على مدار الجدى، ثم تبدأ متجهة نحو خط الاستواء فمدار السرطان إلخ.

بوان : نتحرك قبلهم أو بعدهم ونحدد لهم مكانًا للقاء وموعداً، ولنا أن نخلف هذا الموعد حسب ما يتراءى لنا، وعندئذ لا يجدون هم مناصاً من الانقضاض على الغنيمة وحدهم، وما أن يفوزوا بها حتى ننقض عليهم نحن فنسلبهم إياها.

١٩٤

الأمير : ولكن من المحتمل جداً أن يعرفونا بخيولنا وأن يميزونا بملابسنا ويكل ما عدا ذلك من سماتنا.

١٩

بران : دع عنك هذا، فخيولنا لن يروها، فسأربطها في الغابة أما أقنعتنا فسنغيرها ونلبس أقنعة أخرى حالما نفارقهم، وأن لدى يا فتى سترًا من التيل الخشن المقوى بالغراء معدة لهذا الغرض، ونستطيع أن نخفى به مظهرنا المعروف لهم.

٢٠٢

الأمير : ولكنى أخشى أننا لسنا ندًا لهم في القوة؛ وأننا سنلاقي من أمرنا عسرًا معهم.

بوان : لا عليك يا سيدى، فاثنتان من الثلاثة أعرف أنا حق المعرفة أنهما مطبوعان على الجبن والفرار بما يفوق طبع أى جبان، أما الثالث، فإذا قاتل أكثر مما تمس إليه الحاجة فلأهجرن سلاحى وأعتزل القتال ما حييت. وخير ما فى هذه المزحة، الأكاذيب الضخمة التى لا حصر لها والتى سيقصها علينا هذا الوغد السمين المترهل عندما يلقانا فى العشاء، كيف يبالغ وكيف يقول إن ثلاثين رجلاً على الأقل قاتلوه، وإنه التقى بعدد من نقط الحراسة، وما أكثر ما احتمل من ضربات، وما أشد ما صبر على ما لا يصبر عليه من آلام جاوزت الحد، على أن طلاوة هذه المزحة وحلاوتها هى فى تنفيذ هذه المزاعم.

٢١٣

الأمير : ليكن.. لأذهبن معك، فأعد لنا كل ما تراه لازماً، ولاقنى غداً مساءً فى أيسر تشيب حيث أتناول العشاء، وإلى اللقاء.

بوان : إلى اللقاء يا سيدى.

(يخرج بوان)

الأمير : إننى لأعرفكم جميعاً وأعرف سلوككم وسأسكت فترة ما على هواكم الجامح، ونزواتكم، الشقية التى هى وحى الفراغ والدعة.

ولكنى بسكوتى هذا أقلد فى صنيعى الشمس ٢٢٠

التى تسمح للسحاب الوضع الضار

أن يحجب جمالها عن الوجود،

حتى إذا ما بدا لها أن تستعيد ضياءها،

وكلما أحست بحاجة الناس إليها، زاد إعجاب الناس بها حين تنفذ ٢٢٥

بأشعتها خلال سحب الضباب القاتمة القبيحة التى خيل إلى الناس حيناً أنها خنقت نورها وكسفت ضياءها.

لو استحالت أيام السنة كلها مراتع للهو،

لكان اللهو مملاً كالعمل،

أما إذا كان هذا اللهو لا يجيء إلا نادراً فإن الرغبة فيه تشتد

وليس أدعى للسرور من الحوادث النادرة التى تأتى غباً.

٢٣٠

ولذلك فإننى حين أخلع عن نفسى هذا المسلك الماجن

وأودى الدين الذى لم أعد به أبداً،

ليكونن لفعالى وقعاً أثراً فى النفس مما لو اقتصرت على مجرد القول،

وبهذا أخيب ظن الناس فى،

وأبرهن على أن تقديرهم لشأنى لم يكن له أساس من الصحة،

وهكذا يحجب ضياء صلاحى الباهر ظل خطيئتي، ويحيل هذه ٢٣٥

الضلال القاتمة نوراً ويجعلها أكثر إشراقاً وبهاء

كالمعدن النفيس البراق يزيده لمعاناً وإشعاعاً وجودة على أرضية داكنة، والضد يظهر حسنة الضد.

وهكذا تبدو صنائعى أكثر جمالاً وأقوى جاذبية للعيون من الصنائع

التي لا إثم لها يجليها،

ولأقترفن الخطيئة بحيث أجعل من الذنب حذقًا ومهارة وأعوض بذلك
عن زمن أضعته وذلك في وقت لا يكاد الناس فيه يصدقون أنى
فاعل.

المنظر الثالث

وندسور - قاعة المجلس

(يدخل الملك ونورثمبرلند وورستر وهوتسبر وسير ولتر بلنت وغيرهم)

الملك : هأنتم أولاء عشرون أنى هادى الأعصاب لم يغل الدم فى عروقى
ولم تستثنى هذه التصرفات الشائنة التى تتم عن تنكر للولاء،
وفى الحق لقد استغللت صبرى عليكم، ولكنى من الآن فصاعدًا
أؤثر أن آخذ نفسى
بما يقتضيه مكانى
فأكون قويًا مهيبًا من أن أصيخ لما تمليه على طبيعتى المسالمة
فأكون هادئًا كالزيت أو ناعمًا كالزغب.
وبذلك أفقد حقى فى الولاء الذى يفرضه مقامى على رعاياى
والذى قلما تؤديه النفوس المتكبرة إلا قسرًا لمن هو أشد منها أنفة
وكبرياء.

١٠ ورستر : إن بيتنا يا مولاي الملك ما كان ليستحق بحال
أن تسلط عليه العظمة سياط نقيمتها
لا سيما إذا كانت هذه العظمة من صنع أيدينا،
ونحن الذين عاوننا على أن نزيدها مهابة وجلالا.
نورثمبرلند : مولاي.

١٥ الملك : اخرج من هنا يا ورستر،
فإنى أرى فى عينك وميض الخطر والعصيان،
أجل يا سيدى إن بقاءك فيه جرأة وتناول على جلال الملك
الذى ما ينبغى أن يحتمل بحال

مظهر تهديد أو قتامة غضب تبدو على جبين خادم من رعاياه.
لقد أذنت لك أن تفارقنا، وحين نحتاج على خدماتك ومشورتك
فسنبعث في طلبك (يخرج ورستر)، (مخاطبًا نورثمبرلند)
لقد كنت على وشك أن تتكلم.

٢٠

نورثمبرلند : أجل يا مولاي الكريم،

إن هؤلاء الأسرى الذين أخذهم هاري برسي في موقعة هولمدن
والذين طلب إليه تسليمهم باسم جلالتك، لم يحدث قط أن أصر
في عناد على رفض تسليمهم على حد قوله
كما أبلغ الأمر إلى مسامع جلالتك.

٢٥

وابنى ليس مذنبًا في هذا الأمر، وإنما الذنب ذنب الذى زيف
الأنباء التى بلغت مسامعكم،
إما عن حقد وموجدة وإما عن سوء فهم غير مقصود لمرامى
ابنى.

هوتسبر : مولاي، إننى لم أمنع عنك أى أسير،

ولكن الذى أذكره أنه عندما انتهت الواقعة

٣٠

وبينما أنا ألهث من ثورة النفس وإرهاق العمل،

وقد بلغ منى الوهن كل مبلغ وتقطعت منى الأنفاس،

وبينما كنت أتوكأ على سيفى مستندًا إليه، إذ جاءنى سيد من
اللوردات يتخطر فى رشاقة وأناقة وحسن هندام وجمال بزة كأنه
العروس يوم جلائه، قد فرغ لتوه من تصفيف لحيته،

فبدت كأنها حقل القمح بعد الحصاد

٣٥

يفوح منه العطر كأنه بائع قفازات ميلان المعطرة،

وأمسك بين سبابته وإبهامه علبة السعوط

يقربها من أنفه ثم يباعدها فى حركة رتيبة عاجلة،

فإذا ما باعد بين أنفه وبين السعوط

٤٠

بدا عليه الغضب بحرمانه من رائحته، فإذا ما أعاده إليه، ملأ به
معاطسه، وهو فى أثناء ذلك كله يبتسم ويتحدث. وينعت الجنود
وهم يحملون جثث الموتى لينقلوها بعيدًا بالأوغاد الذين لا يعرفون
التهذيب ولا التربية،

لأنهم جلبوا هذه الجثث المتحللة الكريهة

٤٥

بين نبالته وبين الريح،

وفى عبارات تذوب رقة ونعومة

حملنى على مبادلته الحديث، وكان من بين ما قاله لى أن طلب
إلى أن أسلمه أسراى باسم جلالتم،

ولما كنت حينئذ فى أشد الشعور بالألم من جروحي التى بدأت
تبرد وأحس أوجاعها بحيث لم أكن لأطيق أن أرمى فوق ما بى
بهذا البيغاء الثرثار،

٥٠

ومن ثم فإن آلام جروحي وضيق صدرى بهذا البلاء جعلانى
أجيبه بلا وعى ولا روية، وليست أعى ما قلته له أكان رفضًا أم
قبولًا، فقد أخرجنى عن صوابى أن أراه وضاء يخطف الإبصار
بأنافته، معطرًا يملأ الجو بشذاه،

٥٥

رقيقًا فى حديثه كأنه وصيفة من وصيفات القصور، يتحدث فى
نعومة عن المدافع والطبول والجروح بلهجة تبعث على الزراية،
وقى الله الصليب كل مكروه، ثم انثنى يحدثنى عن أن البلسم

هو أنجع علاج على الأرض لشفاء الجروح الداخلية ثم ارتد يلعن
ملح البارود ويقول

إنه لشيء يؤسف له كل الأسف، وفى الحق لقد كان

حديثه يبعث الأسف،

٦٠

أن يستخرج هذا الملح الملعون من جوف الأرض المسالمة.

ليحطم عددًا كبيرًا من الرجال الشجعان

ويقضى عليهم فى جبن ونذالة،

ثم يمضى ليخبرنى أنه لولا، هذه المدافع الخئون الغادرة
لأثر هو نفسه أن يكون جنديًا.

هذا الحديث التافه المقطع الأوصال يا مولاي حملنى على أن
أجيبه بلا تمنع وعلى غير هدى كما قلت، ولذلك أتوسل إليك يا
مولاي

٦٥

ألا تأخذ أقواله على ظاهرها وتتقبلها على أنها صادقة
فى اتهام ولائى لجلالتك يا مولاي المعظم.

: لقد محصت المسألة يا مولاي،

٧٠ بلنت

والمرجو أن تنسى كل ما قاله اللورد هارى برسى عندئذ.

لهذا الشخص فى ذلك المكان، وفى ذاك الزمان، المرجو أن
تنسى هذا جميعه مع كل ما قيل غيره وألا يثار هذا القول وألا
يتخذ سببًا

فى الإضرار به أو الانتقاص من قدره
ما دام هو ينكره الآن.

٧٥

: عجبًا، إنه لا يزال يمنعنى أسراه،

الملك

فهو يتحفظ ويشترط،

يشترط لتسليمهم أن نقوم فورًا من جانبنا وعلى نفقتنا

بافتداء أخ زوجه مورتيمر الأحق

٨٠

ذلك الذى غدر عامدًا

بحياة أولئك الذين قادهم فى المعركة

الذى شنّها ضد الساحر العظيم جلندور الملعون،

الذى سمعت أن هذا الإيرل مارش

قد تزوج ابنته أخيرًا، فهل نفرغ خزائنا

٨٥

لنخلص خائناً ونعيده إلى الوطن؟

وهل يستقيم أن نشترى الخيانة بأموالنا أو أن نتفاهم مع الجبناء
من أمثال مورتيمر الذى أضاع جنده وخدعهم بجبنه؟

كلا وأيم الحق.. دعوه يهلك جوعاً فوق الجبال القاحلة

ولن أعد الذى يطالبنى بأن أنفق مليماً واحداً

٩٠

لفدية هذا النائر مورتيمر وإعادته إلى الوطن،

لن أعده صديقاً لى أبداً.

: النائر مورتيمر!

هوتسبر

إنه لم يثر أبداً ولا انحاز للأعداء قط يا مولاي الملك ولكنها
الحرب وصروفها، وكفى للتدليل على صدق قولى أن تُطق هذه

٩٥

الجروح التى أثخن بها فى المعركة، كفى أن نعيدها لساناً واحداً،

إن هذه الجروح تفتح أفواهها شاهد صدق على ما أصاب هذا
الرجل الأمين

وهو يحارب بجدارة عند أعشاب شاطئ نهر سيفرن الهادئ
ويلتحم وجهاً لوجه فى نزال عنيف مع جلندور العظيم ويمضى
معظم ساعة فى مبادلتة الطعنات الثخينة،

وفى خلالها يتفقان ثلاث مرات على هدأة يجمعان فيها

١٠٠

أنفاسهما،

وثلاث مرات أخرى يشريان فيها من ماء النهر المندفع، ذلك
النهر الذى ما كاد يرى وجهيهما الداميين

حتى روع واندفع

يحث أمواجه من الخوف وسط الأحرش المرتجفة المرتعدة
ويخفى رؤوس أمواجه الملتفة فى جوف الشاطئ

١٠٥

الذى اصطبغ بدماء هذين المحاربين الكريمين.

وما كان للخداع السافر البغيض أن يخفى أساليبه المقيتة

بمثل هذه الجروح الدامية القاتلة.

وما كان مورتيمر الشريف النبيل ليلقى كل هذه الطعنات الكثيرة

ويحتملها كلها عن رضى وطوعية رياء وخداًء،

أما والحال ما ترى فلا تدع يا مولاي مورتيمر يرمى زوراً وبهتاناً
بالخيانة والغدر.

١١٠

: إنك تغزو إليه ما لم يعمل، وتمدحه بما لا يستحق

الملك

يا برسى،

فهو لم ينازل جلندور ولم يلتحم معه،

وأؤكد لك ذلك،

١١٥

ولأهون عليه أن يلقي الشيطان وحيداً

من أن يختصم جلندور ويناصبه العدا،

ألا تستشعر الخجل من موقفك هذا؟ فلا تدعنى من

الآن فصاعداً

أسمعك يا هذا تذكر مورتيمر أمامى أو تدافع عنه،

ووافنى بأسراك بأسرع وسيلة فى طوقك

وإلا فلا تلومن إلا نفسك،

إن سمعت منى ما تكره. وأنت يا لورد نورثمبرلند..

لقد أذناك أن ترحل مع ولدك،

وابعث إلينا بأسراك، وإلا فستسمع منا ما تكره.

(يخرج الملك هنرى ومعه بلنت والحاشية).

: لن أرسلهم ولو جاعنى الشيطان

١٢٥ هوتسبر

ودوى فى أذنى بصرخاته مطالباً بهم. سألق به فوراً

وأبلغه ذلك حتى يسكن جأشى

ولو تعرض راسي للمخاطر.

نورثمبرلند : ويك.. هل أخرجك الغضب عن وعيك؟ قف وتمهل قليلا،

وها هو ذا عمك قادم. (يعود ورستر)

١٣٠ هوتسير : أنتكلمون عن مورتيمر،

تا الله لأتكلمن عنه

ولأطلبين الغفران لروحي إذا لم أنضم إليه،
أجل لأفرغن من أجله هذه الدماء التي تمتلئ بها شراييني،

لأطئن دمي الغالي قطرة قطرة ليختلط به تراب الأرض
أو أرفع ذكر هذا المضطهد مورتيمر

١٣٥ : عاليًا في الأفق ليطاول هذا الملك الجحود

هذا الناكِر للجميل، بولنبروك الخبيث.

نورثمبرلند : (إلى ورستر) أخى لقد أثار الملك ابن أخيك حتى
كاد يجن.

ورستر : من ذا الذى أوقد هذا اللهب بعد خروجي؟

١٤٠ هوتسير : إنه يريد وأيم الحق أن يستولى على جميع أسراي،

وحين حاولت أن أحثه مرة أخرى

على افتداء أخى زوجى اصفرت وجنتاه

وأرسلت عيناه فى وجهى شواظاً يتهددنى بالموت،

وطفق يرتعد غضباً لمجرد ذكر اسم مورتيمر أمامه.

ورستر : لست ألومه على ذلك،

ألم يعلن الملك الراحل ريتشارد مورتيمر خليفة له؟

نورثمبرلند

: نعم أعلنه، وقد سمعت الإعلان بنفسى،

وكان ذلك عندما بدأ الملك لتعيس

- تجاوز الله عن خطاياہ نحنا -

حملته إلى إيرلندا،

١٥٠

تلك الحملة التى أوقفها وعاد منها

ليواجه العزل وليلقى بعد قليل حتفه.

ورستر

: أجل حتفه الذى نعیش بسببه

مجللين بالعار تنهشنا ألسنة العالم

هوتسبر

: ولكن مهلا أتوسل إليكما أن تقولاً لى أحقاً أعلن الملك

رتشارد حينئذ

أخى آدموند مورتيمر

وليّاً للعهد؟

نورثمبرلند

: أجل أعلن ذلك، وقد سمعت الإعلان بنفسى.

هوتسبر

: لا عجب إذن وليس لى أن ألوم ابن عمه الملك

إذا تمنى له أن يهلك جوعاً فى الجبال القاحلة،

ولكن أيليق بكم أنتم الذين وضعتم التاج

١٦

على رأس هذا الإنسان الجاحد،

ووصمتم أنفسكم من أجله بهذه الوصمة الكريهة

وصمة الاشتراك فى جريمة قتل،

أيليق بكم أن تتعرضوا للعنات العالم

باعتباركم فاعلين أصليين لهذه الجريمة أو أدوات ثانوية حقيرة فى

١٦٥

ارتكابها.

فكنتم الحبل والسلم، أو حتى الجلاذ؟

أوه، اغفروا لى انحذارى إلى هذا المستوى الوضع
لأكشف لكم عن الدرك الذى انحدرتم إليه
تحت سطوة هذا الملك الجبار.

أيليق، ويا للعار، أن تلوك الألسنة فى هذه الأيام وأن تمتلىء
صفحات التاريخ فيما يقبل من زمان أن رجلين لهما مثل محتدكما
النبل ونفوذكما القوى يقيدان أنفسهما ويسخران مكانتهما ونفوذهما
للدفاع عن قضية ظالمة

١٧٠

كما فعلتما أنتما الاثنان، سامحكما الله،
حين نزعتما ريتشارد، هذه الوردة الجميلة الفياحة
وزرعتما مكانه هذا الحسك، هذا النبت الشيطانى
بتولنبروك؟

١٧٥

وهل يليق أن تتحدث الألسنة، ويا للعار المزدوج،
أنكما رغم ذلك قد خدعتما ونحيتما وأبعدتما،
نحاكما هذا الذى تحملتما هذا العار من أجله؟
كلا.. فلا يزال فى الوقت متسع

١٨٠

لتستعيدا شرفكما المسلوب وتستردا مكانتكما الضائعة
فى نفوس العالم مرة أخرى
ولتنتقما من الاحتقار المهين الساخر الذى صبه عليكم
هذا الملك المتعجرف،

الذى يعمل دائماً ليل نهار
على أن يتخلص مما لكما فى عنقه من دين،
ولو كان فى ذلك الخلاص، الخلاص الدامى من
حياتكم،

١٨٥

ولذلك دعونى أقول لكما..

ورستر

: اهدأ يا ابن العم ولا تزد،

فسأكشف لك الآن سرًا مطويًا،

وسأقرأ عليك أمرًا خطيرًا بعيد الأثر

حف بالمخاوف وامتلأ بروح المغامرة

١٩٠

حتى ليحتاج على من يستطيع أن يعبر البحر الخضم

النائر

على صراط كالسيف حدة وضيقًا.

: فإذا ما سقط فعلى الدنيا السلاح، فليغص أو

هوتسبر

فليسبح.

ابعث الخطر من الشرق للغرب،

وليأت النيل من الشمال إلى الجنوب، وعندئذ فليلتقيا

أواه إن الدم يندفع في عروقي بشدة

أحرى بها أن تستنفر أسدًا في طراد من أن تروع أرنبًا.

: إن تعلق خياله بمغامرة عظيمة

٢٠٠ نورثمبلند

يدفعه إلى ما يجاوز حدود الصبر.

: بحق السماء إنى لأراها قفزة سهلة

هوتسبر

أن أرقى إلى القمر الشاحب الوجه فأنترع منه الشرف

الوضاء،

أو أن أنقض إلى أعماق البحر

لأغوص على غور سحيق لا تبلغه المسابير

فسأستنقذ الشرف الغريق وأرفعه من جدائله

٢٠٥

وعندئذ يستطيع هذا الذى خلص الشرف واستنقذه

أن يتحلى بكل فضائله غير منازع..
ألا بعدًا وسحقًا لحال مهين تقنسم فيه فضائل الشرف
وتوزع بين الطامحين.

ورستر : إنه يتيه فى دنيا من الخيالات والأوهام
لا صلة لها بالموضوع الذى فى أيدينا، والذى يجب أن
نتعهد، ٢١٠

يا ابن العم ألا تعرنى سمعك لحظات؟
: أسالك المعذرة.

ورستر : إن هؤلاء النبلاء الاسكتلنديين أنفسهم
الذين هم فى إسارك.

هوتسبر : سأحتفظ بهم جميعًا،
وأقسم لك أنه لن ينال قلامة ظفر من واحد منهم،
لا لن يأخذ واحدًا منهم حتى ولو كان استنقاذ روحه
معلقا على أخذه، ٢١٥

سأحتفظ بهم جميعًا وحق هذه اليد.

ورستر : لقد جمحت ثانية
ولم تعرنى سمعك لتسمع إلى معانى أقوالى،
إن هؤلاء الأسرى سوف تحتفظ بهم.

هوتسبر : أجل لأحتفظن بهم، ولكن هذا كلام معاد،
لقد قال إنه لن يفقدى مورتيمر

وأمرنى أن أكف لسانى عن الكلام فى شأنه، ٢٢٠
ولكنى سأبحث عنه وهو نائم

وأصرخ فى أذنه باسم مورتيمر
وسأعلم ببغاء ناطقة أن تردد اسم مورتيمر
ولا شىء سواه

٢٢٥

وأهديه إياها حتى تؤرقه
ولا تسمح لغضبه أن يسكن جأشه.

ورستر : اسمعنى يا ابن العم أقول لك كلمة.

هوتسبر : كل كلام فى هذا الشأن قد أقسمت على أن أطرحه
ورائى، ولا آبه له،

ما لم يكن مؤدياً إلى إغاضة بولنبروك هذا وتعكير صفوه،
أما هذا الأفاق قاطع الطريق ولى العهد،
فلولا ما أظنه من أن أباه لا يحبه
بل ويسره أن يلقى بعض العنت والضيق
لسممته بدن من الجعة.

٢٣٠

ورستر : وداعاً يا ابن العم، وسأتحدث إليك فى وقت آخر
يكون مزاجك فيه أكثر استعداداً لسماع ما أقول.

٢٣٥

نورثمبرلند : عجباً.. يا لك من مندفع قليل الصبر كأنما لدغك
زنبار.

أراض أنت عن أن تتخلق بخلق النساء
فتطوى أذنك وتصمها عن أن تسمع لغير لسانك وحدك؟.

هوتسبر : ألا ترى أنى حين أسمع نبأ هذا المخادع الحقير بولنبروك فكأنما
أحس أن العذاب قد سلط على فانهالت العصا على تجلد جسدى
وتفردى لحمى

٢٤٠

والأشواك تخزننى والنمال تلسعنى، وتهراً جلدى،

وتستثيرنى.

لقد كانت أول مرة انتتت فيها ركبتاى

لهذا الملك المرائى، هذا البولنبورك،

فى عهد ريتشارد فى مكان لست أذكره الآن.

فبماذا كنتم تسمونه،

ألا فليحل عليه الوباء، إنه فى جلوسترشير

٢٤٥

حيث كان يعيش الدوق يورك عمه المغامر البوهيمى،

حينما عدت أنتت وهو من ميناء رافنسبرج.

: عند قلعة بركلى.

نورثمبرلند

: لقد قلت حقًا.. وما الذى حدث عندئذ؟

٢٥٠ هوتسبر

لقد كان حديثه معى يتساقط شهدًا من رقة المجاملة

التى حبانى بها هذا الكلب المتملق.

فهو يقول "انتظر حتى يبدأ نجمه يتألق"

ويقفى بقوله "أى هرى برسى" و "ابن العم الشفوق".

أواه ليت الشيطان يتخطف هؤلاء أقارب الأدياء

النصابين. ألا فليغفر لى الله

٢٥٥

أيها العم الطيب، هات ما عندك فقد انتهيت

: بل عليك بالحديث إذا لم تكن أنهيته،

ورستر

وسأتلمس أوقات فراغك وهدوء نفسك لأحدثك حديثى.

: لقد انتهيت حقًا.

هوتسبر

: إذن لنعد مرة أخرى إلى حديث أسراك الإسكتلنديين،

ورستر

أطلق سراحهم فورًا دون انتظار للفدية،

٢٦٠

وأمسك عليك ابن دوجلاس واجعله وسيلتك

لإحراز قوات فى إسكتلندا وتجنيد القوى فيها إلى جانبك، وستنال
بغيتك بسهولة، وعندى من الأسباب المتعددة التى سأبعث بها
إليك كتابة ما يكفى لتأييد ذلك وتأكيده. (إلى نورثمبرلند) أما أنت
يا سيدى اللورد فى الوقت الذى يشتغل فيه ابنك بتعبئة القوى فى
إسكتلندا،

٢٦٥

حاول أن تكسب سرًا

ثقة ذلك الراعى النبيل

الأسقف المحبوب وتأيينه.

: أعنى أسقف يورك؟ أليس كذلك؟

هوتسبر

: بلى.. هو الذى عنيت، فهو ممتلى حفيظة

٢٧٠ ورستر

لموت أخيه اللورد سكروب فى برستول،

ولست أقول ذلك رجماً بالغيب

أو تخميناً لما أحسبه سيقع، بل أقول عن علم وبقين

بما يجول فى خاطره، وبما يدبر ويقدر

وبما يرسم من خطط تنتظر الفرصة السانحة

٢٧٥

لتسفر عن وجهها وتخرج للوجود.

: إنى لأشم ريحها، وبحياتى لتكونن خيراً لنا.

هوتسبر

: إنك دائماً تطلق الكلاب قبل أن يبدأ الطراد.

نورثمبرلند

: إنها لن تكون إلا خطة نبيلة،

هوتسبر

تتضم فى تنفيذها قوات إسكتلندا وقوات يورك

إلى قوات مورتيمر، أليس كذلك؟

٢٨٠

: هذا ما سيكون بلا ريب.

ورستر

هوتسبر

: إنها وأيم الحق خطة أحسن إحكامها وتسديدها.

ورستر

: على أن ما يدعونا إلى المبادرة ليس أمراً هيناً.

إذا ينبغي علينا أن نجند جيشاً كيما ننقذ رؤوسنا،

فمهما بالغنا في الكتمان الذي سنحيط به خطتنا،

فإن الملك سيظننا على الدوام أصحاب حق عليه،

٢٨٥

ويرى في سكوتنا أننا نطوى أنفسنا على عدم الرضا،

فيحيط بنا حتى تسنح له الفرصة فيأخذنا أخذ عزيز

مقتدر،

وهأنت ذا ترى كيف بدأت نواياه نحونا تظهر

في تغاضيه عنا وإنكاره إيانا وحرماننا عين الرضا والمحبة.

٢٩٠

هوتسبر

: هذا ما يفعله، هذا ما يفعله ولننتقم منه شر انتقام.

ورستر

: وداعاً يا ابن العم ولا تخط خطوة في هذا الأمر

حتى أزودك برسائلي التي سترسم لك الطريق وتحدد

الهدف.

وحين تنضج الأمور ويواتي الزمان، وسيكون ذلك

سريعاً،

سأسر إلى جلندور ولورد مورتيمر في الحال

بالمكان الذي سنلتقى فيه أنت ودوجلاس وجميع قواتنا

على أحسن حال

وفق الخطة التي سأرسمها

كيما نسمك أزمة أمورنا بأيدينا،

ونقرر مستقبلنا الذي لا يزال حتى الآن قلقاً غير مأمون

العواقب.

نورثمبرلند

: فى رعاىة الله أىها الأخ الطيب وتوفيقه، فإنى على تمام الثقة أننا سنوقف، وسننجح فى مسعانا.

هوتسبر

: مع السلامة أىها العم، وليت الساعات تدنو، والزمن

يجرى

حتى تشهد الميادين جهادنا وتسجل الطعنات والصيحات
أمجادنا.

(يخرجون)

الفصل الثانى

المنظر الأول

(روشستر - فناء فندق - يدخل حمال وفى يده مصباح)

الحمال (١) : يا أيها النوام ويحكم هبوا، إن لم تكن الساعة الرابعة وقد أوشك النهار أن يطلع فاشنقونى، إن الدب الأكبر قد أصبح فى سمت المدخنة الجديدة، مع ذلك فجيادنا لم تسرج بعد، ويك أيها السائس.

٤

السائس : (وهو يتساقط من النعاس من الداخل) هأنذا قادم على الفور:

الحمال (١) : أرجوك يا توم أن توازن أحمال حصانى لتخفف عليه العبء وضع بعض خصلات الصوف تحت السرج حتى لا يحتك بجلده، يا للحصان المسكين لقد هزأت جلده هذه البرذعة وأصابته بجراح كثيرة لا حد لها.
(يدخل حمال آخر)

٨

الحمال (٢) : إن الفول والبازلاء هنا قد أفسدتهما بسرعة وعنف شدة البرد والرطوبة فلم يعودا يصلحان للأكل وتناولهما على هذه الصورة هو أقصر طريق لإصابة هذه الخيول المسكينة بالديدان، إن هذا الفندق قد انقلب رأساً على عقب بعد وفاة روبن السائس.

الحمال (١) : يا للمسكين، إنه لم يلق ما يسره منذ ارتفع ثمن الشوفان، لقد كان فى ذلك القضاء عليه.

١٤

الحمال (٢) : يخيل إلى أن هذا الفندق هو أقذر فندق فى كل الطرق المؤدية إلى لندن، إنه مليء بالبراغيث، لقد أشبعتنى قرصاً ولدغاً كما تشبع الطفيليات السمك المرقش وخزاً.

الحمال (١) : كالسمك المرقش بحق القربان ما من ملك فى دولة المسيح قد ذاق من عذاب القرص مثل الذى ذقت منذ ما صاح الديك صياحه الأول

٢٠

الحمال (٢) : اسكت ويحك إنهم لم يسمحوا لنا بالمبيت فى غرفة أبدأ، وعندئذ
نضطر أن نتسرب إلى المدفأة، وهذه المنامة تنسل البراغيث
كأنها سمك البرغوث الذى يعج بالبراغيث
والقمل.

٢٥ الحمال (١) : ماذا بك أيها السائس، تعال هنا، أقبل وليتخطفك
الموت تعال.

الحمال (٢) : إن معى لحم خنزير مقدداً ودرنتين من الزنجبيل على أن
أوصلهما إلى تشيرنج كروس. ٢٨

الحمال (١) : يا لله، إن الديكة التى فى سلتى تكاد تهلك جوعاً.
ماذا بك أيها السائس، أسرع تخطفك الطاعون،
أليس لك عين فى رأسك ترى بها؟ ألا تسمعنى؟ لئن لم يكن
كسر رأسك عملاً طيباً كالشراب فما أنا إلا شقى؟
أقبل تخطفك الموت، أليس بك ذرة من إيمان؟ ٣٥
(يدخل جادشيل)

جادشيل : أسعدتم صباحاً أيها الحمالون، كم الساعة الآن؟
الحمال (١) : أظنها الثانية.

جادشيل : أرجو أن تعيرنى مصباحك لأرى حصانى فى الإسطبل.

الحمال (١) : كلا، مكانك يا سيدى فوأيم الحق لست غراً إلى هذا الحد، فقد
أعرف من الحيل ما هو أشد مكرًا من حيلتك. نعم وأيم الله.

جادشيل : (إلى الحمال) أتوسل إليك أن تعيرنى مصباحك.

الحمال (٢) : أراغب أنت فى مصباحى حقاً؟ ويك يا سيدى؟

إنك لن تتاله قبل أن أراك تشنق

: قل لى أيها الحمال متى تنتوى الوصول إلى لندن؟

الحمال (١)

: فى ساعة ما فى هذه المساء، أؤكد لك يا سيدى، هيا يا صديقى
"مجزر" ننادى السادة لنرحل فى ركبهم، إن معهم صحبة كبيرة
تسافر معهم لأنهم يحملون مالا كثيرًا.

(يدخل الحمالون إلى الفندق)

جادشيل

: يا من هنا، اسمعنى يا ندل أين أنت؟

الخادم

: (من الداخل) حاضر طوع يميناك كما يقول النشال.

جادشيل

: الأمر يستوى أن يقوله النشال أو أن تقوله أنت يا خادم الفندق،
فأنت لا تختلف كثيرًا عن النشال إلا فى أنك تقوم بالتدبير ورسم
الخطّة وهو يقوم بالعمل والتنفيذ.

٥٧

(يدخل الخادم قادمًا من الفندق).

الخادم

: صباح الخير أيها السيد جاد شيل، لقد صح عندى ما أنبأتك به
بالأمس فإن سيدًا من الملاك فى مرتفعات كنت قد قدم ومعه ما
يعدل مائتى مارك^(٩) ذهب، وقد سمعته يقول ذلك على العشاء
ليلة أمس لواحد من جماعه، إنه أحد رجال الخزانة المحاسبين
وهو الآخر يحمل مالا كثيرًا لا يعلم مقداره إلا الله، ولقد استيقظوا
جميعًا وطلبوا إفطارهم بيضًا وزيدًا، وسيرحلون لتوهم.

جادشيل

: اسمع يا غلام، إذا لم يلقيهم رجال القديس نيقولا^(١٠)

فى عرض الطريق فلك عنقى هذا.

الخادم

: لا لن أمس شعرة منه أبدًا، وأرجو أن تحتفظ به

للجلاد فأنا أعرف أنك ممن يدينون بعبادة القديس نيقولا

(٩) عملة إنجليزية قديمة تعادل ١٣ شلنًا وأربعة بنسات.

(١٠) كناية عن النشالين وقطاع الطرق.

جاشيل

عجباً أتتحدث إلى عن الجلاذ؟ رويدك يا رجل، فلو أنى شنقت لاقتضى ذلك إعداد مشنقة أخرى غليظة، فلو أنى شنقت لشنقى معى السير جون العجوز، وسير جون ليس رجلاً هيناً كما تعرف، صه إن وراءنا رجالاً آخرين يشاركوننا فى أعمالنا لا تحلم بهم، إنهم يعملون معنا بدافع من حب المخاطرة والرياضة فحسب، وهم قانعون بهذا، ومن ثم فهم يصفون على هذه المهنة بعض الرعاية، وهذا معناه أن الأمور إذا انتهت إلى أن تكون موضع التحقيق، فإنها ستسرى حفاظاً على المتجولين، ولا مع جماعة من النشالين الخطافين الذين يتصيدون الفقراء ويسرقون الملايم، ولا مع عصابة من السكارى ذوى الوجوه الحمر والشوارب الطويلة من حثالة اللصوص المعريدين، بل إننى أشارك سادة مترفين من ذوى اليسار والجاه، ورجال الخزانة العظام، والأعيان المأمونين الحريصين، الذين لا يثرثرون، والذين يؤثرون الضربات على الكلمات، والذين يفضلون صيحات الطريق أخرج ما معك، على صيحات الحانة هات الشراب، والذين يفضلون الشراب على الصلاة، بل لقد أسرفت فى هذا وأيم الله فهم دائبو الصلاة قريباً لقيديهم وهو الحكومة وإن شئت الحق فهم لا يتعبونها وإنما يستعبدونها، فهم يتخذون منها مطية لأغراضهم وينتعلونها ليبلغوا مطامعهم.

٩١

الخادم

وى.. أينتعلون الحكومة لتحقيق مطامعهم، أو تستطيع الحكومة أن تقيهم العوادي إذا جد الجد وحق بهم الخطر؟

جاشيل

"أجلى إنها تقيهم وترد عنهم، فقد حصنتها العدالة وأدمنتها بالشراب الذى يرد عنها الريب، إننا نسرق ونحن مطمئنون كأنما نسرق فى قلعة محصنة يحوطنا الأمن المطلق ونسير فلا يرانا أحد كأنما نحمل حبوب الإخفاء

فى جيوبنا.

٩٦

الخادم : أجل إنها تقيهم وترد عنهم، فقد حصنتها العدالة وأدمنتها بالشراب
الذى يرد عنها الريب، إننا نسرق ونحن مطمئنون كأنما نسرق
فى قلعة محصنة يحوطنا الأمن المطلق ونسير فلا يرانا أحد
كأنما نحمل حبوب الإخفاء فى جيوبنا.

الخادم : كلا وأيم الحق إنكم تدينون لليل بسيركم مختفين لا يراكم أحد لا
لحبوب الإخفاء.

جادشيل : هات يدك، ليكون لك نصيب فى غنيمتنا الليلة،
أقول هذا كما يقول الرجل الشريف. ١٠

الخادم : لا بل قلها كلص خبيث، وهو ما أنت فى الواقع.

جادشيل : إليك عنى، فالإنسان اسم عام لجميع البشر شرفاء وغير شرفاء،
مر السائس أن يخرج جوادى من
: الإسطبل، ووداعاً أيها الوغد المتبلد الإدراك. ١٠٦

(يخرجان)

المنظر الثانى

ممر ضيق بالقرب من قمة جادزهل. على بعد ميلين من روشستر، أدغال وأشجار وليل ساكن مظلم. الأمير وبيتو وباردولف يصعدون التل، وبوان يجرى فى أثرهم).

بوان : تعال.. اختف.. اختف، فقد نقلت حصان فلستاف من مكانه إلى موضع آخر وهو يهتز ويرتعد كما تتموج القטיפفة المصمغة الرعاشة.

الأمير : تتح.. اختف..

(يختفى بوان وراء دغل ويصعد فولستاف مقطع الأنفاس)

٤ فولستاف : بوان.. بوان.. أين أنت تخطفتك المشانق؟

الأمير : الهدوء.. الهدوء أيها الوغد المكتنز شحماً، ما هذا الضجيج الذى تحدثه.

فولستاف : أين بوان يا هال؟

٩ الأمير : لقد صعد على قمة التل، وسأذهب لأبحث عنه (ينضم لبوان)

فولستاف : إني لملعون أن سرقت مع عصابة هذا اللص. لقد نقل هذا الوغد

حصانى من مكانه وعقله فى مكان آخر لا أعرفه. أواه لو أنى مشيت أربعة أقدام عدًا بالمقاس سيرًا على قدمى إذن لخدمت أنفاسى وذهبت ريحي، ولست أشك فى أن بوان سيكون السبب فى مصرعى، ولكنى مع ذلك أنتوى أن أجعلها نهاية شريفة إذا أفلت من الشنق لقتلى هذا الشقى. لقد لعنت صحبته فى كل ساعة طوال هذه الاثنين والعشرين سنة، ولكن عصابة هذا الشقى ما فتئت تسحرنى. ألا فليكن الشنق مصيرى إن لم يكن هذا الوغد قد أعطانى جرعة مسحورة تحملنى على حبه، ولا يمكن أن يكون الأمر على خلاف ذلك، أجل لا بد أنى شربت جرعة الحب المسحورة. بوان.. هال أين أنتما تخطفكما الطاعون، أى باردولف أى بيتو، اشهدا أنى سأهلك إن تقدمت خطوة أخرى

للسرقة، ولو لم يكن عملاً طيباً كالشراب أن أستحيل رجلاً شريفاً
وأن أهجر هؤلاء الأشقياء لما كنت إلا أشد أهل الأرض جميعاً
شقوة ونذالة. إن مسير ثمان أذرع على القدم فى هذه الأرض
الوعرة ليعدل سبعين ميلاً بالنسبة لى، وهؤلاء الأوغاد القساء الذين
قدت قلوبهم من الحجارة يعلمون ذلك حق العلم. ألا فليحل
الطاعون بأهل الحرفة جميعاً، ما دام اللصوص لا يتعاطفون فيما
بينهم، ولا يخلص الواحد

منهم للآخر. (يصفرون)

ويحكم، فليُنزل بكم الطاعون جميعاً ردوا إلى حصانى أيها
الأشقياء، ردوا على حصانى، ولتتخطفكم المشانق بعد ذلك.

: (متقدم) الهدوء أيها البطن المكتنز، ارقد على الأرض وأصخ
السمع بأذنك بعد أن تلصقها بالأرض وقل هل تسمع وقع أقدام
المسافرين؟

: وهل لديك روافع تقيمنى من الأرض بعد أن أرقد؟ تالله إنى لا
أكاد أستطيع حراكاً ولن أحمل جسدى خطوة أخرى ولو أعطيت
خزائن أبيك كلها ثمناً لذلك. أى بلاء حملكم على أن تخدعونى
وتسخرؤا منى على هذا النحو؟

: إنك تكذب فما خدعت ولكن فقدت حصانك.

: أتوسل إليك أيها الأمير الطيب هال، يا ابن الملك الأكرم، أن
تعينينى على أن أمتطى جوادى.

: بعداً لك أيها الشقى أتريدنى على أن أكون سائسك؟.

: اذهب واشنق نفسك فى ربطة ساقك يا ولعى العهد،

تالله لو قبض على لأفشين سر هذا الأمر، وإذا لم أجعل اسمك
مضغة فى أفواه المغنين يسهرون بك فى أغانيهم

ويترنمون بهذه الأغانى على الألحان الساقطة البذيئة فليكن هذا

الكأس من النبيذ سمًا نافعًا يقضى على حياتي، إنى أكره المزاح
إذا زاد على حده، وخرج من القول إلى العمل.

٥٠

(يقترّب جاد شيل وهو ينزل من أعلى التل)

جادشيل : قف...

فولستاف : هأنذا واقف على الرغم منى. (يتقدم بوان وبارد ولف وبيتو)

بوان : إنه مرشدنا عرفته من صوته.

باردولف : ما وراءك من أنباء؟

جادشيل : تخف.. تخف.. ضع القناع على وجهك، إن أموالا للملك فى
طريقها إلى الخزانة منحدره من فوق التل.

فولستاف : إنك تكذب أيها الشقى، إنها فى طريقها إلى الحانة.

جادشيل ٦٠ : إن فيها ما يكفيننا جميعًا.

فولستاف : وما يكفى لشنقنا جميعًا.

الأمير : أيها السادة، إن عليكم أنتم الأربعة أن تواجهوهم فى الممر
الضيق، على حين أسير أنا وبوان على موضع سفلى، حتى إذا
استطاعوا أن ينجوا من مواجهتكم نزلوا إلينا.

٦٥

بيتو : ترى كم عددهم؟

جادشيل : حوالى ثمانية أو عشرة.

فولستاف : يا لله، ألا يسرقوننا هم، وهم أكثر منا عددًا؟

الأمير : ماذا تقول، أجبان أنت يا سير جون الضخم البطن؟

فولستاف : فى الحق أنا لست سير جون النجيل جدك، ولكنى مع هذا لست
جبانًا يا هال.

٧١

الأمير : فلندع هذا الآن فمحكه التجربة.
بوان : أسمع يا جاك، إن حصانك يقف وراء السور، فإذا احتجت إليه
فستجده هناك وداعاً واصمد في مكانك.

٧٥

فولستاف : ألا سبيل على أن أدق عنقه إذا كان لا بد أن أشنق؟

الأمير : أين أقنعتنا التي سنختفى بها يا ند؟

بوان : إنها حاضرة في مكان قريب جداً، اختف...

(ينسحب الأمير وبوان مبتعدين)

فولستاف : والآن أيها السادة، أرجو أن يحالفنا الحظ جميعاً مهما تكن
الأحوال وليقم كل منكم الآن بواجبه.

٨١

(يسمع صوت المسافرين وهم ينزلون من التل)

المسافر (١) : هيا يا رفيقي نتمشى قليلا على أقدامنا لنريح أرجلنا من مشقة
الركوب وسيقود الغلام خيولنا إلى أسفل التل.

الصوص : قف مكانك.

المسافرون : رحماك يا رب.

فولستاف : اضرب، أجهز عليهم، قطع رقاب هؤلاء الأوغاد

الأدنياء العالة على المجتمع، الذين أكلوا أمواله بالباطل، الذين
اكتنزوا شحماً ولحماً من أكل خيرات الأرض. إنهم يكرهوننا نحن
الشباب، أسقطوهم وجردوهم من أموالهم.

المسافرون : يا ويلتاه.. لقد ضعننا.. ضعننا وضاعت أموالنا إلى الأبد.

فولستاف : مكانكم أيها الأوغاد الضخام البطون. هل ضعتم حقاً؟

كلا! يا أيها الممثلةون شحماً ومالا. وددت لو كانت خزائنكم
معكم هنا. عليكم بهؤلاء القرويين السمان. عليكم بهم، ماذا

تريدون أيها الأوغاد؟ إن من حق الشباب أن يعيشوا مثلكم، وأن ينعموا بالحياة. إنكم سرقة أمثال، ولذلك سنمثل بكم وأيم الحق.

(وعندئذ يهجمون عليهم ويسرقون ما معهم ويوثقونهم بالحبال ثم يقودونهم إلى أسفل التل، ويعود الأمير هنرى ومعه بوان متخفيين فى أقنعة جديدة).

الأمير : لقد أوثق اللصوص قياد الرجال الأمناء، فهل فى مكننتنا أنا وأنت أن نسرق هؤلاء اللصوص، وأن نعود إلى لندن فرحين مبتهجين، لكى يكون هذا الحادث سلوتنا فى أحاديثنا طوال هذه الأسبوع ومصدر ضحكنا المتواصل طوال هذا الشهر، ومعينًا طيبًا للتندر والفكاهة إلى الأبد؟

١٠٣ بوان : اختف.. فأنا أسمعهم قادمين. (يدخل اللصوص ثانية)

فولستاف : تعالوا أيها السادة نتقاسم الغنيمة فيما بيننا ثم نسارع إلى جياندا قبل أن ينبثق النهار. ألا يكن الأمير وبوان جبانين ملعونين فلا داعى لإثارة خلاف حول العدالة. على أن بوان ليس فيه من الإقدام والشجاعة أكثر مما فى البط الوحشى الذى يفر طائرًا لأول بادرة من خطر. (وفيما هم يتقاسمون الغنيمة بقع عليهم الأمير وبوان)

١٠٨

الأمير أخرجوا أموالكم ، على بها

بوان : أيها الأندال (يفرون جميعًا تاركين الغنيمة وراء هم ثم يتبعهم فولستاف بعد ضربة أو اثنتين فارا بجلده وهو يجأ بالصياح ملتمسًا الرحمة والعفو بينما الأمير وبوان يخزانه من الخلف بطرفى سيفيهما).

لقد استولينا على الغنيمة بغاية السهولة، فهيا بنا الآن

إلى جياندا نمتطى صهوتها فى مرح وسرور،

لقد تفرق اللصوص أيدى سبأ، وتملكهم الرعب تملكًا

قويًا حتى لم يعد واحد منهم يجرؤ على أن يلقى أخاه.

فقد حتى لم يعد واحد منهم يجرؤ على أن يلقى أخاه.

فقد بات كل منهم يخشى صاحبه ويحسبه الشرطى.

هيا بنا أى ند الطيب. لقد سال العرق من فولستاف

بغزارة

وأسخن التربة الرقيقة بشحمه المتناثر المنسال وهو يسير

على طول الطريق،

ولولا أن الموقف أثار ضحكاتى لرثيت له حقًا.

: أرأيت كيف كان الشقى البدين يجأ بالصياح؟

بوان

(يذهبان)

obeikandi.com

المنظر الثالث

(حجرة فى قلعة وركورث. يدخل هوتسبر وحده وهو يقرأ خطاباً)

هوتسبر : "أما عن نفسى يا سيدى اللورد، ففى استطاعتى أن أقنع بأن أكون هناك تقديرًا لما أكنه من حب لبيبتكم" يستطيع أن يقنع! ألم يقنع بعد؟ وتقديرًا للحب الذى يكنه لبيبتنا! لقد كشف هذا الخطاب عن دخيلة نفسه، وأنه يحب ببياديه أكثر من حبه لبيبتنا ومع هذا فلا تأبع قراءة ما يقول "إن الهدف الذى تسعى إليه جد خطير"، هذا أمر مسلم به، والخطر موجود فى كل شىء، فنزلة البرد خطرة، والنوم خطر، والشراب خطر. ولكن دعنى أقول لك أيها اللورد الأحمق إننا نقطف هذه الزهرة الجميلة، زهرة الأمن والسلامة من بين هذا الشوك، وهو الخطر. "إن الهدف الذى تسعى إليه خطر، والأصدقاء الذين سميتهم لا أمان لهم، والوقت نفسه الذى اخترته ليس ملائمًا، وخطتك كلها أهون من أن تصمد لمثل هذه المعارضة القوية". أنت الذى تقول ذلك؟ أتقولها أنت؟ إذن فدعنى أقل لك مرة أخرى إنك جلف جبان فارغ العقل وإنك تكذب.

ألا ما أقل عقل هذا الرجل، تا الله إن خطتنا لأحكم خطة وضعت، وأصدقائنا مخلصون ثابتون على العهد، خطة محكمة وأصدقاء أوفياء، ومشروع يبشر بالأمل والنجاح. أجل، إنها خطة رائعة الإحكام وأصدقاء غاية فى الثبات والولاء. فأى شقى خائر الفؤاد هذا الرجل؟ ما هذا الذى يقول؟ إن كبير أساقفة يورك قد امتدح الخطة وأنتى على سير الأمور وطريقة التنفيذ. تالله لو أنى كنت بجانب هذا الوغد الآن لقضيت عليه بضربة من ريش مروحة زوجه. أليس وراء هذه الخطة أبى وعمى وأنا نفسى؟ أليس وراءها لورد إدموند مورتيمر وكبير أساقفة يورك وأوين جلندور؟ بلى، وأليس وراءها فوق هؤلاء آلا دوجلاس؟ ألم ألتق منهم خطابات يعدوننى فيها بلقائى مسلحين قبل اليوم التاسع من الشهر القادم؟ وألم يبدأ بعضهم بالمسير فعلا؟

يا لله، أى وغد وثنى هذا الرجل!

يا للكافر الجاحد! واهًا له لسوف أرى أنه بدافع من

إخلاصه الشديد للخوف وخور القلب

سيسارع إلى الملك ويفضى إليه بتفاصيل خطتنا.

ويلاه لأشطرن نفسى شطرين وأتركهما يحترقان ويكيلان اللكمات

بعضهما لبعض جزاء على مغامرتى بتحريك

هذا الخائر الهمة

لمثل هذا المقصد النبيل. ذروهن حلت عليه اللعنة، يفضى للملك

بأننا مستعدون، فسأبدأ العمل الليلة.

(تدخل زوجه) مرحى يا كيت، وفيم قدومك، إننى

مضطر لتركك خلال هاتين الساعين.

: أواه يا سيدى اللورد الطيب، ما الذى حملك على هذه الوحدة التى

تفرضها على نفسك؟

وأى ذنب جنيته خلال هذين الأسبوعين

حتى هجرت مضجعى وحرمتنى من لقائك أى هارى

العزیز؟

ألا تفصح لى عن هذا السر الذى سلبك

شهيتك للطعام وحرملك لذة العيش وأقض مضجعتك،

ونفى النوم اللذيذ عن عينيك،

ألا توضح لى سر إطراقك وتعلق عينيك بالأرض؟

بالله ألا قلت لى فیم فزعت كلما خلوت إلى نفسك؟

ولم غاض الدم النقى من وجنتيك حتى شحبتا؟

وفیم سلبتتى حقوقى الثمينة فيك

وأضفيتى على هذا الفكر المسئم والحزن الملعون اللذين استغرقت

٣٥

السيدة برسى

٤٠

٤٥

فيهما؟

لقد راقبتك وأنا بجانبك حين تغفو هذا الإغفاءات
الخاطفة،

٥٠

فسمعتك تردد قصصًا عن الحروب الحديدية،
وسمعتك تهتف بعبارات التشجيع لحصانك،
وتصيح "الشجاعة إلى الميدان!" وسمعتك تتكلم
عن الكر والفر وعن الخنادق والخيام،
وعن المتاريس والسدود،

٥٥

وعن الحواجز والموانع، وعن المدافع على اختلاف أنواعها
وعن فدية الأسرى عن الجنود المذبوحين،
وعن سير القتال العنيف وتقلباته.

لقد كانت نفسك التي بين جنبيك هي الأخرى في عراك دائم
كان يستثيرك ويحركك في نومك،

٦٠

حتى كانت قطرات الغرق تتكاثف فوق جبهتك
كأنها فقاعات الهواء في مجرى قد اضطرب ماؤه لتوه
وجعلت وجهك تبدو عليه مظاهر غريبة
كتلك التي تبدو على الذين يحبسون أنفاسهم
عندما يفاجأون بأمر عظيم أو قرار خطير، أواه..
أى نذر هذه!

٦٥

إن لدى سيدى اللورد عملاً خطيراً يشغله،
ومن واجبى أن أعرفه، وإلا كان سيدى اللورد لا يحبني.

: يا من هنا؟ (يدخل الخادم)، هل رجل جليامز^(١١)

هو تسير

وأخذ معه الحزمة؟

- الخادم : أجل يا مولاي رحل منذ ساعة.
- ٧٠ هوتسبر : وهل أحضر بتلر هاتيك الجياد من عند الوالى؟
- الخادم : قد أحضر حصانًا واحدًا يا مولاي، أحضره تَوًّا.
- هوتسبر : ومن أى نوع هذا الحصان؟ أهو كميت مرفوع الأذن؟
- الخادم : أجل يا مولاي، هو كذلك.
- هوتسبر : هذا الكميت سيكون المطية التى أعتليها،
وسأعلو متته لفورى، وأملى فى الله هو اعتمادى
مر بتلر أن يقوده إلى الخارج فى الحديقة.
(يخرج الخادم)
- السيدة برسى : ولكن أرجو أن تستمع لى يا مولاي.
- هوتسبر : ماذا تقولين يا سيدتى؟
- السيدة برسى : ما الذى يملك على هذا السفر؟
- هوتسبر : يحملنى حصانى يا حبيبتى، حصانى..
- السيدة برسى : إليك عنى أيها القرد المجنون! إن ابن عرس تتطوى
جوانحه على مثل هذا الضيق والغضب
الذى يمزق فؤادك ويضيق به صدرك
وأيم الحق لأعرفن هذه المهمة التى تأخذ بها نفسك
يا هارى، ولأعرفنها حتما.

أخشى أن يكون أخى مورتيمر قد تحرك

: ليطالب بالتاج، وأنه بعث إليك

يناشدك أن تؤيده في حركته. ولكنك إذا سرت
ورحلت...

هوتسبر : إذا سرت هذه المسافة كلها على قدمي، تعبت
يا حبيبتى.

السيدة برسى : دع عنك هذا أيها البغاء الصغيرة، دعك من هذا
وأجبنى على سؤالى إجابة صريحة،
وأقل لك الحق يا هارى جادة فيما أقول

هوتسبر : إنك لم تصارحنى بحقيقة الأمر فى صدق فسأعصرن
خنصرك.

٩٠

إليك عنى.. إليك عنى أيتها التافهة، أتحدثين عن
الحب؟ أنا لا أحبك، ولا أهتم لأمرك يا كيت!
إن هذه ليست دنيا نلعب فيها بالعرائس والدمى،
ونتراشق بالشفافة بدلا من السهام،

٩٥

بل دنيا تقضى علينا بأن تكون لنا أنوف دامية ورؤوس
مهشمة،

وأن نشترك فى قتال ندمى فيه الرؤوس. كان الله فى عونى. على
بحصانى.

ماذا تقولين يا كيت؟ ش ماذا تريدين منى؟

السيدة برسى : ألا تحبنى.. أحقا إنك لا تحبنى؟

أرجو ألا تحبنى إذن، وما دمت لا تحبنى

فلن أحب نفسى. قل الحق ألا تحبنى؟

أجل أفصح عن دخيلة نفسك وانطق، أكنت تمزح

١٠٠

أو تقول الحق؟

هوتسبر

: تعالى.. ألا تحبين أن تودعينى وأنا أركب؟

وعندما أمتطى صهوة جوادى فسأقسم لك

إنى أحبك حباً لا يعد له حب. ولكن اسمعى يا كيت،

١٠

بودى ألا تسألينى من الآن فصاعداً

إلى أين أنا ذاهب ولا فيم أنا ذاهب،

فأنا يجب أن أذهب حيث يجب أن أذهب.

ويجب أن أودعك هذا المساء أى كيت الرقيقة،

أنا أعرف أنك عاقلة، ولكن عقلك وحكمتك

١١٠

ليسا أكثر من عقل زوج هارى برسى وحكمته. وأنا

أعرف أنك ثابتة على العهد وفية

ولكنك مع ذلك لست غلا امرأة، وأما من جهة حفاظك

على السر

فليس أصون منك امرأة، ذلك أننى أومن أنك

لن تبوحى بسر لا تعرفينه.

١١٥

والى هذا القدر أنا أثق بك وأأتمنك يا عزيزتى كيت.

السيدة برسى

♦ وكيف وما هو هذا القدر؟

: هذا القدر لن يمتد قيد أنملة. ولكن اسمعى يا كيت

هوتسبر

أقول لك إننى حيثما أذهب ستذهبين،

وسأرحل أنا اليوم، وأنا أنت فترحلين غداً.

أفيريضيك هذا يا كيت ويقنعك؟

١٢٠ السيدة برسى

: الضرورة تحملنى على الرضا قسراً عنى.

(يخب مسرعا لحصانه وهى تتبعه ساهمة)

obeikandi.com

المنظر الرابع

حجرة فى حانة رأس الحلوف فى إيست تشيب، وفى مؤخرتها مدفأة كبيرة، وبجانبها مقعد خشبى طويل. الوقت منتصف الليل. يدخل الأمير من أحد الأبواب ثم يعبر الغرفة ويفتح بابًا فى مواجهة الباب الأول، ثم ينادى.

الأمير : أرجوك يا ند أن تخرج من هذه الحجرة الخائقة الفاسدة الهواء،
وتعال عاونى على أن نضحك قليلا.

(يخرج بوان إليه)

بوان : وأين كنت يا هال؟

الأمير : لقد كنت فى القبو مع ثلاثة أو أربعة من أصحاب الرؤوس
الفارغة وبين ستين أو ثمانين دنًا من دنان الشراب.

وقد اختبرت أحط درك للابتذال وأصبحت يا فتى أخًا فى العهد
لمجموعة من السقاة والندمات أعرفهم بأسمائهم التى عمدوا بها
كتوم وديك وفرانسس، وقد اقسما جميعًا بحق يوم الخلاص أننى
وإن أكن ولى العهد فإنى ملك اللطافة والظرف، وقالوا لى فى
صراحة إننى لست غرًا متعجرفا كفليستاف بل فتى مرحًا، حلو
الشمائل، كريم العنصر، طيب النفس، تا الله لقد نعتونى بهذه
الأوصاف جميعًا، وعندما أصبح ملكًا لانجلترا سأكون حامل لواء
كل هؤلاء الفتيان الطيبين فى إيست

تشيب.

إنهم يسمون مدمنى الشراب ذوى الصبغة الحمراء، وهم يصيحون
بك حين تتوقف فى منتصف الشراب لتتنفس إحم ويأمرونك أن
تجرع كأسك دفعة واحدة. وكى لا أطيل عليك أقول إنى قد
أصبحت فى أقل من ربع ساعة خبيرًا ممتازًا بحيث أستطيع الآن
أن أشرب طوال حياتى مع أى سمكرى، وأن أنقاهم معه بلغته

الخاصة.

وأقول لك الحق يا ند إنك قد فاتك شرف كبير لأنك لم تصاحبنى

فى مجلس الشراب هذا. ومهما يكن من شىء يا ند الحبيب فكيف
أزيد اسمك حلاوة أهيك قطعة السكر هذه التى دسها فى يدي فى
هذه اللحظة مساعد الساق، وهو رجل لم يتكلم من الإنجليزية فى
حياته كلها إلا بضع كلمات لا تعدو "ثمانية شلنات ونصف" و
"مرحبًا بك" مضافًا إليها بعض عبارات أخرى ينطقها بصوته
الحاد المرتفع قادم يا سيدى حالا، حالا يا سيدى، ابعت بزجاجة
من النبيذ الأسباني إلى حجرة القمر"ن أو ما شابه ذلك من
الألفاظ، ولى لديك رجاء يا ند نقطع به الوقت حتى يعود فلستاف
هو أن تقف بإحدى الحجرات الداخلية حتى أستجوب أنا هذا
الساقى الصغير الحدث عن السر فى إعطائه إياى هذا السكر،
وما الذى يقصده، على ألا تكف طول الوقت عن مناداته باسمه
فرانسس، لكيلا يخرج حديثه معى عن قولة "حاضر قادم حالا".

فادخل الآن وسأريك مثلاً عملياً لما رويت لك.

(يعود بوان إلى الحجرة التى جاء منها ويترك بابها مفتوحاً خلفه)

بوان : (من الداخل) فرانسس، فرانسس.

الأمير : أحسنت.

٤٠ بوان : (من الداخل) فرانسس.

(يدخل فرانسس من الباب فى عجلة)

فرانسس : حاضر حاضر حالا ، حالا يا سيدى، أسرع أنت

يا رالف بالنزول إلى حجرة الرمان.

الأمير : تعال هنا يا فرانسس.

فرانسس : سيدى اللورد

الأمير : كم سنة يجب عليك أن تخدم يا فرانسس؟

فرانسس : خمس سنوات بالحق يا سيدى وأزيد بقدر..

- بوان : (من الداخل) فرانسس.
- ٤٩ فرانسس : حاضر حالا، حالا يا سيدى.
- الأمير : خمس سنوات بحق العذراء، إنها مدة أطول من أن تقضى فى
قرع الكؤوس والصحاف، ولكن ألا تجرؤ يا فرانسس على
الخلاص من تعهدك بتعلم هذه الحرفة، وأن تولى الأدبار وتفر
من هذا القيد. ٥٤
- فرانسس : سيدى اللورد، أقسم لك بكل كتاب مقدس فى إنجلترا إنى أجد فى
قلبى...
- بوان : (من الداخل) فرانسس.
- فرانسس : قادم حالا يا سيدى.
- الأمير : كم عمرك الآن يا فرانسس؟
- ٦١ فرانسس : دعنى أتذكر يا سيدى، سأكون فى عيد القديس
ميخائيل القادم..
- بوان : (من الداخل) فرانسس.
- فرانسس : قادم حالا يا سيدى، أتوسل إليك يا سيدى اللورد أن
تمهلنى لحظة.
- الأمير : أجل ولكن اسمع يا فرانسس، إن السكر الذى أعطيتنيه
يساوى بنسا، أليس كذلك يا فرانسس؟ ٦٦
- فرانسس : أواه يا سيدى، وددت أن أعطيك ما يساوى البنسين.
- الأمير : سأعطيك فى مقابل هذا السكر ألف جنيه، فاسألنى
إياها عندما تريدها ولتأخذنها عندئذ. ٧٠

بوان : (من الداخل) فرانسس.
فرانسس : قادم حالا حالا..
الأمير : أتريدها حالا يا فرانسس؟ لا يا فرانسس، ليكن غداً يا فرانسس، أو
يوم الخميس أو وقتما تريد يا فرانسس،
ولكن يا فرانسس!

فرانسس ٧٦ : مولاي.
الأمير : هل أنت مستعد أن تخدع ذى الميدعة الجلدية، والأزرار الفضية
البراقة والشعر المقصر، والخاتم العقيق، والجوارب الداكن، ورباط
الساق الصوفى الخشبي، ذى البطن المنتفخ والجيوب الجلدية
المتورمة واللسان الناعم.
٨٠

فرانسس : رياه يا سيدى اللورد، من هذا الذى تعنى؟
الأمير : إذا كنت لا تجد الشجاعة على الفرار من هذا الرق فأنت مقضى
عليك أن تظل بقية حياتك تخدم، وتقدم هذا النبيذ الأسباني
الداكن، وأنت تشاهد هذا الصدار الأبيض الجميل، وهو يتحول
مع الأيام من قذر إلى أقدر، إن ألف جنيه فى مقابل سكر ببينس
واحد هو عرض طيب مغر، قل أن يوجد مثله فى بلاد البربر
نفسها.
٨٥

فرانسس : ماذا تقول يا سيدى؟
بوان : (من الداخل) فرانسس.

الأمير ٨٩ : اذهب أيها الشقى، ألا تسمعهم ينادونك.
(وهنا يقف الساقى فى حيرة فكلاهما يناديه وهو لا يدرى فى أى
طريق يذهب، وعندئذ يدخل صاحب الحانة).

صاحب الحانة : ما هذا، وفيم وقوفك ساكناً، ألا تسمع هذه النداءات؟

اذهب وأجب الزبائن فى الداخل (يذهب فرانسس)

سيدي إن السيد جون العجوز ومعه ستة من الرجال واقفون
بالباب، فهل أُمسح لهم بالدخول؟

٩٤

الأميرة : دعهم وحدهم لحظة ثم افتح الباب بعد ذلك.

(يذهب صاحب الحانة)، بوان!

بوان : (عائداً) قادم حالا، حالا يا سيدي

الأمير : اسمع يا فتى، إن فلستاف وبقية اللصوص بالباب،

أُستعد أنت للمزاح والمرح؟ ٩٩

بوان : إني أُمرح كالصرصور يا فتاي، ولكن اسمع، ما هو الهدف

الحقيقى من وراء هذا المزاح الماكر مع هذا

الساقى؟، هيا خبرنى، ما هو الموضوع؟ ١٠٣

الأمير : إني متعدد الأهواء، أهوى كل مزاح ظهر على الأرض،

منذ عهد أبينا الطيب آدم حتى يومنا هذا، بل حتى هذه الساعة

الثانية عشرة من منتصف هذا الليل

(يمر بهما فرانسس مسرعا وهو يحمل الشراب) كم الساعة يا

فرانسس؟

١٠٩ فرانسس : قادم حالا، حالا يا سيدي (يخرج)

الأمير : إن هذا المخلوق لا يردد إلا كلمات قليلة أقل مما يعرفه الببغاء،

ومع ذلك، فهو ابن أنثى. إن عمله كله محصور فى الصعود إلى

الدور الأعلى والهبوط إلى الدور الأسفل وفصاحته لا تزيد على

ترديد حساب الطلبات.. على أنى لم أنحدر بعد إلى أن أكون من

صنف برسى هوتسبر الشمالى الذى لا ينعشه إلا القتال ولا يتمتع

إلا إراقة الدماء، إنه يقتل ستين أو سبعين من الإسكتلنديين وقت

الإفطار، ثم يغسل يديه ويقول لزوجته "تباً لهذه الحياة الهادئة،

١١٥

غنى أتحرق للعمل". فتقول له زوجته: "أى حبيبى هارى، كم كان عدد قتلاك اليوم؟" فيقول: "أعطوا حصانى الكمية شربة ماء"، ثم يجيب: "حوالى أربعة عشر" وبعد حوالى ساعة يقول: "هذا عمل تافه جداً"

أرجوك أن تتنادى فولستاف، فسألعب دور برسى، وسيقوم هذا الخنزير السمين الملعون بدور السيدة مورتيمر زوجه. علينا بالشراب "الخمير، الحمر" هكذا يقول السكارى، ناد هذا العظيم، ناد هذا الشحم.

١٢٥

(يدخل فولستاف ومعه جادشيل وبارد والف وبيتو، يتبعهم فرانسس حاملاً كئوس النبيذ، فولستاف لا يلقى بالا إلى الأمير وبوان ويجلس متداعياً إلى إحدى الموائد).

: مرحباً بك يا جاك أين كنت؟

بوان

: (محدثاً نفسه) الويل للجناء والانتقام منهم أيضاً، أقول ذلك أنا، الويل لهم آمين. أعطنى كأساً من النبيذ يا غلام. لأشغلن قبل أن يمتد بى العمر فى إصلاح الجوارب فأخيط المخرق، وأرفو المهلهل، وأحيك الكعوب. الويل لكل الجناء أعطنى كأساً من النبيذ أيها الشقى، يا لله ألم يبق للرجولة وجود فى هذه الأيام؟ (يشرب الكأس)

١٣٢

: (مشيراً) ألم تر فى حياتك يا بوان الشمس وهى تقبل طبقاً من الزبد؛ الشمس الرحيمة القلب؟ لقد استمع إلى عزل الشمس فذاب وجداً، فإلا تكن نظرته فانظر إلى فولستاف، إلى وجهه الأحمر وإلى قدح النبيذ

الأمير

يذوب كما يذوب طبق الزبد.

١٣٦

: (وهو يعطى فرانسس الكأس الفارغة) يا لك من شقى، إن هذا النبيذ قد خلط بالجبر أيضاً، ونفوس الأذنياء الخبيثاء لا تتطوى على شىء إلا الشقوة والخبث. ومع ذلك فإن الجبان أسوأ من

فولستاف

يا لك من جبان خبيث الطوبة،

سر فى طريقك أى جاك العجوز ومت حينما تشاء،

وإذا كانت الرجولة، الرجولة الحقة لم يخل منها وجه

الأرض ولم تتس، فإنى إذن لمستضعف كسمكة واهنة. إنه لم

يبقى على وجه الأرض فى إنجلترا إلا ثلاثة رجال أصلاء لم

يشفقوا بعد، وواحد من هؤلاء رجل

بدين قد صار كهلاً،

كان الله فى عونه على هذا الزمان، هذا الزمان الغادر حقاً،

وددت لو أنى كنت ناسجاً أغزل بيدي وأترنم راضى النفس

بالمزامير أو بغيرها، أواه.. ويل للجبناء، ويل للأشقياء، إنى لا

أزال أرددها.

١٤٩ الأمير

: ماذا بك أيها الكيس المكتنز، وما هذا الذى تردده؟

فلوستاف

: (يلتفت له) أنت ابن ملك؟ قسمًا لأحلقن عذارى وأسير فى

الأرض حليقًا إن لم أطرده خارج مملكتك بخنجر من الخشب

وإن لم أسق رعيته أمامك كقطيع من الأوز البرى المذعور، أنت

أمير الغال وولى العهد؟

الأمير

: ويك أيها الوغد البدين الحقير، ما الذى حدث؟

فلوستاف

: ألسنت جبانًا، أجبنى عن سؤالى أنت، وبوان هذا

أليس هو مثلك؟

بوان

: عليك اللعنة أيها المكتنز الغليظ البطن، قسمًا بالسيد

المسيح لئن دعوتنى جبانًا مرة أخرى لأطعنك بخنجرى

(يجرد خنجره)

فلوستاف

: أدعوك جبانًا! لوددت أن تحل بك اللعنة قبل أن أدعوك جبانًا،

ولوددت أن أدفع ألف جنيه لو كان فى طوقى أن أفر سريعاً كما
تفر. إن كتفك آية فى الاستواء، بحيث لا يعنك أن يراك أحد
وأنت تولى الأدبار، أسمى هذا الإدبار مظاهرة لإخوانك وتأييداً؟
الويل لمثل هذه المظاهرة. فليواجهنى منكم من يقدر على هذه
المواجهة، (ثم يوجه القول لفرانسس) أعطنى كأساً من النبيذ يا
غلام، ويلي إنى لشقى إن كنت قد شربت
اليوم.

١٦٩

الأمير : يا لك من نذل، إن شفتيك لم تجفا بعد من آخر كأس
تجرعتها.

فولستاف : هذا لا يهم ولن يغير من الواقع شيئاً (يشرب) الويل للجبناء
جميعاً، الويل لهم ولا أزال أقولها وأردها.

١٧٤ الأمير : ماذا حدث؟

فولستاف : ماذا حدث؟.. إن هنا أربعة من بيننا قد استولوا فى هذا الصباح
على ألف جنيه.

١٨٠

الأمير : وأين هى يا جاك..؟ أين هى؟

فولستاف : أين هى؟ لقد سلبت منا، لقد وقع علينا مائة رجل نحن الأربعة
المساكين.

الأمير : ماذا تقول.. مائة رجل؟

فولستاف : إنى لشقى إذن إذا لم أكن قاومت اثنى عشر رجلاً منهم مدة
ساعتين كاملتين، وهم أدنى إلى من نصف طول سيفى هذا. لقد
نجوت منهم بمعجزة، ولقد طعنت ثمانى مرات من خلال
صديرتى،

١٨٥

وأربع مرات من خلال سروالى، وقطعوا درعى إرباً إرباً، وتلموا
سيفى كالمنشار، وهاكم الدليل يقطع بصحة قولى، إبنى لم

أحارب فى حياتى منذ صرت رجلا مثلما حاربت هؤلاء الرجال،
ولكن هذا كله لم يفدنا شيئاً، الويل لكل الجبناء، سل هؤلاء الذين
كانوا معى، ذرهم يتكلمون فإن نطقوا بشيء أكثر أو أقل من
الحق الصراح فهم أشقياء أخساء أبناء ظلام.

الأمير : تكلموا أيها السادة، قولوا ماذا حدث.

جاشيل : لقد سطونا نحن الأربعة على نحو اثنى عشر من الرجال.

فولستاف : ستة عشر رجلا على الأقل يا سيدى اللورد.

١٩٥ جاشيل : وأوثقناهم بالحبال.

جيتو : لا لم نوثقهم.

فولستاف : أيها الشقى لقد أوثقناهم جميعاً، أوثقنا كل رجل فيهم وألا يكن هذا
حقاً إني إذن ليهودى كافر، يهودى لحماً ودماً ولا أستحق اسم
المسيحى.

٢٠٠ جاشيل : وبينما نحن نتقاسم الغنيمة وقع علينا ستة رجال جدد أو سبعة.

فولستاف : وفكوا وثاق الآخرين وانضموا معهم فى الإحاطة بنا.

٢٠٣ الأمير : يا ويحكم وهل قاتلتموهم جميعاً

فولستاف : جميعاً.. لست أدري ماذا تعنى بجميعاً إلا أكن قد قاتلت خمسين
رجلا منهم فما أنا إلا هزيل كعود من الفجل، وإلا يكن اثنان أو
ثلاثة وخمسون قد أحاطوا بجاك العجوز المسكين فما أنا برجل
يدب على قدمين.

الأمير : أحمد الله على أنك لم تقتل أحداً منهم.

فولستاف : أجل، هذا أمر قد فات دركه، فقد قتلت اثنين منهم،

أجهزت على اثنين منهم بالتأكيد، شقيين كانا يلبسان

حلتين من الخيش المصمغ. ماذا أقول لك وماذا أدع يا هال؟ لك

أن تبصق فى وجهى يا هال ولك أن تسمى حصانًا إذا كنت
أروى لك كذبًا. إنك تعرف خطتى القديمة فى الدفاع وقد وقفت
عندها ووجهت حدى سيفى إليهم وحملت به عليهم، لقد هاجمنى
أربعة أشقياء فى لباس من التيل الخشن.

الأمير : ماذا تقول؟ أربعة هاجموك؟ لقد قلت لتوك إنهما اثنان.

فولستاف : بل أربعة يا هال، لقد قلت لك إنهم أربعة.

بوان : أجل.. أجل.. لقد قال أربعة.

فولستاف : هؤلاء الأربعة واجهونى جميعًا، وحملوا على بسيوفهم فى قوة وأيد
ولكنى لم أثر ضجة بل تلقيت طبى سيوفهم السبعة بدرعى هكذا.

٢٢٦ الأمير : سبعة.. لقد كانوا أربعة حتى هذه اللحظة؟

٢٣٠ فولستاف : وفى حلل من الخيش الخشن؟

بوان : أجل أربعة فى حلل من الخيش.

فولستاف : سبعة بحق هذا السيف، وإلا فأنا شقى.

الأمير : أرجوك دعه وحده، وسنسمع مزيدًا من قصته فى الحال.

فولستاف : أستمع إلى يا هال.

٢٣٤ الأمير : أجل أصغى إليك وأراقبك أيضًا يا جاك وأعد عليك الكلمات.

فولستاف : حسنًا تفعل، فالقصة تستحق الإصغاء لها. هؤلاء التسعة
المرتدون حلا من التيل الخشن حدثك عنهم..

الأمير : وهكذا زاد العدد اثنين آخرين.

فولستاف : فلما تكسرت طباط سيوفهم..

٢٣٩ بوان : سقطت عنهم سراويلهم.

فولستاف : بدأوا يفرون منى، ولكنى تبعتهم وضيقى عليهم الخناق وأخذتهم
بيدى وقدمي، وبأسرع من لمح المخاطر جندلت سبعة من الأحد
عشر.

٢٤٤ الأمير : ما أفضع هذا! لقد أصبح اثنان من ذوى الحل التيلية أحد عشر.

فولستاف : ولكن ثلاثة من الأوغاد الخارجين على القانون زين لهم الشيطان
أن يأتوا من وراء ظهري وأن يهاجموننى من الخلف وكانوا فى
لباس من التيل الأخضر، ولم أرهم يا هال لأن الظلام كان داسماً
٢٣٨ إذا أخرجت فيه يدك لم تكدرها.

الأمير : هذه الأكاذيب لا تختلف فى شىء عن صاحبها الذى يأتى بها،
إنها ضخمة كالجبال، مكشوفة للعيان، واضحة ملموسة. ويك أيها
النهم ذو العقل الأسن والرأس الفارغ، ويك أيها الأحمق الوضع
الداعر يا دن من الشحم العفن،
٢٥٣

فولستاف : ما هذا؟ أهل جنت؟ هل جنت؟ أليس هذا هو الحق.. الحق؟
الأمير : ويك يا كذوب، كيف استطعت أن تعرف أن هؤلاء الرجال كانوا
فى لباس من التيل الأخضر على حين كان الظلام داسماً، إذا
أخرجت فيه يدك لم تكدرها؟
٢٥٩

هيا خبرنا السبب، وماذا تقول فى ذلك؟
: هيا هيا، علينا بأسبابك يا جاك، هات أسبابك.

فولستاف : وى.. أبالإكراه والتعذيب تريدونها؟ تباً لكم لو أنكم أوثقتمونى
وقدفتم بى من حالق وسلطتهم على كل آلات التعذيب ما بحث
لكم بشىء أبداً تحت تأثير هذا الإكراه. أدلى لكم بأسبابى
بالإكراه؟ والله هذا لن يكون أبداً، ولن أدلى بأسبابى تحت ضغط
الإكراه ولو كانت الأسباب فى كثرة التوت الأسود.
٢٦

الأمير : لن أحمل ذنب هذه الخطيئة أكثر من ذلك، هذا الجبان الدموى

الوجه، الثقل الحمل على الفراش، القاصم لظهور الخيل، هذا
التل الضخم من اللحم،-

فولستاف

: عليك اللعنة أيها الهزيل النحيل يا جلد ثعبان الماء، يا لسان
الثور المجفف، يا قضيب التيس، يا أيها السمك القديد، أوه دعنى
أستجمع أنفاسى لأقول لك ما أنت على مثاله، يا مقياس الخياط،
يا غمد السيف، يا قراب القوس، أيها السيف القضم الغث.. تمهل
واجمع أنفاسك لحظة ثم واصل حملتك، وعندما ينضب معينك
من الشتائم الوضيعة فاستمع إلى فلن أقل لك غير هذا:-

٢٧٤

٢٧٨ بوان

: اصغ يا جاك.

الأمير

: لقد رأينا كم نحن الاثنين تسقطون على أربعة رجال وتوثقونهم
بالحبال وكانوا سادة من الأثرياء، أعرنى سمعك لترى كيف أن
الحقيقة المجردة ستصرعك وتكشف عن زيفك، ثم هاجمنا كم
نحن الاثنين، وبكلمة واحدة خدعناكم، واحتلنا على تجريدكم من
غيمتكم، واستولينا عليها، وما هي ذى بين أيدينا فى هذا المكان
نستطيع أن نطلعكم عليها. أما أنت يا فلستاف، فقد حملت ثقل
أمعائك المكتنزة وفررت فى خفة ونشاط وأنت تجأ بالصباح طلباً
للرحمة ولما تزل تعدو وتجأ بالصباح كأنك العجل يخور خواراً
متصلاً. تباً لك من عبد تتلم فرند سيفك بيدك كما فعلت ثم تدعى
كذباً أنه تلم فى القتال، أى خداع تبيت وأية حيلة وأى غباء يدور
فى نفسك لتخفى عارك وشارك الذى ظهر للعيان؟

٢٨٥

٢٩٢

بوان

: تكلم يا جاك، ودعنا نسمع آخر ما فى جرابك من حيل؟

فولستاف

: قسمًا بالسيد المسيح لقد عرفتكما كما يعرفكما خالفكما، اسمعانى
أقل لكما ما حدث أيها السادة، أكان خليقاً بى أن أقتل ولى
العهد، وأن أهاجم الأمير العريق الصادق؟ إنكما لتعرفانى
وتعلمان أنى جسور كهقرل، ولكنها الغريزة هى التى تحذر
الإنسان من الخطل، فالأسد الهصور لا يقرب الأمير العريق
الصادق ولا يمسه بأذى. إن الغريزة شىء عظيم، فإن أك قد

جبنتن فهو جبن بدافع الغريزة، وسأظل أقدر نفسي وأقدرك ما عشت. أقدر نفسي وسأظل أقدر نفسي وأقدرك ما عشت. أقدر نفسي أسدًا هصورًا، وأقدرك أميرًا عريقًا صادقًا، ومع هذا فلشد ما أنا مسرور أيها الفتیان لحصولكم على المال، أيا صاحبة الحان غلق الأبواب واسهرى الليل بطوله،

٣٠٠

ثم صلى غدًا.

٣٠٥

أيها الأبطال، أيها الفتیان، أيها الولدان، أيتها الذهبية، نعمتم بكل ألقاب البطولة وسمات الإخوان الصادقين ماذا علينا أن نفعل؟، هيا نمرح ونطرب وهيا نمثل رواية عفو الخاطر.

: طب نفسًا، فسنفعل ما تريد وسيكون الحوار دائرًا حول فراك وهريك.

٣١١ الأمير

: أواه!، كفى حديثًا في هذا يا هال إذا كنت تحبني حقًا
(تدخل صاحبة الحان)

فولستاف

: يا إلهي مولاي الأمير؟!

صاحبة الحان

: ماذا بك يا سيدتي صاحبة الحان؟ وماذا تريد أن تقول لي.

٣١٦ الأمير

: عفوا يا مولاي، إن بالباب سيدًا نبيلًا من القصر يريد أن يتحدث إليك، وهو يقول: إنه قادم من لدن والدك

صاحبة الحان

: صليبه بقدر ما يرفع قيمته من نبي^(١٢) إلى ملوكي^(١٣)، ثم أعيدته أدراجه إلى أمي.

الأمير

: وأى طراز من الرجال هذا القادم؟

٣٢٣ فولستاف

(١٢) النبيل عملة إنجليزية.

(١٣) الملوكي عملة إنجليزية أكبر قيمة من النبيل.

صاحب الحان : إنه رجل مسن.

فولستاف : ترى أى أمر خطير قد دعاه أن يهجر فراشه فى منتصف

الليل؟ أسمح بأن أتولى جوابه يا مولاي؟ ٣٢٦

الأمير : أرجوك أن تفعل يا جاك.

فولستاف : سأرده على أعقابه تَوًّا. (يخرج)

الأمير : والآن أيها السادة، بحق العذراء، لقد قاتلتم قتال الأبطال هذا ما فعلته أنت يا بيتو وكذلك أنت يا باردولف، كلا كما أسد هصور. وقد فررتما بدافع من الغريزة، أثرتما ألا تمسا الأمير العريق الصادق،

كلا، ما فعلتما هنا تَبًّا لكما. ٣٣٢

باردولف : فى الحق لقد فررت حين رأيت الآخرين يفرون.

الأمير : قل لى الآن بجد، كيف انتلم سيف فلستاف على هذه الصورة؟

بيتو : لقد تلمه بخنجره، وقال إنه سيظل يقسم حائناً حتى لا يدع للصدق مكاناً فى بريطانيا ليفنعمكم بأن سيفه قد تلم فى القتال، وأغرانا بأن تحذو حذوه.

٣٣٩

باردولف : أجل، وأقنعنا أن نخمش أنوفنا بالحسك لندميها وأن نلوث قمصاننا بدمائنا، وأن نقسم أنه دم رجال بحق.

وقد فعلت ما ألم أفعله منذ سبع سنوات، ولذلك أخذتتى

حمرة الخجل، وأنا أستمع لخططه الشيطانية.

٢٤٤

الأمير : يا لك من وغد أثيم! لقد سرقت منذ ثمانية عشر عاماً

كأسًا من النبيذ وضبطت متلبسًا بجريمتك، ومنذ الوقت وأنت
تحمر خجلًا بالسليقة لقد كان فى يدك السيف والنار ومع فررت.
فبأى غريزة تفسر

٣٥٠

ما فعلت؟

باردولف : مولاي اللورد ألا ترى هذه الشهب؟ ألا ترى هذه المذنبات النارية؟
(مشيرا إلى وجهه).

الأمير : أراها.

باردولف : وماذا تظنها تحمل من نذر؟

الأمير : أكباد حارة من الشراب وجيوب خاوية من الفقر.

باردولف : إنها الغل والغضب يا مولاي، إذا أحكم تأويلها.

الأمير : بل حبل المشنقة إذ أحكم تأويلها (يعود فولستاف)

هذا هو جاك النحيل يعود، هذه هى العظام العارية تقبل، إيه أيها
العزيز المتناقل ككيس القطن المكبوس،

كم مضى عليك منذ رأيت ركبتك آخر مرة؟

٣٦١

فولستاف : ركبتاي! كان ذلك عندما كنت فى مثل سنك يا هال، كنت حينئذ
دقيق الخصر لا أكاد ابلغ سمك مقلب النسر، وكنت أستطيع أن
أنفذ من حلقة خواتم السادة والأعيان، ولكن واهًا للهموم والأحزان،
إنها تثقل الرجل وتتفخه كأنه الكره، إن هناك أخبارًا سيئة من
الخارج.

٣٦٦

وقد كان هنا سير جون براسى من لدان والدك، ولا بد لك من أن
تبادر إلى القصر غدًا صباحًا، إن ابن إقليم الشمال هذا الأهوج
برسى، ومعه هذا الغالى الذى تحدى الشيطان وضربه بهراوته
وسخر من إبليس وأحاله ديوثًا، وأقسم للشيطان ويده فوق بلطة
غالية لا مقبض لها كما لو كانت صليبا - هذا البلاء العظيم

بوان

: أوين جلندور .

فولستاف

: أجل.. هو أوين.. أوين بعينه ومعه زوج ابنته مورتيمر
ونورثمبرلند العجوز، وهذا الإسكتلندى المرح بطل الأبطال
دوجلاس الذى يصعد التل العمودى وهو يعدو على ظهر جواده،

-

٣٨٠ الأمير

: هذا الذى يعدو بأقصى سرعة ويقتل بغدارته الباز الطائر .

فولستاف

: لقد أصبت .

الأمير

: أما هو فلم يصب الباز أبدًا

٣٨٤ فولستاف

: هذا الوغد شجاع أصيل المعدن ولا يفر أبدًا .

الأمير

: وأى وغد كنت إذن حين امتدحته الآن لفترة؟

فولستاف

: امتدحت جريه على متن جواده أيها الببغاء الذى يردد ما أقول أما
حين يكون راجلا فإنه لن يتحرك قيد أنملة .

٣٨٩ الأمير

: أجل يا جاك، بدافع من غريزته .

فولستاف

: نعم أؤكد لك أن ذلك بدافع من غريزته . ما علينا، إن هذا
الإسكتلندى معهم أيضًا، وكذلك مورديك وعلاوة على ذلك ألف
رجل إسكتلندى من ذوى القمصان الزرق . لقد تسلل وستر هذه
الليلة، وابتضت لحية أبيك جزعًا من هذه الأنباء، وبوسعك الآن
أن تشتري الأرض بأبخس مما تشتري السمك
الفاسد .

الأمير

: إن من المحتمل إذا أقبل حر يونيو وهذه الحرب الأهلية لا تزال
قائمة أن تشتري العذارى بالمئات كما يشترون مسامير النعال .

فولستاف : بحق المسيح يا فتى لقد قلت حقًا، ومن المحتمل أن تكون لنا
تجارة رائجة في هذا المضمار، ولكن قل لي يا هال، ألسنت ترتعد
خوفًا ورعبًا؟ ترى هل تستطيع الدنيا أن تجمع لك مرة أخرى
وترميك وأنت ولى العهد بمنزل هؤلاء الأعداء الثلاثة؟ هل تستطيع
أن تجمع لك مثل هذا المارد دوجلاس وهذا الشيطان برسى وهذا
الإبليس جلندور؟ ألسنت مرتاعًا من هؤلاء الأعداء.
ألا يقفز الدم في عروقك فرحًا؟

٤٠٧

الأمير : لا وأيم الحق، فما حرك هذا في ساكنًا، وإنى ليعوزنى
طرف من غريزتك.

فولستاف : حسنًا ستلقى غدًا تعنيفًا شديدًا حين تواجه أباك، فإذا كنت تحبني
فاعدد نفسك بجواب وجرب ما تقول.

٤١٢

الأمير : فلتقم مقام أبى، ولتستجوبنى فى تفاصيل حياتى.

فولستاف : أقوم بذلك، إذن فقر عينا، فسأجعل من هذا الكرسي عرشي،
ومن هذا الخنزير صولجاني، ومن هذه الوسادة تاجى.

الأمير : إن عرشك كرسي من خشب، وصولجانك الذهبى خنجر من
الرصاص، وتاجك الثمين النفيس رأس أصلع عار.

٤٢٠

فولستاف : ألا تكن حمية الجلال والرحمة قد خبت فيك فستتحرك أشجانك
الآن. أعطنى كأسًا من النبيذ حتى تحمر عيناى، فيظن أن
احمرارها من أثر البكاء، فأنا أريد أن أتحدث حديثًا يكشف عن
كوامن الأشجان وأن أنقص فى ذلك روح الملك قمبيز وأسلوبه.

٤٢٦

الأمير : ليكن، وهأنذا أنحنى لك.

فولستاف : وهأنذا أتحدث إليك، أيها النبلاء تتحوا جانبًا.

صاحبة الحان : يا إلهى إن هذا للهو طيب وأيم الحق.

فولستاف : لا تذرفى الدموع أيتها الملكة الجميلة فالدموع المنهلة

عبث لا جدوى وراءه. ٤٣١

صاحبة الجان : إنه يجد، إنه صارم الوجه لا أثر للضحك فيه.

فولستاف : أستحلفكم بالله أيها النبلاء أن تحملوا ملكتى الحزينة

من هنا فإن الدموع قد فاضت من مآقيها. ٤٣٥

صاحبة الجان : بحف يسوع إنه يمثل دوره كما يؤديه ممثل من أولئك المحترفين المتجولين الذين تعودت أن أراهم.

فولستاف : الهدوء أيتها الثرثرة... الهدوء أيتها السلاف المعتقدة التى تذهب

بالعقول، اسمع يا هارى إنى لا يحيرنى ويدهشنى، أين تمضى

وقتكَ فحسب، ولكنى أعجب أيضاً فيمن

تصاحب.

٤٤٠

وإذا كانت الحشائش كلما أكثرنا وطأها بأقدامنا أسرع نموها وزاد

انتشارها، فإن الشباب على عكس ذلك، كلما زاد إسرافه على

نفسه سارع إلى الانتهاء. أما إنك ابنى فقد تأكدت من ذلك حين

أخذت مقال أمك فيك من ناحية، ورجعت إلى نفسى فيك من

ناحية أخرى، وقد أكد لى بنوتك على الأخص ظاهرة مميزة

أخرى، وقد أكد لى بنوتك على الأخص ظاهرة مميزة مأكرة فى

عينيك، وتدل فى شفتك السفلى. فإذا كنت ابنى حقاً، فهنا يرد

السؤال: لماذا وأنت ابنى تلاحقك الهمسات والإشارات كما ترى؟

أيمكن أن تنزل الشمس المقدسة من سماء عليائها وتهرب من

أداء واجبها وتأكل التوت كما يفعل الأطفال الهاريون من

المدرسة؟ هذا سؤال لا ينبغى أن يوجه، إذ لا يختلف اثنان فى

الإجابة عنه. وهل يصح فى الأذهان أن ابن ملك إنجلترا يستحيل

لصاً ونشالا؟ هذا سؤال ينبغى أن يسأل. إن هناك شيئاً طالما

سمعت به يا هارى، شيئاً يعرفه الكثيرون فى هذه البلاد باسم

٤٥٠

القار. هذا القار (كما يقول الكتاب القدامى) يلوث من يمسسه،
ومن قبيل القار، هذه الجماعة التى تصاحبك.

٤٥٥

إننى أحدثك الآن يا هارى بحرقة الدمع لا بنشوة الشراب، وبلوعة
الأسى لا بغمرة السرور، أحدثك لا بلسانى فحسب، ولكن بآلامى
أيضاً. ومع ذلك فهناك رجل فاضل طالما لا حظته فى صحبتك
ولكنى لا أعرف اسمه.

٤٦١

الأمير : أى نوع من الرجال هو إن أذنت يا مولاي؟

فولستاف : رجل طيب ذو مهابة مفرط فى السمن طلق المحيا ضاحك
السن،

٤٧٠ عليه سمت النبلاء، عمره يجاوز الخمسين فيما أظن، أو يقترب
من الستين. لقد تذكرت اسمه الآن فهو يدعى فولستاف. فإذا كان
هذا الرجل منغمساً فى الشهوات، فقد خدعنى مظهره، لأننى
توسمت الفضيلة فى نظراته يا هال.

وإذا كانت الشجرة تعرف بثمارها، وكانت الثمرة تتم عن أصلها
فقد حق لى أنؤكد لك أن فولستاف هذا تتطوى جوانحه على
الفضيلة، فاحتفظ به لنفسك وخل بينك وبين الآخرين. والآن
خبرنى أيها الوغد الشقى، أين

٤٧٥

كنت طوال هذا الشهر؟

الأمير : أينطق مثلك بلسان الملوك ويتحدث حديثهم؟ خل عنك هذا وقم
أنت بدورى وسأقوم أنا مقام أبى.

فولستاف : أنتزعى من الملك، قسماً لو استطعت أن تقوم بدور الملك
بنصف الوقار الذى أدبته، به، وبنصف العظمة والجلال، سواء
فى القول أو فى العمل، فلك أن تجردنى وتعلقنى من كاحلى
كأرنب رضيع أو كأرنب برى

٤٨١

مسلوخ فى حانوت بائع الدجاج.

(يغبران مكانيهما)

- الأمير : حسنًا هأنذا قد جلست على العرش.
- فولستاف : وهأنذا أقف بين يديك فاشهدوا أيها السادة واحكموا بيننا.
- الأمير : اسمع يا هارى من أين قدمت؟
- ٤٨٥ فولستاف : قدمت يا مولاي المعظم من إيست تشيب.
- الأمير : إن الشكايات التى بلغتني عنك لتحزننى أشد الحزن.
- فولستاف : الويل لهم إنها شكايات كاذبة يا مولاي (جانبا) سأمثل دور الأمير بطريقة تدهش لها وأيم الحق.
- ٤٨٩
- الأمير : أتصب اللعنات أيها الفتى الكفور، إليك عنى ولا تزنى وجهك بعد هذه الساعة، لقد باعدت ما بينك وبين الخير، وحيل بينك وبين الحمد فى غلظة قاسية، إن هناك شيطانًا رجيماً يلزمك فى صورة رجل بدين عجوز مفرط فى السمن كأنه البرميل، ففيم صداقتك له؟ وفيم حديثك مع هذه الصندوق الممتلى بالعلل والأسقام؟
- ٤٩٥
- هذه الجفنة العامرة بالشهوات البهيمية،
هذه القرية المنتفخة من الاستسقاء، هذا الزق الضخم من النبيذ،
هذه العيبة المبرطشة المشحونة بالأمعاء، هذا الثور الثمين المشوى المحشو بطنه بالتوابل واللحم كأنه ثور ماننجترى^(١٤)،
هذه الرذيلة المجسمة وهذا الشر الأشيب، وهذا الشيطان العجوز وهذا المغرور المسن؟
- ٥٠٠
- أى خير يرتجى فيه وفيم مهارته؟ ألا تكن فى تذوق النبيذ وشربه؟

وفيم حذقه وخبرته اللهم إلا فى تقطيع أوصال ديك سميك
والتهامه؟ وفيم امتيازه اللهم إلا فى الدهاء والمكر، وفيم دهاؤه
اللهم إلا فى الخبث والسوء؟ وفيم خبثه اللهم فى كل شىء؟ وفيم
جدواه ونفعه اللهم فيما لا شىء.

٥٠٥

فولستاف : وددت يا مولاي لو فسرت ما تقول ومن تعنى
بهذا الحديث؟

الأمير : عنيت هذا الخبيث الكريه مضلل الشباب فولستاف،
هذا الشيطان العجوز ذو اللحية البيضاء.

٥١٠ فولستاف : مولاي، إنى أعرف هذا الرجل.

الأمير : أعلم أنك تعرفه.

فولستاف : ولكن إن قلت إنى أعرف فيه شراً أكثر مما فى نفسى تجاوزن
بذلك حدود معرفتى، أما إنه عجوز فهذا أدعى للراء له، وشعره
الأبيض ينهض دليلاً على ذلك، وأما إنه رجل عابث شهوانى
فهذا ما أنفيه نفيًا باتًا مع احترامى لجلالتك. أما إذا كان شرب
النبيذ بالسكر خطيئة فليتدارك الله المذنب برحمته! وإذا كان
الشيب مع المرح ذنبًا فما أكثر أصحاب الحانات المسنين الذين
أعرف ممن ستحل بهم اللعنة، وإذا كانت البدانة بغیضة مكروهة
فما أخرى أن تحب وتعبد بقرات فرعون العجاف.

٥١٥

لا يا مولاي الطيب، نح بيتو، ونح باردولف، ونح بوان، أما جاك
فولستاف الحبيب، جاك فولستاف الرقيق، جاك فولستاف
الصادق، جاك فولستاف النبيل، جاك فولستاف الذى يقطر نبلا
وجسارة كما أعرف، جاك فولستاف العجوز؛ فلا تبعده عنى يا
مولاي، أبقه فى صحبة هارى ابنك،

٥٢٥

ولا تفرق بينه وبين صحبه هارى، إنك إن تتح جاك البدين،
فكأنما نحيت الدنيا جميعًا.

الأمير : لأفعلن ذلك (يدخل باردولف وهو يعدو)

٥٣٠ باردولف : يا مولاي.. يا مولاي.. إن المأمور بالباب ومعه رجال الشرطة.

فولستاف : إليك عنا أيها الشقي، أتمم الرواية، فإن لدى الكثير مما أود أن أقوله دفاعاً من فلوستاف. (تدخل صاحبة الحان)

صاحبة الحان : يا لله يا سيدى اللورد، يا سيدى اللورد.

٥٣٥ الأمير : ويحك ما هذه الضجة؟ وما هذا الاهتمام بأمر تافه؟
ماذا حدث؟

صاحبة الحان : إن المأمور ورجال شرطته كلهم بالباب، لقد جاءوا ليفتشوا الحانة.
أسمح لهم بالدخول.

فولستاف : أسمع ما يقولون يا هال؟ أشهد أنك أصيل أصالة الجنيه الذهبي
وأنت ستبرهن على صدقك وأصالتك عند التجربة، وستثبت أنك
لست عملة زائفة: فأصالة الدينار تظهر من حكه لا من ملاحظة
نقشه إنك لن تعبت بى ولن تغرى بى رئيس الشرطة لأنك أصيل،
وإن لم يدل مظهرك على مخبرك.

٥٤١

الأمير : وأنت أصيل فى الجبن ولا يد للغريزة فى ذلك.

فولستاف : أنا أنكر القضية الكبرى فى قياسك. إن أنت منعت المأمور من
الدخول فيها، أما إن أنت لم تمنعه فمره يدخل. ولتحل لعنة
السماء على تربيتى إن كنت جباناً أصيلاً أو خفت الموت. سأقاد
يا سيدى فى العربة إلى المشنقة بشجاعة كغيرى من الناس، وإنى
لأمل أن يعين ثقلى حبل المشنقة على الإسراع فى خنقى كبقية
الناس.

٥٤٨

الأمير : أسرع وأخف نفسك وراء الأستار ولينصرف الآخرون. والآن أيها

السادة فلنبدو فى وجوه صادقة وضمائر خالصة.

فولستاف : لقد كانت لى الخصلتان، ولكن زمنهما ولى وصدقهما عفت عليه الأيام، ولذلك لا بد لى أن أختفى.

٥٥٣

(يختفى فولستاف)

الأمير : أدع المأمور (يخرج الجميع عدا الأمير وبيتو ويدخل المأمور ومعه الحمال)، والآن يا سيدى المأمور ماذا تريد منى.

المأمور : أستمحك العفو أولاً يا مولاي، وأقول لك إن صيحات النجدة تابعت بعض الناس إلى هذا البيت.

الأمير : وأى ناس هؤلاء؟

المأمور : أحدهم رجل معروف يا مولاي الكريم تتم عليه بدانته وسمنه.

٥٦٠ الحمال : سمين كالزبد.

الأمير : أؤكد لك أن هذا الرجل ليس موجوداً هنا،

لقد كلفته أنا نفسى بعمل فى هذه اللحظة،

وأقطع لك على نفسى وعداً أيها المأمور

أن أرسله إليك غداً مساء فى وقت العشاء

ليجيبك أو يجيب أى إنسان آخر

٥٦٥ عن أى اتهام يوجه إليه،

فدعنى بعد ذلك، أرجوك أن تغادر هذا البيت.

المأمور : سأفعل يا مولاي، غير أن هناك سيدين

قد فقدوا فى هذه السرقة ثلاثمائة مارك.

٥٧٠ الأمير : قد يكون هذا، فإذا ثبت أنه سرق هذين السيدين،

فسيلقى حسابه على ذلك، ومع السلامة.

المأمور

: طاب ليلك يا سيدى اللورد النبيل.

الأمير

: أخرى أن تقول طاب صباحك أليس كذلك؟

المأمور

: بلى.. هذا صحيح يا سيدى اللورد، فالساعة على ما أظن هى الثانية صباحاً.

(يخرج المأمور والحمال)

الأمير

: (يزيح الستار) هذا الوغد المشحم أشهر من كنيسة القديس بولس اذهب وناده على هنا يا بوان.

٥٧٦

بوان

: (يزيح الستار) فولستاف، ويحك! إنه غارق فى النوم خلف الستر يغط كالحصان.

الأمير

: اسمعوا شخير، إنه يتنفس بصعوبة، ويجر أنفاسه جرّاً، فتش جيوبه يا بوان (يفتش جيوبه فيعثر على بعض الأوراق) ماذا وجدت يا بوان؟

٥٨٢

بوان

: لا شيء إلا بضعة أوراق يا مولاي.

الأمير

: هيا نرى ما تكون هذه الأوراق اقرأ ما بها.

بوان

: (يقرأ) واحد ديك بنس ٢ شلن ٢، صلصة ٤ بنسات، نبيذ ٢ جالون ٨ بنسات و ٥ شلنات، واحد أنشوجة ونبيذ بعد العشاء ٦ بنس و ٢ شلن، واحد خبز نصف بنس.

٥٩١ الأمير

: يا للشيطان خبز بنصف بنس فقط لكل هذه الكمية الهائلة من النبيذ؟ أما ما بقى غير ذلك فاحتفظ به جميعاً فى خفية سرّاً بينى وبينك لنقرأه فى فرصة أوسع، وذو فولستاف ينم حتى الصباح، أما أنا فسأبكر إلى القصر ولنستعد جميعاً لخوض الحروب، فلا بد أن نسهم فيها وسيكون لك فيها مكان مرموق وسأخص هذا الشقى البدين بقيادة فرقة من المشاة، وإن كنت أعلم أن حتفه

٥٩٥

رهن بمسيرة بضع خطوات، سترد النقود لأصحابها مع الفوائد،
وافنى فى الصباح فى وقت مناسب، أما الآن فأنعم صباحاً يا
بوان.

٦٠١

: نعمت صباحاً يا سيدى اللورد الطيب.

بوان

(يخرجان).

الفصل الثالث

المنظر الأول

بلاد الغال. حجرة فى بيت جلنداور. يدخل هوتسبر وورستر ولورد مورتيمر وأوين
جلنداور، يحملون أوراقا)

مورتيمر : هذه الوعود جميلة، وهؤلاء الأعوان موثوق بهم، وهذه البداية التى
نستهل بها عملنا تبشر بنجاح الآمال.

هوتسبر : يا لورد مورتيمر ويا ابن عمى جلنداور
ألا تجلسان؟

وأنت أيها العم ورستر أعرنى أذنك،
لقد نسيت هذه الخريطة الملعونة.

جلنداور : لا لم تنسها،

فهذه هى، اجلس يا ابن العم برسى، واجلس يا ابن العم الطيب
هوتسبر،

أجل هوتسبر، فبهذا الاسم يتحدث عنك دائماً لانكستر فيريد
وجهه من الغضب وتتصاعد حسراته

متمنياً أن تصعد روحك إلى السماء. (يجلسون)

هوتسبر : ومتمنياً تذهب روحك إلى الجحيم كلما سمع اسمك
يا أوين جلنداور تلهث به الألسنة.

جلنداور : لست ألومه على ذلك، ففى يوم تعميدى

امتألت صفحة السماء بالأجرام النارية

والشهب الملتهبة. وفى يوم ميلادى

اهتز هيكل الأرض ومادت أقطارها

كما ترتعد فرائص الجبان.

هوتسبر : هكذا كان لا بد أن تفعل في مثل هذا الفصل من السنة حتى ولو كانت قطعة أمك هي التي وضعت صغارها ولم تولد أنت.

٢٠

جلنداور : أنا أقول إن الأرض اهتزت ساعة ولدت.

هوتسبر : وأنا أقول إن الأرض لم يدر بخلدها ما دار بخلدى إذا كنت تظن أنها اهتزت خشية منك.

جلنداور : لقد التهبت صفحة السماء كلها بالنيران وزلزلت الأرض

هوتسبر ٢٥ : إذن لقد زلزلت الأرض لأنها رأت السماء تلتهب بالنيران لا خشية ولا فرعاً من تعميدك.

إن الطبيعة المضطربة كثيراً من تتور ثورتها

فتخرج أثقالها فى انفجارات عجيبة،

هذه الأرض المكتظة كثيراً ما تصاب بتقلصات تضيق بها وتغضبها نتيجة لانباس رياح هوج فى جوفها،

٣٠

هذه الرياح الهوج فى محاولتها الانطلاق والتحرر من هذا المجلس

تزلزل جوانب الأرض الهائجة

وتقلب عاليها سافلها

لقد كانت أمنا الأرض فى يوم مولدك تشكو مثل هذا الاضطراب، ومن ثم زلزلت أركانها من هذا الألم الدفين.

جلنداور ٣٥ : يا ابن العم،

أنا لا أحتمل هذه الاعتراضات من كثيرين من الرجال ولكنى أستأذنك فى أن أقول لك مرة أخرى إن وجه السماء فى يوم مولدى

قد امتلأت صفحته بالأجرام النارية

وفرت العنزات من الجبال فرعًا،
وارتدت قطعان الماشية إلى الحقول المرتعدة وهي تنغو ثغاء
عاليًا وقد أحيط بها من الدهشة.

٤٠

هذه الإرهاصات قد دمغتني بالعبقرية،
وكذلك نمت على كل الأطوار حياتي
وأثبتت أنني لست في ثبث غمار الناس.

٤

أين يعيش في هذه الأرض التي يحيط بها البحر الضارب
بأمواجه الصاخبة شواطئ إنجلترا واسكتلندا والغال؟
أين يعيش ذلك الذي يستطيع أن يدعوني تلميذه أو أو يدعى أنني
تتلمذت عليه؟

هاتوا لي ابن أنثى

يستطيع أن ييزني أو يشق غباري في مثابرتي على دراسة فنون
السحر المتعبة

أو يقدر على مجاراتي في تجاربي واختباراتي الجريئة.

ما من مخلوق على الأرض فيما أظن يستطيع أن يلغو لغوك،
سأذهب للعشاء. (يقوم)

٥٠ هوتسبر

رفقًا يا ابن العم برسى، فإن كلامك هذا سيثير جنونه.

مورتيمر

إن في طوقى أن أدعو الأرواح من الأعماق السحيقة.

جلنداور

وكذلك أفعل أنا.. بل وكذلك كل إنسان يستطيع دعوتها،

هوتسبر

ولكن هل تستجيب لك وتخرج إليك حين تدعوها؟

٥٥

إن في طوقى يا ابن العم أن أعلمك

جلنداور

كيف تتحكم في الشيطان.

وأنا في طوقى يا ابن العم أن أعلمك كيف تخزي الشيطان بقول

هوتسبر

الحق.

قل الحق يا ابن العم واخز الشيطان،

وإذا كان لك من السلطان ما تستطيع به أن تدعو الشيطان، فأت به إلى هنا،

٦٠

وأقسم لك أن لى من السلطان ما أستطيع به أن أخزيه فى مكانى هذا.

اسمع يا ابن العم، قل الحق دائماً ما عشت واخز الشيطان.

: هيا.. هيا.. وخلكم من هذا الحديث الذى لا يجدى.

مورتيمر

: ثلاث مرات تحدانى هنرى بولنبروك وهاجم قواتى.

جلنداور

وثلاث مرات رددته على أعقابيه خائباً،

٦٥

وأرجعته بلا خفين مقطع الأوصال

من هول العواصف، من شواطئ نهر الواي ^(١٥) ووادى السفرن ^(١٦) العميق.

: رددته على أعقابيه حافياً بلا خفين وفى جو عاصف مطير أيضاً؟

هوتسبر

فكيف بحق الشيطان استطاع أن ينجو من الحمى؟

: تعالوا هنا.. هذه هى الخريطة.. فهل نقسم هذه الأرض التى

جلنداور

هى ملك لنا بحق الوراثة الشرعية

٧٠

طبقاً للترتيبات التى اتفقنا عليها فيما بيننا نحن الثلاثة؟

: (تبسط الخريطة على المنضدة) إن الأسقف قد قسمها

مورتيمر

إلى ثلاثة أجزاء محددة متساوية إلى أبعد مدى، فإنجلترا من

Wye. (١٥)

Severn. (١٦)

الترنت (١٧) والسفرن إلى هذه النقطة الموضحة على الخريطة من الجنوب والشرق ستكون من نصيبى، وكل ما إلى الغرب من أرض الغال فيما وراء نهر السفرن وكل الأراضي الخصبة الواقعة فى هذه الحدود.

٧٥

ستكون من نصيب أوين جلندور، أما أنت يا ابن العم العزيز فلك كل ما بقى إلى الشمال فيما وراء نهر ترنت.

٨٠

وقد تم وضع مشروع هذا التقسيم بالاتفاق فيما بيننا نحن الثلاثة، وحالما يتم إعداد صور ثلاث منه نوقعها ونبصمها بأختامنا، إقرار لما فيها، ويأخذ كل منا صورته، ونرجو أن يتم الأمر هذه الليلة،

وغداً نرحل أنا وأنت يا ابن العم برسى، ومعنا اللورد الطيب ووستر ونتوجه للقاء والدك والقوات الإسكتلندية فى شروزبرى كما حددوا موعدهم معنا.

٨٥

أما أبى جلندور فإنه لم يتم أهبطه بعد، وما أظننا سنكون فى حاجة إلى عونه فى هذين الأسبوعين، وخلال هذه الفترة تستطيع أنت أن تجمع صفوف أعوانك وأصدقائك وجيرانك.

٩٠

جلنداور : سألق بكم أيها السادة فى زمن أقصر من هذه المهلة،

وفى حمايتى ستحضر زوجاتكم

اللاتى يجب أن تفارقوهن دون وداع،

وإلا انهمرت العبرات

٩٥

عند الفراق بينكم وبين زوجاتكم.

هوتسبر

: يخيل إلى أن حصتي من هذا التقسيم

التي تبدأ من هنا عند شمال بورتون ^(١٨) لا تتساوى مع نصيبكما.

انظروا إلى هذا النهر كيف ينثني ويتلوى في حصتي

ويحرمني من خير أراضي

إنه ينبعج داخل أرضي كأنه نصف قمر ويقتطع من أراضي
قطعة ضخمة،

١٠٠

لأقيم سدًا في عرض هذا النهر عند هذا المنحنى

ولأحولن مجرى ترنت، هذا النهر الفضى السلسال إلى مجرى
جديد آية في السواء والاعتدال

بحيث لا ينثني في أراضي هذه الثنية العميقة

١٠٥

التي تحرمني من الوادي الخصيب في هذا المكان.

: بحيث لا ينثني؟ لا بد أن ينثني. فيجب أن ينثني،

جلنداور

ألا ترى أنه ينثني؟

: أجل هو ينثني،

مورتيمر

ولكن انظر كيف يخط مجراه

ويجري بنفس الطريقة في الجانب الآخر.

وبذلك يقتطع من الجانب المقابل

بقدر ما يقتطع منك على الضفة الأخرى

: أجل هذا صحيح ولكن بنفقات قليلة يمكن قطع النهر هنا وعندئذ

ورستر

يسترجع الجانب الشمالي هذا الرأس من أراضيهِ ويعود النهر
للاستواء والاعتدال في مجراه.

مورتيمر : سأقطع النهر عند هذا الجانب فهذا لا يكلف إلا نفقات قليلة
ولأحولنه على هذا الوضع.

١١٥

جلنداور : أما أنا فلن أسمح بتحويله.

هوتسبر : ألن تسمح بتحويله؟

جلنداور : لا لن أسمح ولن تحوله أنت.

هوتسبر : ومن هذا الذى يستطيع أن يقول لى لا؟

جلنداور : سأقولها أنا.

١٢٠ هوتسبر : أرجو أن تقولها بلغة لا أفهمها، قلها بالغالية إذن.

جلنداور : إني أتكلم الإنجليزية يا سيدى اللورد كما تتكلمها
أنت،

وقد ربيت فى البلاط الإنجليزي،

وهناك وأنا فى سن الشباب

نظمت عدة أغنيات إنجليزية جميلة ولحنتها على العود مما زاد
الكلمات جمالا وأضفى عليها حسنا ورقة، وتلك مزية لم نعرفها
لك يا سيدى.

هوتسبر : رويذك،

فأنا جد مسرور من كل قلبى لهذا.

فالأشراف لى أن أكون قطيطة تموء

من أن أكون نظامًا من هؤلاء الذين ينظمون الأغاني ويتعشون
من بيعها وغنائها والأهون على نفسى أن أستمع إلى حاملات
الشموع النحاسية وهى تتقلب على الأرض وتدوى دويًا أو إلى
العجلات الجافة وهى تحنك فى محاورها حكاً تضرب له الأسنان

١٣٠

من أن أستمع إلى الشعر المتصنع،

فهو أشبه بضربات حوافر الخيل المتقطعة التى تصدر عن
حصان أجهد فوق طاقته

١٣٥

جلنداور : هون على نفسك فستال بغيتك وتحول مجرى نهر ترنت.

هوتسبر : لست أهتم بهذا قلامة ظفر، وإنى لعلى استعداد أن أنزل للصديق
الصدوق عن ثلاثة أمثال هذه الأرض بلا تردد، ولكن إذا بلغ
الأمر حد المساومة

فاعلم أنى لا أفرط فى نكير ولا قطمير.

١٤٠

هل كتبت العقود وأعدت للتوقيع؟ وهل يسمح لنا
بالانصراف؟

جلنداور : إن القمر وضاء جميل وباستطاعتكم أن تسافروا فى الليل

وسأتعجل مسجل العقود

هوتسبر : على حين تقضون إلى زوجاتكم بأمر سفركم العاجل وإنى لأخشى
أن يصيب ابنتى مس من الجنون فهى مشغوفة بزوجه مورتيمر.
(يخرج)

١٤٥

مورتيمر : تباً لك يا ابن العم برسى، كيف جرؤت على أن تعترض
أبى وتغضبه.

هوتسبر : لم أكن مخيراً فى هذا، فهو يستثير غضبى فى بعض الأحيان.

حين يحدثنى عن الجحر والنملة،

أو العراف مارلين وتنبؤاته،

١٥٠

وعن التنين والسمة التى بلا زعانف،

وعن السبع الطائر المقصوص الجناح، والغراب المنتوف،

وعن الأسد النائم والقطة المنتصبة،

والكثير من أمثال ذلك من الروايات المختلفة المضطربة التي
تخرج الإنسان عن وعيه وتشككه في إيمانه.
وسأحدثك عما فعله،

١٥٥

لقد استبقاني ليلة أمس تسع ساعات أو تزيد
وهو يعدد لي أسماء الجن والشياطين
الذين يعملون تحت إمرته ويستخدمهم أحيانًا له
وما التفت إلى كلمة مما يقول
وإن واليته بعبارات الاستحسان من أمثال زه، وهلم،
وأوه..

إنه ممل مسئم كجواد مجهد أو زوجة وقاح.
إنه أسوأ من بيت معبأ بالدخان، والأكرم لي أن أعيش
حياتي

١٦٠

في طاحونة كالفقراء أقتات بالجبن والثوم
من أن أعيش معه منعماً أتغذى بالفطائر الحلوة
تحت سقف بيت صيفي جميل في أي مكان في العالم
المسيحي ليصب في أدنى هذه الترهات.

: الحق إنه سيد مفضل

١٦٥ مورتيمر

واسع الاطلاع موفور القراءة،
حاذق في الفنون للسحرية، والأعاجيب الخارقة،
مقدام كالأسد،
في تواضع عجيب، وسعة وغزارة كأنه كنوز جزائر
الهند،

بودى أن أقول لك يا ابن العم

إنه يسرف في احترامك والصبر على مسلكك معه

ويكبح جماح نفسه ويمسكها على غير طبيعتها،

عندما يعن لك أن تعارض هواه،

أقول لك الحق إنه يكف نفسه، بل أؤكد لك أنه

لم يخلق بعد

ذلك الذى يستطيع أن يتحداه كما فعلت

دون أن يتعرض للخطر أو يتجرع اللوم والتقريع.

ولذلك أتوسل إليك أن لا تلجأ إلى هذا الصنيع مرارًا

وتكرارًا.

ورستر : فى الحق يا سيدى اللورد أنك تستحق اللوم لإصرارك عامدًا على استنارته،

فأنت منذ جئت على هنا، لم تترك فرصة

إلا انتهزتها لإخراجه عن صبره.

ومن واجبك يا سيدى اللورد أن تروض نفسك على إصلاح هذا العيب.

فقد يكشف هذا التحدى فى بعض الأحيان عن العظمة والشجاعة وعراقة الأصل.

وهذا غاية ما ينالك بسببه من فضل،

إلا أنه فى غالب الأحيان ينم من موجدة عنيفة،

وسوء فى الخلق، وعوز فى ضبط النفس،

ويكشف عن الكبرياء، والتعالى، والخطورة، والازدراء بالناس،

وأقل هذه الخصال إذا لازمت الرجل الشريف النبيل

صرفت عنه القلوب وخلفت وراءها لخرة

تشوه جمال غيرها من الصفات

١٧٠

١٧٥

١٨٠

١٨٥

فتصبح غير خليقة بالثناء.

هوتسبر : حسنًا لقد تهذبت، وأسأل الله أن يكون سلوككم

الطيب خير معين ولكم وواق فى ميدان القتال. ١٩٠

وها هن أولاء زوجاتنا قادمات فلنودعهن ونرحل.

(يعود جلندور ومعه السيدات)

مورتيمر : هذا هو المشكل المحير الذى أضيق به،

فزوجتى لا تتكلم الإنجليزية، وأنا لا أتكلم الغالية.

جلنداور : أن ابنتى تبكى وتقول إنها لن تصبر على فراقك، ولذلك فهى

ستجند نفسها أيضًا وتذهب إلى ميدان القتال. ١٩٥

مورتيمر : قل لها يا أبى الكريم إنها ستلحق بنا

هى وعمتى برسى سريعًا فى حمايتك.

(جلندور يتحدث إليها بالغالية وهى تجيبه بهذه اللغة)

جلنداور : إنها مستيئسة فى هذه المسألة، إنها امرأة عنيدة صلبة الرأى، لا

يجدى معها أى إقناع ولا تردها حجة إلى صوابها ٢٠٠

(تتكلم السيدة بالغالية)

مورتيمر : إنى أفهمك من نظراتك.

وإن لهذه الدموع الجميلة الغالية

التي تنساب من هذه العيون المنتفخة لغة أحذقها جيدًا،

ولولا العار لأجبتك بلغة مثلها..

(تتحدث السيدة مرة ثانية بالغالية) ٢٠٥

إنى أفهم قبلاتك وأنت تفهمين قبلاتى،

لأننا نتخاطب بلغة الحواس لا بلغة العقل، نتخاطب

بعواطفنا لا بالسنتنا،

ولن أكون متغيباً بلا إذن يا حبيبتي حتى أتعلم لغتك،

فإن لسانك يضيف حلاوة على اللغة الغالية

ويحيلها حلوة الوقع كالأغاني السامية الأسلوب،

تردها ملكة جميلة في خميلة صيف،

٢١٠

وتوقعها على أنغام العود الساحرة

: حنانيك، إنك إن تذب هيأماً تزدد هي جنوناً بك.

جلنداور

(تعاود السيدة الكلام بالغالية)

: أواه.. إننى الجهل مجسماً فى هذا.

مورتيمر

: إنها تطلب إليك أن ترقد على الكأ الأخضر اليانع،

جلنداور

وأن تضع رأسك فى حجرها

٢١٥

لتغنى لك الأغنية التى تحبها،

حتى تتوج إله النوم فوق جفنيك، وتعقد سلطان

الكرى على عينيك،

وتسحر حواسك بأنغامها،

حتى تستكين نفسك وتهدا هدأة بين النوم واليقظة.

أشبه بساعة الغسق

قبل أن تطالع الشمس

فى مركبتها الذهبية من ناحية الشرق.

: من كل قلبى سأجلس وأستمع إليها وهى تغنى لى، وأظن اتفاقنا

مورتيمر

ينتهى إعداده فى هذه الفترة ويكون معداً.

للتوقيع.

(يجلس مورتيمر هو وزوجه)

٢٢٥ جلنداور

: افعل هذا

واعلم أن هؤلاء الموسيقيين الذين سيعزفون لك أنغامهم معلقون
فى الجو على مبعدة ألف فرسخ من هذا المكان ولكنهم لن يلبثوا
أن يجيئوا إلى هنا فاجلس واستمع.

٢٢٨

مورتيمر

: تعالى يا كيت.. تعالى فأنت تحذقين الرقاد، تعالى سريعًا سريعًا،
لأسند رأسى إلى حرك.

٢٣٢ السيدة برسى

: إليك عنى أيتها الأوزة المذعورة.

(يمسكها من معصمها وهى تقاومه ثم يجلسان وقد وضع رأسه
فى حجرها)
تعزف الموسيقى)

هوتسبر

: لقد أدركت الآن أن الشيطان يفهم الغالية،

ولا عجب إذا كان قد فهمها فهو عنيد كثير الأهواء، وبحق
الغراء إنه موسيقى ماهر.

٢٣٥

السيدة برسى

: وإذن فأنت لا تصلح لشيء إلا أن تكون موسيقيًا لأنك أنت
الآخر تتحكم فىك الأهواء ويسيطر عليك العناد. نم فى هدوء أيها
اللص واستمع للسيدة وهى تغنى لك بالغالية.

٢٤١ هوتسبر

: لوددت أن أسمع السيدة كلبتى وهى تتبح كالذئب الإيرلندى.

السيدة برسى

: أبودك أن يكسر رأسك؟

هوتسبر

: لا.

السيدة برسى

: إذن فالزم الصمت.

٢٤٥ هوتسبر

: لا، لن ألزم الصمت.. فالصمت من عيوب النساء.

السيدة برسى

: والآن ليكن الله فى عونك.

هوتسبر : تخلّيت عنى لفراش السيدة الغالية.

السيدة برسى : ما هذا الذى تقول؟

هوتسبر : صه، إنها تغنى

(عندئذ تغنى السيدة أغنية غالية) تعالى يا كيت

فسأسمع أغنيك أنت أيضاً. ٢٥٠

السيدة برسى : لن تسمع أغنيتى وأيم الحق.

هوتسبر : وأيم الحق هذه ليست لائقة بك، إنك تحلفين يا عزيزتى كما

تحلف زوجة صانع الحلوى والفطائر، وتقولين كما يقول "لست أنت وأيم الحق" و "وفية ما عشت" و "كما يوجهنى الله" و "واضحاً وضوح النهار". ٢٥٥

إنك تستعملين عبارات التأكيد الهزيلة بدلا من الأقسام المغلظة.

كأنك يا كيت زوج جندى أو مواطن عادى لم تبرح قدمها حدود فنزبرى^(١٩).

أقسمى يا كيت قسم السادة، فأنت سيدة نبيلة، أقسمى قسماً مغلظاً يملأ الفم، ودعك من هذه العبارات الهزيلة "وأيم الحق" وأمثالها وهى التى يتفوه بها السوق من آكلى الخبز الخشن والسيدات المتأنقات فى خير ملابسهن يوم الأحد، دعك من هذا وهيا عن لى.

السيدة برسى : لن أغنى.

هوتسبر : إذن فأقرب وسيلة تعينك على الغناء أن تتحول إلى حائكة ملابس

أو على مدرية ليطور العندليب، فالحائكة والمدرية كلتاها

مشهورتان بالغناء.

على أية حال إذا انتهى إعداد الوثائق فسأرحل فى خلال هاتين
الساعتين ولك أن تدخل حينما تشائين.

(يخرج)

: أقبل.. أقبل يا لورد مورتيمر إنك مغرق فى البطء.

جلنداور

إغراق لورد برسى فى العجلة، فهو يتحرق شوقاً إلى الرحيل..
بهذا قد تمت صيغة اتفاقنا، ولم يبق إلا أن نختمها ثم نسارع إلى
صهوات جيانا.

: وأنا موافق من كل قلبى.

مورتيمر

(يخرجون)

المنظر الثانى

لندن - حجرة فى القصر - يدخل الملك وأمير الغال وآخرون

الملك

: أيها اللوردات أستمحكم المعذرة أن تدعونا وحدنا إذ لا بد لى

أن أتحدث مع أمير الغال حديثاً خاصاً على انفراد،

ولكن أرجو أن تبقىوا على مقربة منا فسنحتاج إليكم فى الحال.

(ينسحب اللوردات) لست أدري أهى مشيئة الله أن تجرى

الأمر على هذا النهج

تكفيراً لذنوب جنيته فيما سلف

فقضى فى غيبة الذى لا يرد

أن يخرج من صلبى

من ينتقم لخطيئتي ويكون على سوط عذاب،

بلى... إن سلوكك فى أطوار حياتك

يحملنى على الاعتقاد بأن العناية قد اختارتك

لتكون آلة الانتقام الرهيب والسيف والمسلط على رأسى للتكفير

عن آثامى، وإلا فقل لى:

بأى شىء آخر يمكن أن تفسر هذه الشهوات الجامحة الدنيئة

وهذه النزوات والفعال الرخيصة المبتذلة السوقية

وهذا الانغماس فى الملذات النابية والصحبة الجافية،

كتلك التى تسوقك وتجري فى عروقك

وكيف يمكن أن تتمشى هذه السقطات مع عراقة الأصل،

وكيف يمكن أن يساير قلبك النبيل هذه المبادىء إلا إذا كان هو

نفسه مبتذلاً ساقطاً.

١٥

الأمير

: وددت لو أذنت لى يا مولاي

أن أستطيع تبرئة نفسى من جميع هذه الذنوب بحجج واضحة.

وضوح إيماني بطهارتي

من كل ما ألصق بي من اتهامات،

وإني لألتمس أن تتاح لي الفرصة لدحض هذه التهم، عساي
وأنا أفند مزاعم الذين يتصيدون الثناء عن طريق الدس
الرخيص

والقاء التهم في آذان العظماء التي لا غنى لها عن أن تسمع
لأمثال هؤلاء المروجين لقالة السوء،

عساي وأنا أنفي هذه الأكاذيب التي رموني بها زورًا وبهتانًا أن
أجد السبيل إلى عفوك عن طيشي ونزقي
وأن أتلمس الصفح عن نزوات الشباب
حين أقر بها مستغفرًا في خضوع بين يديك.

الملك

: غفر الله لك ذنوبك، ولكن دعني أتأمل يا هاري ميولك
واتجاهاتك التي تجري

على وتيرة تخالف ما جرى عليه كل أسلافك،
لقد فقدت عضويتك في المجلس الخاص نتيجة لخشونتك
وغلظتك

وحل مكانك فيه أخوك الأصغر،
وأصبحت بعيدًا عن قلوب رجال الحاشية
غريبًا عند الأمراء جميعًا من آل بيتي،
وتحطمت كل الآمال والأمانى المعقودة على شبابك،
وبانت كل نفس
تتوقع سقوطك،
ولو أني أسرفت على نفسي في الظهور بين الناس
وتبذلت في عيونهم

وأصبحت ممجوجًا هيئًا عند السوق،

لظل العامة الذين أيدوني وأعانوني على تسلم العرش

على ولائهم وإخلاصهم لصاحب العرش

ولتركوني مشردًا خافت الذكر في منفاى

عاطلا من كل ميزة خلوا من كل أمل

وباحتباسى عن الناس إلا فيما ندر

لم أكن أتحرك إلا كما يتحرك الشهاب فأكون موضع

الدهشة

حتى لكأنى بالآباء يتحدثون عنى إلى أبنائهم وهم يشيرون

"هذا هو"

وكأنى بغيرهم يتساءل "أين بولنبروك وأى الناس هو"

وفى غمرة هذا الإعجاب استلبت من السماء حفاوتها ولطفها

واتخذتهما لنفسى

ولبست للناس لباس الرقة والتواضع

حتى ملكت ولاء قلوبهم

وانتزعت الهتاف والدعاء الحار من أفواههم

حتى فى حضرة مليكهم المتوج،

وبذلك استطعت أن أحتفظ لنفسى بالجدة والحيوية،

فكان وجودى بينهم أشبه ما يكون بالرداء الكنسى المقدس يثير

إعجاب الناس ودهشتهم، وإن كان لا يرى أبدًا، وبذلك كان

ملكى يبدو للناس غبًا، ولكنه محبوبًا مغريًا!

يطلع عليهم كأنه العيد، وبهذه الندرة اكتسب ما يحوطه من

هذه القداسة.

أما الملك الخفيف الطائش الذى كان يخف

إلى مصاحبة المهرجين وأصحاب النكتة الجوفاء والمتطرفين

من ذوى الخيال الجامح

الذين سرعان ما يشتغل ذكاؤهم وسرعان ما يخبو،

فقد دنس ملكه بهذه المخالطة،

وشاب جلاله بامتزاجه بهؤلاء الأوشاب والأدعياء

وامتنهن اسمه العظيم حين جعله مضغة فى أفواههم الساخرة

اللعانة،

وأساء إلى سمعته حين اندمج فى هذا الوسط المبتذل وشارك

فى المضحك والسخرية من الصغار الذين تجرؤوا على لذة

بنكاتهم،

وتظرف مع كل فتى هياً له غروره أن يجاريه وأن يسخر منه

وأن يجعله هدفاً لنكاته اللاذعة،

وبذلك غدا رفيقاً لأبناء الطريق، وأسلم نفسه لصحبة العامة.

فلما التهمته عيون الناس كل يوم

امتلاؤا من العسل حتى أتخموا به وبدأوا يمجونه بل

ويكرهون طعمه الحلو.

ذلك أن تجاوز الحد القليل ولو قليلاً ينطوى على سرف

أى سرف،

ومن ثم فإنه حين تهيأت المناسبات ليطلع على الناس

استقبل الناس مطلعته بفتور وفى غير شوق

كاستقبالهم للوقوف فى شهر يونيو،

فهم يسمعونهم دون أن يأبهوا له،

وينظرونه ولكن بعيون كلت وسئمت من طول النظر إليه،

بعيون حسيمة الطرف

لا تتطلع بشغف إلى جلاله كما تتطلع إلى جلال الشمس
وعظمتها

٨٠

حين تشرق على قلة في أعين المعجبين المحبين،
بل استقبلوه بعيون غافية مسبلة الجفون
وغضوا الطرف عنه
كما يفعل المتغطرسون مع خصومهم،

فهم قد غصوا بمحياة وشبعوا من مشاهدته وأزوروا
برؤيته.

٨٥

وأنت يا هارى مثلك الآن كمثله
فقدت ميزة الإمارة وأضعت اعتبارك بوصفك من النبلاء
باندماجك في هذه الصحبة الماجنة.

فما من عين لم تمل النظر إليك لطول عهدها بك، اللهم إلا
عيني اللتين تتطلعان بشغف إلى التزيد من مراك؟
عيني اللتين تصنعان الآن ما لا أود أن تصنعا
فتغرقان في لجة من الدموع والحنان الأهوج.

٩٠

الأمير : لأرجعن إلى نفسى، وأكونن لها أكثر مما تود يا مولاي
المعظم،
فيما يجد من أيام.

الملك : إنك ما زلت حتى الساعة في نظر العالم كله

على نفس الحال التى كان عليها ريتشارد

يوم وطئت قدماى أرض رافنسبرج قادماً من فرنساً. وأما موقف
برسى الآن فهو أشبه بموقفى حينئذ، وأقسم لك بهذا
الصولجان، بل وفوق ذلك بنفسى التى بين جنبى
إن لبرسى أهلية للتاج بما له من كفاية ووزن

٩٥

تفوق أهليتك التى لا تستند إلا على حقك فيه بالوراثة
بوصفك ولياً للعهد وخليفة للملك.

وبرسى هذا الذى لا حق له فى العرش ولا شبهة فى حق، يملأ
أرض المملكة بالجيش المسلحة

ويجاهر بالعصيان للملك ويقذف بنفسه بين فكي الأسد،
برسى هذا الذى لا يكبرك سناً

يتصدر لقيادة لوردات مسنين وأساقفة محترمين

ليخوض بهم معارك دامية وحروب طاحنة

وما أكثر ما أحرز من أمجاد لن تموت

ضد دوجلاس الأشهر، دوجلاس الذى سمت فعاله

وبرزت شجاعته فى المعارك ومجدت اسمه الحروب

حتى بزت شهرته الجميع وانتزع الصدارة من جميع

المحاربين

وأصبحت كفاية العسكرية تاجاً على جبينه لا يتسامح

إليه أحد

فى جميع الممالك التى تدين بدين المسيح.

هو تسبر هذا الشبيه بمارس إله الحرب فى ثوب الطفولة،

هذا المحارب الوليد،

هزم دوجلاس العظيم

وأذله فأسره مرة

وأطلق سراحه واتخذ صديقاً له

حتى لا يدع سيلاً لتحدينا والنيل منا إلا ولجه

وحتى لا يدع وسيلة إلا استخدمها ليعكر سلامتنا ويهز

أمن عرشنا

والا فبماذا تفسر هذا، برسى ونورثمبرلند

وسماحة أسقف يورك ودوجلاس ومورتيمر

يجتمعون ويوقعون اتفاقاً فيما بينهم يأتلفون فيه ضدنا ثم

يهبون ثائرين علينا.

١٢٠

ولكن لم أفض إليك بكل هذه الأنباء؟

ولم أحدثك يا هارى عن أعدائى

وأنت أقربهم إلى وألصقهم بى وأشدّهم خطراً على!

إنك أدنى إلى أن تحاربنى مأجوراً فى صفوف برسى

ويدافع من خوف التابع لمتبوعه

١٢٥

أو استجابة لهوى وضع، أو نزوة جامحة.

إنك أدنى إلى أن تناصبني العدا

وأن تتبع برسى وتجري فى ركابه وتتحنى خشية من غضبه

١٢٨

وأن تكشف إلى أى درك قد هوى بك الانحلال.

: لا تظنن بى الظنون يا أبى فلن تجدنى كذلك أبداً، عفا الله عن

الأمير

الذين باعدوا

١٣٠

بينى وبين حسن رأيك فى يا مولاي.

ولكنى سأكفر عن كل هذا وستكون كفارتى على رأس

برسى نفسه،

وسأجد فى نفسى الشجاعة فى يوم أغر يكتمل لى فيه

النصر

أن أقول لك هأنذا ابنك بحق،

وسيكون ذلك اليوم حين أخرج من المعمة وقد لبست

١٣٥

ثوباً من الدماء

وتلطح وجهى بالدم حتى ليبدو كأنما أخفيتهُ تحت قناع
دموى،

فإذا ما غسلته وذهبت بآثاره ذهب معه كل عارى

وسيكون هذا اليوم عندما يشرق على الكون،

١٤٠

هو اليوم الذى يتاح فيه لهارى ابنك الذى لا يؤبه به

أن يلتقى بهذا المحفوظ سليل المجد والشرف

هذا المقدام هو تسبر الفارس الذى يحظى بالثناء من

جميع الأفواه،

ولوددت أن تتكاثر الأمجاد التى تتوج هامته،

وأن تتضاعف الأوزار التى تجل رأسى بالعار،

ذلك أن الساعد لا بد

آتية، التى سأحمل فيها هذا الفتى الشمالى

١٤٥

على أن يستبدل أوزارى بصنائه المجيدة وفعاله المشرفة.

وفى الحق يا مولاي ما برسى إلا عميلى ووسيطى

يجمع لحسابى جملة كل الخصال المجيدة ثم يشتريها لى

وسأدعوه لأحاسبه على ما جمع لى حسابًا عسيرًا،

وسأحملة على أن يسلم لى كل أمجاده

١٥٠

بحيث لا أدع له أدنى مكرمة خلعها عليه الزمان فى

أيام عمره،

فإن لم يسلم لى طائعًا مختارًا انتزعت حسابى عنده من

أعماق قلبه

وإنى لأقطع هنا أمامك على نفسى وعدًا بذلك،

وأقسم بالله أن أنفذ هذا القسم إن أذن لى ربي،

وانى لأتوسل إليك يا مولاي أن تأسو

١٥٥

جراحًا طال بها الزمان وسببها الطيش والحماسة،

وإلا تأسها فسيمحو الموت آثارها ويكفيها آلامها،

وأقسم لك يا مولاي إنى على استعداد أن أموت مائة

ألف ميتة

ولا أفرط فى حرف من هذا القسم أو أحنث فى أى

جزء منه

: ليموتن مائة ألف تائر نتيجة لهذا

١٦٠ الملك

وليكونن لك قيادة وسلطان ولتفوزن بثقتنا ورضانا الملكى.

(يدخل بلنت) مرحًا ما وراءك أى بلنت الطيب،

فإنى أرى نظراتك تتم عن اللهفة والاستعجال.

: إن الأمر الذى جئت أتحدث فيه يستدعى العجلة

بلنت

ويوحى بالمبادرة

فقد بعث لورد مورتيمر الإسكتلندى برسالة

يقول فيها إن دوجلاس اجتمع بالنوار الإنجليز

١٦٥

فى الحادى عشر من هذا الشهر فى شروزبرى

وأنهم يؤلفون جيشًا قويًا رهيبًا،

إذ رعيت العهود التى قطعت

كما هو الحال فى كل مؤامرة خنونة بالبلاد.

: سيرحل إيرل وستمورلند اليوم

١٧٠ الملك

ومعه ابنى جون لورد لانكستر

فقد مضى خمسة أيام على استطلاعنا هذا النبأ

أما أنت يا هارى فسترحل يوم الأربعاء،

ونتبعك نحن يوم الخميس حيث نلتقى جميعاً فى بريدج
نورث،

وستخترق أنت يا هارى جولست شير
وعلى هذا الحساب إذا قدرنا الظروف التى نواجهها حق
قدرها.

ووزنا ما عينا أن نعمله بميزان دقيق فإن الأمر يقتضينا
حوالى اثنى عشر يوماً

من الآن لتجتمع قواتنا الرئيسية فى بريدج نورث
إن أيدينا ممثلة بالعمل، فلنسارع لإنجازه
فالميزة التى تكتسب بالمبادرة لا يفلتها إلا التوانى.

(يخرجون)

المنظر الثالث

حجرة فى حانة رأس الحلوف فى إيست تشيب، والوقت فى الصباح الباكر

يدخل فولستاف وقد تدلت هراوة من منطقتة ومعه باردولف)

فولستاف : ألا ترى يا باردولف أنى قد هزلت هزالا شديدا منذ واقعتنا

الأخيرة؟ ألا ترى أن وزنى يتناقص وأن عودى يذوى.. إن
جلدى يترهل على بدنى كما يترهل الثوب الفضفاض على بدن
المرأة العجوز لقد ذبل عودى كما يتغضن قشر التفاح
المخزون، واهـ لا بد لى أن أتوب وأنيب وأن أسارع إلى
الاستغفار ولما تنزل فى بقية

من قوة.

٥

إن روحى ستتتهار سريعا، ومن ثم لن تكون لى قدرة على
الاستغفار ويلى ألا أكن قد نسيت هيكل الكنيسة من الداخل
فما أنا إلا تافه حقير كحبة من فلفل أو كحصان الخمار..
هيكل الكنيسة! إنى لم أعد أعرفه، ويل لى من الصحبة،
صحبة السوء لقد كان دمارى على يدها.

١٠

باردولف : يا سير جون، لا أضن أنك ستعيش طويلا من شدة

١٤

اضطراب الفكر.

فولستاف : هذا ما أخشاه، فهيا غنى لحنا ماجنا وأدخل السرور على قلبى

فقد كنت نزاعا إلى الفضيلة بالقدر الذى ينبغى للسادة، أى
بالقدر المناسب، منها، أقل من اللعنات، ولا أسرف فى
المقامرة، فلا أتجاوز فى لعب النرد سبع مرات فى الأسبوع، ولا
أتردد على بيوت الخنا أكثر من مرة فى كل ربع ساعة، وأديت
الديون التى اقترضتها ثلاث مرات أو أربع، وكنت أعيش حياة
رغبة منظمة مرتبة.

أما الآن فإنى أحيا حياة من الفوضى والعبث حياة مسرفة بلا
نظام ولا حدود.

٢٠

باردولف : إنك مسرف فى البدانة يا سير جون، ولا بد أن نطابقك قد
جاوز كل الحدود. إن محيطك جاوز كل الحدود المعقولة يا
سير جون.

٢٦

فولستاف : غير وجهك إن استطعت، أغير أنا مجرى حياتى.
إنك منا كسفينة القيادة التى تحمل مصباحها فى دفتها،
وإن كنت أنت تحمل مصباحك فى أنفك، إنك
فارس المصباح المشتعل.

٣٠

باردولف : يا سير جون، وجهى لا يؤذيك فى شىء ماء.
فولستاف : كلا، وأقسم على ذلك، بل أنى لأستفيد منه كما يستفيد كثير
من الناس من الخاتم المحلى بجمجمة ميت أو بأية صورة
تذكر بالموت. فما من مرة رأيت وجهك إلا وتذكرت نار
الجحيم

٣٥

وتذكرت الغنى^(٢٠) الذى كان يرفل فى الأرجوان، أنه يحترق
هنا أمامى فى نار وجهك بأثوابه الأرجوانية ويصلى سعيра.
ولونك كنت خيرًا على أى وجه، مبالا إلى الفضيلة، لأقسمت
بوجهك على هذا النحو: "قسما بهذه النار المنذرة التى هى من
ملائكة الله" ولكنك تبدلت كلية، وغرقت فى الشر إلى آذانك
ولولا ما بقى فى وجهك الكئيب صرت حقًا من أبناء الظلمة
الحالكة. ولئن لم آخذك يوم عدوت مصعدًا فى جاذهيل فى
ظلمة الليل لتمسك بحصانى، على أنك لسان خداع من السنة
لهب الأرض، أو كرة ملتهبة من البارود، فلا بقيت للنقود
قيمة، أواه إنك موكب الشعلة المنتصرة التى لا تخبو نيرانها
أبدًا وإنك برق الصاروخ الخالد، لقد وفرت على آلافًا

٤٠

كنت أصرفها فى شراء المشاعل والمواقد وأنا أسير معك فى

٤٥

(٢٠) الإشارة هنا إلى قصة الغنى ولعازر الفقير فى إنجيل لوقا (١٦ : ١٩ - ٣١).

الليل ما بين حانة وحانة، ولكن النبيذ الذى تجرعه على
حسابى كان يكفينى لأشتري بثمانه ثقاباً ومشاعل من عند أغلى
الوقادين فى أوربا، وبأرخص مما صرفت عليك. لقد داومت
طوال هذه الفترة التى صحبتنى فيها والتى أربت على اثنتين
وثلاثين سنة، على أن أطفئ ظمأ هذا الحيوان النارى الذى
تتطوى عليه جوانحك حتى لا تخبو نار وجهك، وعند الله
لى هذا الجزاء.

٥٠

باردولف : تباً لك.. إلا تنتهى عن هذا الحديث، وودت أن أدفن
نار وجهى فى أحشائك!

فولستاف : فليتداركنى الله برحمته إذن. فتلك حارقة القلب والفؤاد
لا محالة.

(تدخل صاحبة الحانة)

٦١ فولستاف : هيه أيتها المرأة الشكسة، ألم تتحققى بعد ممن نشل جيبى

صاحبة الحانة : وى يا سير جون، ماذا تظن بنا يا سير جون! أو تظن أنى
آوى لصوصاً فى فندقى؟ لقد بحثت وسألت، وكذلك بحث
زوجى وسأل، سألنا الجميع رجلاً رجلاً، وولداً ولداً، وخادماً
خادماً،

٦٥

ولم يسبق أن ضاع من بيتى شىء أبداً حتى ولا قلامة
ظفر.

فولستاف : إنك تكذبين يا امرأة، فقد نحل رأس باردولف وفقد كثيراً من
الشعر وأقسم لك أن جيبى نشل، إليك عنى، تولى فما أنت إلا
امرأة.

٧٠

صاحبة الجان : من تعنى بهذا؟ أنا؟ لا.. لا لست أنا التى يقال لها ذلك
وأتحداك، وبحث نور الله ما من أحد قبلك تجرأ على أن
يخاطبنى بهذه اللهجة فى بيتى.

فولستاف : إليك عنى، فأنا أعرف الناس بك.

صاحبة الحان : لا يا سير جون، إنك لا تعرفنى، ولكنى أنا التى أعرفك حق المعرفة يا سير جون، إنك مدين لى ببعض المالى.

٧٥ ولذلك تتصيد أسبابًا للخلاف لتخدعنى عن حقى وتسلبنى إياه، لقد اشتريت لك اثنى عشر قميصًا كسوت بها ظهرك العارى.

فولستاف : لقد كانت من العبك الخشن الرخيص الذى تصنع منه الغرابيل وقد أعطيتها لزوجات الخبازين فصنعوا منها غرابيلهم.

٨١

صاحبة الحان : بل كانت من أفخر الأتئال الناعمة التى يساوى المتر منها ثمانية شلنات بحق حرمتى كامرأة شريفة، وفوق هذا فأنت مدين لى يا سير جون بثمان طعامك وشريك فيما بين الوجبات، هذا عدا المال الذى اقترضته نقدًا، فقد أخذت منى أربعة وعشرين جنيهًا.

٨٦

فولستاف : إن عليه قسما منها، فدعيه يوفى بحصته.

(مشيرا إلى بارد ولف)

صاحبة الحان : هو وا أسفاه رجل فقير لا يملك شيئًا.

فولستاف : هيه يا امرأة، أنتحدثين عن فقره؟ انظرى إلى وجهى، ثم قولى لى ما هو الغنى إن لم يكن هذا الوجه؟ دعيهم يسكون لك

هذا الأنف الأحمر، وهذا الخد النارى دراهم ودنانير، أما أنا فلن أدفع دانقًا واحدًا، ويك.. أتريدى أن تضحكى منى وأن تعاملينى كغمر أبله وتسلبينى مالى؟ وى.. آليس من حقى أن أستمتع بحظى من الراحة فى بيتى، إلا أن تتشل جيوبى؟ لقد فقدت خاتم الشعار الذى ورثته عن جدى، إنه يساوى أربعين ماركًا.

٩٥

صاحبة الجان : يا إلهى، لطالما سمعت الأمير يقول له مرارًا وتكرارًا إنه خاتم

من نحاس.

فولستاف : إن الأمير وغد ولص حقيير يسرق أكواب الشراب من الحانات،
عليه اللعنة لو كان هنا الآن لضربته بهراوتى هذه كما يضرب
الكلب لو أنه تجاسر وقال لى ذلك

١٠١

(يدخل الأمير ويوان وهما يمشيان فى صف منفرد فيلقاهما فولتساف وهو يلعب على
عصاه كما يلعب بالمزمار فيسيرون معا حول الغرفة وينضم باردولف إلى جانب
يوان).

فولستاف : هيه يا فتى، هل تهب الريح من هذا الباب حقاً؟

أيجب أن نسير جميعاً إلى الميدان؟

باردولف : أجل يجب أن نسير اثنين اثنين كما يسير المساجين مصفدين
إلى سجن نيوجيت (٢١).

١٠٥ صاحبة الحان : مولاي، وودت أن تستمع إلى.

الأمير : ماذا تقولين يا سيدة كويكلى؟ كيف حال زوجك؟

إنى أحبه حباً جمّاً فهو رجل أمين.

صاحبة الحان : سيدى الكريم، أرجو أن تسمعنى.

١١٠ صاحبة الحان : مولاي، وددت أن تستمع إلى.

الأمير : ماذا تقولين يا سيدة كويكلى؟ كيف حال زوجك؟

إنى أحبه حباً جمّاً فهو رجل أمين.

صاحبة الحان : سيدى الكريم، أرجو أن تسمعنى.

١١٠ فولستاف : أرجوك أن تدعها وشأنها وأن تستمع إلى.

الأمير : ماذا تقول يا جاك؟
فولستاف : لقد استغرقت فى النوم هنا فى الليلة الماضية وراء الستر،
ونشلت جيوبى وأنا نائم، لقد تحول هذا البيت إلى دار من دور
العاهرات وأصبحوا ينشلون الجيوب.

١١٥ الأمير : وماذا فقدت يا جاك؟
فولستاف : وهل تصدقنى يا هال إن قلت لك؟ لقد فقدت ثلاثة سكوك أو
ربعة كل منها بأربعين جنيهاً، وفقدت خاتم الشعار الخاص
بجدى.

الأمير : شىء تافه وأمر حقير لا يساوى أكثر من ثمانية بنسات.

١٢٠ صاحبة الجان : هذا عين ما قلته له يا مولاي،
قلت له إن هذا ما سمعت عظمك تقوله
فانبرى يا سيدى ينعتك بأخس النعوت بلسان لعان دنىء
كالعهد به وزاد أنه سيضربك بهراوته.

الأمير : ما أظنه قال ذلك.

١٢٦ صاحبة الحان : لأعدمن وفائى وصدقى وأنوثتى إن لم يكن قال ذلك.

فولستاف : ليس فيك من الوفاء أكثر مما فى امرأة عاهر، وليس فيك من
الصدق أكثر مما فى ثعلب انكشف لمطارديه، أما الأنوثة
فليس لك منها نصيب إلا بقدر ما للعجوز ماريان المسترجلة
من نصيب فى رقة زوجة نائب العمدة وأناققتها، اذهبي يا هذه،
إليك عنى أيها الشىء الحقير.

صاحبة الحان : ماذا تقول؟ شىء.. أى شىء أنا؟

فولستاف : أى شىء أنت؟.. كما خلقك الله وصورك، شىءٍ!

تحمدين الله عليه.

١٣٥ صاحبة الحان : لست كما خلقنى الله مكروهاً يحمد الله عليه، وددت لو عرفت حقيقتى، فأنا زوجة رجل أمين، وأنت لست إذا ما خلّيت لقب السير جانباً، إلا وغداً إذ تدعونى كذلك.

١٤٠ فولستاف : ولست، إذا خلّيت أنوثتك جانباً، إلا بهيمة متوحشة ولا غير ذلك.

صاحبة الحان : قل أن بهيمة يا هذا.. يا هذا الوغد.

فولستاف : أية بهيمة؟.. ثعلب الماء!

الأمير : ثعلب الماء يا سير جون؟، ولماذا ثعلب الماء؟

١٤٥ فولستاف : إنه ليس سمكة ولا حيواناً، وما يدرى أحد أين يلتسمه.

صاحبة الحان : لشد ما تظلمنى أيها الوغد حين تقول ذلك، فأنت أو إى إنسان آخر تستطيع أن تعرف كيف تستفيد منى، وأين تلتمس منفعتى.

١٥٠ الأمير : لقد قلت حقاً يا سيدتى المضيفة، ولقد أساء إليك إساءة شديدة.

صاحبة الحان : وكذلك أساء إليك يا سيدى، فقد ادعى بالأمس أنك مدين له بألف جنيه.

الأمير : اسمع يا هذا، هل أنا مدين لك بألف جنيه؟

١٥٥ فولستاف : بألف جنيه يا هال؟ بل بمليون يا هال، فحبك يعدل مليوناً من الجنيهات، وأنت مدين لى بحبى إياك

صاحبة الحان : بل وأكثر من ذلك يا سيدى إنه دعاك بالوغد، وقال إنه سيضربك بهراوته.

١٦٠ فولستاف : هل قلت ذلك يا باردولف؟

- باردولف : أجل قلته حقًا يا سير جون.
- فولستاف : أجل قلت سأضربه إن قال إن خاتمي من النحاس.
- ١٦٤ الأمير : وهأنذا أقول إنه من النحاس. فهل تجرؤ الآن أن تكون عند كلمتك
- فولستاف : يا هال، إنك تعرف أنني أجرؤ أن أكون عند كلمتي لو كنت رجلا عاديًا، ولكنك أمير يا هال، وأنا أخشاك كما أخشى زئير جراء الأسد.
- الأمير : ولماذا لا تقل كزئير الأسد؟
- فولستاف : إن الملك وحده هو الذى يخشى كما يخشى الأسد،
١٧٠ أو تظن أنى أخافك كما أخافك أباك؟
ويلي، إننى إن فعلت، لدعوت الله أن يقصم ظهري ويعرضني للهوان.
- الأمير : أواه، لو قصم الله ظهرك لتدلت أعاؤك عند ركبتيك، ولكن اسمع يا فتى، لست أرى فى صدرك مكانًا لإخلاص أو صدق أو أمانة، فهو ممتلئ بالمصارين
- ١٧٥ والأمعاء، كيف تسول لك نفسك أن تهتم امرأة أمينة بنشل جيوبك؟ كيف يحدث هذا أيها الوضيع الوقح المتجرئ أيها الغد المنتفخ المزيد؟ قسما لو أن جيوبك انطوت على شيء غير حسابات الحانات ومواعيد بيوت الدعارة والخنا، وبما يساوى بنسًا واحدًا.
- ١٨٠ من السكر الأحمر الخشن ليطيل أنفاسك، قسما لو أنها عمرت بشيء غير هذه الحقارات فما أنا إلا شقى، ولكنك مع ذلك تكابر فى الادعاء ولا تسلم بالخطأ فى هدوء، ألا تخجل
١٨٤ من نفسك؟

فولستاف : اسمع يا هال، ألا تعرف أن آدم هبط من الجنة ببراءة وسذاجة؟ فبماذا يستطيع فلستاف أن يدفع عن نفسه فى أيام الشر والشقوة هذه؟ أنت ترانى أكثر الناس اكتنازاً للحم، ولهذا فأنا أشدهم ضعفاً. إنك تعترف إذن أنك نشلت جيوبى.

١٩٠

الأمير : هذا يبدو من سياق القصة.

فولستاف : أيتها المضيضة لقد عفوت عنك. هيا اذهبى وأعدى لى الإفطار وداومى على حب زوجك والعطف على خدمك وإكرام نزلائك وستجدينى دائماً على استعداد للاقتناع بأية حجة صادقة، وهأنت ذى ترينى دائماً صبوراً وديعاً مستعداً لحسم كل خلاف. أجل

وأرجوك أن تذهبى الآن. (تخرج صاحبة الحان) والآن يا هال خبرنى أنباء القصر وحدثنى عما تم فى أمر السرقة وكيف كفرت عنها؟

الأمير : أواه يا ثورى الحبيب، لا بد لى أن أظل ملاكك الحارس على الدوام، لقد رددنا المال لأصحابه.

٢٠٠

فولستاف : واهاً.. لست أحب إعادة المال لأصحابه، فهو جهد مزدوج.

٢٠٤ الأمير : لقد تصافيت مع أبى وأستطيع أن أفعل كل ما أريد.

فولستاف : إذن فاسرق لى الخزانة العامة، وليكن ذلك أول عمل لك، وأقبل عليه من فورك ثابت الجنان دون استغفار أو ندم.

باردولف : افعل ذلك يا مولاي.

٢٠ الأمير : لقد احتفظت لك يا جاك برئاسة فرقة من جنود المشاة.

فولستاف : وددت لو كانت فرقة من الفرسان، وأين لى برجل يحسن السرقة؟ ومن لى بلص أنيق فى الثانية والعشرين من عمره أو حول ذلك؟ إننى رجل قد أسىء تسليحه وإمداده بالعدة الكافية

بشكل يبعث على الخجل والزرابة، مهما يكن من شيء فالحمد لله، فهؤلاء الثوار لم يسيئوا إلى أحد اللهم إلا أهل الفضل المخلصين، ومن ثم فأنا أثني عليهم وأشكرهم.

٢١٥

الأمير : باردولف.

باردولف : نعم يا مولاي.

الأمير : اذهب واحمل هذا الخطاب إلى جون لورد لانكستر، إلى أخي

جون، وهذا الخطاب إلى لورد وستمورلند. (يخرج باردولف) أما أنت يا بوان فهيا إلى جوادك.. إلى جوادك.. أسرع إذا يا بوان فإن أمامي أنا وأنت أن تقطع على ظهور الجياد ثلاثين ميلا قبل أن يحين وقت العشاء (يخرج بوان) أما أنت يا جاك فلاقني غداً في الساعة الثانية بعد الظهر في ساحة المحكمة، وهناك ستعرف فرقتك، وستتلقى المال اللازم

والأوامر الضرورية لإعدادها، وتزويدها بالعدة والسلاح،

٢٢٥

إن الفتنة تضطرم في البلاد، وبرسى يقف على رأسها، ولا بد لأحدنا أن ينزل عن مكانه. فإما أن نهوى نحن أو يهواهم.

(يخرج وراء باردولف وبوان)

فولستاف : يا لها من كلمات حكيمة، ويا له من عالم مقدام.

أيتها المضيضة على الإفطار، هيا أسرعى،

وددت لو استطعت أن آخذ هذه الحانة معي، وأن تظل إلى جانبي وأنا أدق طبول المعركة.

٢٣٠

(يخرج)

الفصل الرابع

المنظر الأول

خيمة فى معسكر الثوار بالقرب من شروزبرى. يدخل هوتسبر وورستر ودجلاس

هوتسبر : مرحى مرحى.. لقد أحسنت القول، أيها الإسكتلندى النبيل،

ولو أن قول الحق فى هذا الزمان العجيب لم يؤخذ على أنه رياء ونفاق،

لقلت إن مثل هذا الشرف حقيق أن يناله دوجلاس حتى لا يدانيه فى علو مجده ورفعة شأنه جندى من أبناء هذا الجيل فى أى بقعة من بقاع الأرض،

ولكنى وأيم الحق لا أمارى

ولكنى أقطع السنة المرائين حين أقول

أن محبتك فى قلبى تملأ فراغاً لم يتناول إليه إنسان غيرك،
ولك أن تلزمنى بقولى؛ اختبرنى يا سيدى اللورد.

: إنك ملك الشرف

١٠ دجلاس

وما من رجل بلغت قوته ما بلغت يحيا على ظهر هذه الأرض
إلا أتحداه.

: افعل ما ترى وهو خير.

هوتسبر

(يدخل رسول ومعه رسائل)، ما هذه الرسائل التى تحملها.
(إلى دوجلاس) لا أملك إلا أن أشكر.

: هذه رسائل من أبيك.

الرسول

: أرسائل منه؟ ولم لم يأت بنفسه؟

١٥ هوتسبر

: إنه لا يستطيع القدوم يا مولاي، فهو مريض جداً.

الرسول

: يا للعنة، كيف استطاع أن يجد فراغاً ليمرض فى مثل هذا
الوقت الضيق العصيب؟! ومن ذا الذى سيقود جنده؟

هوتسبر

وتحت إمرة من سيقدمون؟

٢٠ الرسول : إن رسائله تحمل تعليماته، ولم يحملني إياها يا سيدى.

ورستر : أرجو أن تخبرنى، هل هو ملازم لفراشه؟

الرسول : أجل يا مولاي، إنه ملازم لفراشه منذ أربعة أيام قبل رحيلى،

وحين أزمعت السفر

كان أطباؤه يخشون عليه.

٢٥ ورستر : وددت لو أن أمور الزمان استقامت وصحت من علاتها قبل

أن تنتابه العلة ويقعده المرض.

فصحته لم تكن فى وقت من الأوقات أئمن منها الآن.

هو تسير : أيمرض الآن؟ أيزبل عوده الآن؟

إن مرضه هذا قد أصاب خطتنا فى الصميم.

إن هذه العلة تكاد تعدينا هنا، تكاد تصيب معسكرنا

كله.

٣٠ إنه يقول فى خطابه إن داء دفيناً قد أصابه

وإن أصدقاءه ليس من السهل

أن يتجمعوا سريعاً تلبية لنداء نائب عنه،

وإنه لا يعتقد أيضاً أن من الملائم أن يضع مثل هذه

المهمة الخطيرة الشديدة الأهمية

على عاتق أى شخص لا يهمله الأمر مباشرة، بل على

٣٥ عاتقه هو نفسه.

وعلى الرغم من ذلك فهو يبذل لنا النصيحة

قائلاً إننا نستطيع أن نسير بقواتنا المشتركة الصغيرة قدماً

لنرى كيف نتصرف الحظوظ معنا،

ولأنه وهو يكتب إلينا رسالته يرى أنه لم يعد مجال

للنكوص أو التردد

إذا أن الملك قد أحاط علمًا

٤٠

بجميع نوايانا وأهدافنا، فماذا تقولون في هذا؟

: إن مرض أبيك جرح دام أصابنا في الصميم، وسيعوقنا.

ورستر

: إنه جرح نغار، أنه ساق بترت،

هوتسبر

ومع ذلك وأيم الحق هي لم تبتتر، إن عجزه الحالى عن
مساعدتنا

يبدو لنا أكثر خطورة وأعظم أثرًا مما ستكشفه لنا الحوادث
عاجلاً.

٤٠

أكان من الحصافة والحكمة أن نخاطر بكل مواردنا وقواتنا مرة
واحدة،

وأن نخضع لرومية واحدة من رميات الحظ؟

أمن الحكمة وبعد النظر أن نضع مثل هذا الأمل الغالى تحت
رحمة المصادفات الدقيقة في ساعة مشكوك فيها؟

لا لم يكن هذا خيرًا، إننا إذا غامرنا بكل ما نملك مرة واحدة

استنفذنا بذلك كل آمالنا، وكل حظوظنا

٥٠

ورأينا أننا بذلنا آخر ما نستطيع، وكشفنا عن أبعد غور فينا

ووصلنا إلى الغاية التى ليس بعدها غاية فى جهودنا وآمالنا.

: هذا وأيم الحق صدق كله،

دجلاس

وسيدفعنا الأمل فى مزيد من القوات تأتى لنجدتنا أن نبلى بما
فى أيدينا بلاء حسنًا

وأن نندفع بها بقوة فى غير ما خوف ولا وجل

مطمئنين إلى ما سيأتينا من مدد منتظر،

وأتقن أن وراءنا ملجأ نأوى إليه عند الحاجة.

هوتسبر

: ملجأ نأوى إليه، وحصناً نلوذ به

إذا بدا لنا أن الشيطان وسوء الحظ

يتهددان قوائنا التي لم تجر بها بعد.

٦٠ ورستر

: وددت رغم كل ما قلت لو أن أباك كان معنا هنا يقف إلى جانينا،

فإن طبيعة مهمتنا، وقوام مشروعا

لا يحتملان انقساماً، ولا يطيقان فرقة

فقد يظن بعض الناس ممن لم يقفوا على سر تخلفه

إنها الحكمة أو الولاء، أو مجرد عدم الرضا عن خططنا

وأساليبنا

٦٥

هى التى حجبته عنا ومنعته من القدوم إلينا، ولكم أن تتصوروا مبلغ ما يثيره مثل هذا الخيال من تردد فى قلوب العصابة الواجفة،

ومبلغ ما يؤثر هذا فى مجريات الأمور

بل مبلغ ما يثيره من الظنة والشك فى نزاهة قصدنا ونحن المهاجمين الذين وضعنا حياتنا وأموالنا رهناً لصدق قضيتنا وإخلاص نيتنا كما ترون يجمال بنا أن نكون بعيدين عن مواضع النقد الشديد

وأن نسد كل ثغرة

٧٠

يمكن أن تظل منها علينا عيون المتربصين

وفى الحق أن تخلف أبيتك يكشف الستار

عن أشياء تبدو لعين الجاهل أنها تتم عن خوف من ناحيتنا

ما كان ليدور بخلد أحد من قبل.

: أنك تبالغ فى التطير من غياب أبى،

أما أنا فأفضل أن أستفيد من هذه الغيبة،

فهى تضىف علينا سنى وسناء وتزيد سمعتنا قوة وعظمة،
وتتعت مشروعا العظيم بالجسارة والإقدام أكثر مما لو كان
معنا

فسيظن الناس لا مشاحة

إننا إذا كنا قدرنا بغير عونه

أن نسفر عن العداء للملك وأن نهاجم مملكته، فكيف إذا كنا
معنا؟

إننا بمساعدته سوف نقلبها رأساً على عقب.

ومع ذلك ففيم القلق؟ إن كل شىء يجرى على ما يرام وما زلنا
يداً واحدة.

: ليس لكلمة خوف ضريب يجرى على الألسنة فى إسكتلندا،

دجلاس

إن أحداً منا لا يعرف خوف، أقول هذا بوحى على قلبى.

(يدخل الخيمة سير ريتشارد فرنون)

: مرحباً بك يا ابن العم فرنون، مرحباً بك من كل قلبى.

هوتسبير

: ادع ريك أن تكون أنبأى تستحق مثل هذا الترحيب يا سيدى،

فرنون

إن إيرل وستمورلند ومعه سبعة آلاف من الرجال الأشداء

يحثون الخطى نجونا يصاحبهم الأمير جون.

: لا ضير فى هذا، فهل من مزيد؟

هوتسبير

: وعلمت أكثر من ذلك

فرنون

أن الملك نفسه بدأ بالتحرك إلى هنا

أو هو على وشك التحرك

ومعه جيش قوى قادر مزود بعدة القتال.

هوتسبر

: سيد منا الترحيب أيضًا

٩٥

وأين ابنه السريع العدو والفرار أمير الغال البوهيمي؟

وأين رفاقه الذين اطرحوا هموم الدنيا جانبًا

وتركوها تسير كما يهوون؟

فرنون

: لقد لبسوا جميعًا عدتهم وامتشقوا حسامهم

وغطوا رؤوسهم بخوذات محلاة بالريش وبدوا في مشيتهم

كأنهم قطيع من النعام يسابق الريح

وقد دفعتهم الريح أمامها وكأنهم سرب من النسور

طر ريشه وقد خرج من البحر

ينفض من أجنحته الماء ويتأهب للطيران، وهم يتألقون في

حلل ذهبية كأنهم تماثيل القديسين في الأعياد وكلهم نشاط

وحيوية كأنهم الربيع

١٠٠

وكلهم عظمة وجلال كأنهم الشمس في وسط الصيف، وكلهم

شهوة إلى الحرب كأنهم المعز الفائرة، وكلهم جموح وثورة

كأنهم الثيران الفتية، ولقد رأيت هارى الشاب وخودته على

رأسه

١٠٥

ودروعه على فخذ

ينهض من الأرض فكأنما هو عطارذ المجنح القدمين

يقفز إلى ظهر حصانه في سهولة ويسر

كأنما هو ملاك هبط من وسط السحاب فوق بيجاسوس،

الحصان المجنح الجامح ليقوده وجهه ويدور به حيثما

يريد،

١١٠

وليسحر العالم كله بفنون فروسيته النبيلة.

هوتسبير

: كفى.. كفى، إن هذا الحديث أسوأ أثرًا في مزاج الإنسان من
شمس مارس،

وهذا المديح يزيد قشعريرة الحمى، ذرهم يجيئون، وسيجيئون
مزدانين كعرائس الضحية والفداء،

وسنقدمهم قريبًا لآلهة الحرب الخائفة ذات العيون
النارية

ليلتهمهم أتون الحرب المستعرة الدامية،

وسيجلس مارس إله الحرب وقد تمنطق بدروعه فوق مذبحه
غارقًا في الدم حتى آذانه،

إنى لأنحرق شوقًا لسماعى أن هذه الجائزة الثمينة قد دنت
قطوفها،

على أننا مع ذلك لسنا أصحابها، هيا نجرب حصانى
ونختبره،

هذا الحصان الذى سيحملنى كصاعقة
تخترق صدر أمير الغال،

إن هارى لهارى بالمرصاد، ولا بد لهما أن يلتقيا وأن يلتحم
حصاناهما فى حمأة المعركة،

ولن يترك أحدهما الآخر إلا جثة هامة..
أواه ليت جلندور يأتى!

: لا تزال عندى بقية من أنباء،

فرنون

فقد علمت فى ورستر وأنا أرتادها فى طريقى إليكم أن جلندور
لن يستطيع جمع قواته خلال هذه الأربعة عشر يومًا.

١٢٥

: هذا أسوأ نبأ سمعته للآن.

دجلاس

ورستر : أجل وأيم الحق، إن له وقعاً سيئاً مثبطاً.

هوتسبر : وكم يبلغ جيش الملك على أقصى تقدير؟

فرنون : ثلاثين ألفاً.

١٣٠ هوتسبر : ليكونوا أربعين ألفاً!

وعلى الرغم من غيبة أبي وتخلف جلدور

فإن قواتنا كافية لهذا اليوم العظيم،

هيا نأخذ أهبتنا سريعاً ونعد رجالنا ونرقب صفوفهم،

فإن القيامة قد قربت، فإذا ما متنا جميعاً متنا راضين

مغتبطين

١٣٥ دجلاس : لا نتحدث عن الموت فإنني قد تحررت من خوف الموت ومن

قبضته مدة هذه الأشهر الستة.

(يسرعون بالخروج من الخيمة)

المنظر الثانى

طريق عام بالقرب من كوفنتري. يدخل فولستاف مرتدياً درعاً بلا أكمام مبطناً بالجلد، وقد ربط بحزامه جراب بندقية وهو يتحدث مع باردولف)

فولستاف : اذهب يا باردولف إلى كوفنتري أولاً واملاً لى زجاجة بالنبيذ وستسير جنودنا قدماً وسنبلى ساتون كولد فيلد الليلة.

باردولف : هل ستعطينى نقوداً يا سيدى الضابط؟

فولستاف ٥ : اصرف بحرية، خذ ثمنها من المصروفات.

باردولف : إن ثمن هذه الزجاجة قد يبلغ عشرة شلنات.

فولستاف : وماذا لو بلغ؟ خذه فى مقابل أتعابك، وإذا بلغ ثمنها عشرين فخذها جميعاً وسأضمن قيمة النقود، ومر مساعدى بيتو أن يلقانى فى طرف المدينة.

١٠

باردولف : سأفعل يا سيدى القائد، وأستودعك الله (يخرج)

فولستاف : لئن لم أستشعر الخجل والعار من جنودى فما أنا إلا سمكة

مملحة هزيلة، لقد أسأت استعمال أموال الملك المخصصة

لتجنيد الجنود إساءة بالغة، لقد أخذت نيقةً وثلثمائة جنيه فى

مقابل مائة وخمسين جندياً، ولم أطلب للتجنيد غلا ذوى

اليسار وأبناء الأعيان من صغار الملاك، ولم أدع للجندية إلا

العزاب المتعاقدين على الزواج من هؤلاء الذين أعلنت خطبتهم

مرتين من الرعايا الذين يؤثرون أن يستمعوا للشيطان على أن

يستمعوا لدق طبول الحرب، والذين يخشون فرقة البندقية

أكثر مما تخشاها الدجاجة، وقد أصيبت، أو البط البرى وقد

جرح. إننى لم أجند أحداً إلا هؤلاء المترفين الناعين الخائرين

الذين تنتطوى صدورهم على قلوب أصغر حجماً من رؤوس

الدبابيس، وهؤلاء يدفعون البدل مقابل إعفائهم من الخدمة،

وبذلك أصبح جيشى الآن يتألف من المسنين وف الضباط

١٥

٢

والملازمين والمجندين ذوى الأجور العالية قليلا، والعبيد المهلهلين كأنهم لعازر الفقير الذى تحلى بصورته الستائر وهو جالس إلى الأرض والكلاب التهمة تلعق قروحه ومن لم يكونوا فى يوم ما جنودًا بل كانوا خدمًا خونة مطرودين، أو أبناء أصغر من الأبناء البكر وآباؤهم هم أيضًا أصغر من إخوانهم البكر،

٢٥

أصفار اليمين لا مال ولا عقار يقيم أودهم أو خدم حانات فروا من أصحابها ونقضوا عهودهم أو سقاة عاطلين، آفة عالم وادع خامل وسلام طويل رتيب. إنهم عشر مرات أشد لهلة مزرية من لواء لوحته الشمس وهلهته الأيام وسدت ثقوبه. يخرق متعددة الألوان. هؤلاء وأمثالهم هم الذين يكونون جيشى وقد جمعتهم من كل مكان لأحلهم محل المجندين الذين دفعوا البديل النقدي لخدماتهم،

٣٠

٣٥

حتى لتظن أن جيشى يتألف من مائة وخمسين من الفتیان المهلهلين ذوى الثياب البالية الذين أنفقوا أموالهم وجاءوا لتوهم من العمل فى حظائر الخنازير من أكل النفايات والقشور، وقد لقينى فى بعض الطريق ظريف من ذوى الدعابة وقال لى: إنك جردت المشانق من زبائننا وجندت أجدات الموتى. وما وقعت العين قط على أمثال هذه الأشباح الهزيلة وأقولها صريحة إننى لن أجتاز كوفترى فى صحبتهم. وليت الأمر اقتصر على الهزال والبلى، بل إن هؤلاء الأشقياء يسيرون وقد انفرجت سيقانهم كأنما قيدوا بسلاسل ولا عجب فى ذلك فقد تصيدت معظمهم من نزلاء السجون. وما من رداء يستر جسد أحدهم إلا أن يكون قميصًا أو نصف قميص، وحتى نصف القميص هذا لا يتألف إلا من خرقتين شدت إحداها إلى الأخرى وألقيتا على الأكتاف كأنهما سترة شعار بلا أردان، أما القميص فالحق أقول إنه مسروق من صاحب الفندق فى سان البانز أو من حارس الفندق ذى الأنف المتورم فى دافنترى،

٤٠

٤٥

٥٠

ولكن هذا كله سيان فسيجودن فى كل مكان قمصانًا

كافية يسرقونها من فوق السياج.

(يدخل من الخلف الأمير هنرى وستمورلند)

- ٥٤ الأمير : إيه أيها المنتفخ جاك؟.. إيه أيها الخشبة الضخمة؟
- فولستاف : وى يا هال.. إيه أيها الفتى الغرير؟ يا للشيطان، ما الذى أبقاك فى وركشير حتى الآن. أسألك المغفرة يا سيدى اللورد الطيب وستمورلند، لقد حسبتك يا سيدى فى شروزبرى منذ وقت طويل.
- ج ٥ وستمورلند : فى الحق، كان لا بد أن أكون هناك قبل ذلك، لقد تجاوزت موعدى بكثير، وكذلك تجاوزته أنت ولكن جنودى بلغوا شروزبرى فعلا والملك، أؤكد لك، ينتظر مقدمنا جميعًا، ولذلك يجب أن نسارع بالسفر إلى هناك، وأن نسير طول الليل.
- فولستاف : لا عليك، ولا تقلق من ناحيتى فأنا متحفز ومستعد للسفر طول الليل، تحفز الهرة التى تتطلع لسرقة القشدة
- ٦٥ الأمير : أعتقد أنك متحفز لسرقة القشدة حقا، فسرقاتك قد جعلتك رخوًا كالزبد، ولكن خبرنى يا جاك، لمن هؤلاء الرجال الذين يتبعوننا.
- فولستاف : إنهم رجالى يا هال، رجالى.
- ٧٠ الأمير : ما رأيت فى حياتى أوغادًا فى حالة يرثى لها كهؤلاء.
- فولستاف : خل عنك، لا عليك طعمة سائغة للبارود، ووقود طيب لنيرانه، يملأون الحفر، كما يملأها من هم خير منهم، صه يا رجل إنهم رجال قانون، رجال فانون.
- وستمورلند : هذا صحيح، ولكنهم فيما أرى يا سير جون غاية فى الفقر والإملاق مهزولين عراة مهلهلين.
- ٧٥

فولستاف

: أما عن فقرهم، ففي الحق لست أدري من أين جاءوا به، أما عن هزالهم فأنا واثق من أنهم لم يأخذوه عنى.

الأمير

: بلى، وأقسم على ذلك، إلا إذا كنت تسمى هذه الضلوع اللحيمة الشحيمة التى يبلغ سمك ما فوقها من الشحم ثلاث أصابع نحولة وهزالا. ما علينا، أسرع يا فتى وحث الخطى فإن برسى الآن فى الميدان.

٨١

فولستاف

: وى.. هل أقام الملك معسكرًا؟

وستمورلند

: أجل، لقد عسكر الملك يا سير جون، وأخشى أن يطول بنا المقام.

(يمشى مسرعا للإمام)

فولستاف

: حسنًا،

لأنسب للمقاتلين الضعاف ذوى الشهية الطيبة للطعام أن يصلوا بعد انتهاء القتال وقبل بدء الولايم.
(يتبعه)

المنظر الثالث

معسكر الثوار بالقرب من شروزيبرى. يدخل هوتسبر وورستر، ودجلاس وفرنون

- هوتسبر : لننازله الليلة.
- ورستر : قد لا يكون هذا.
- دجلاس : إنك بهذا تجعل له ميزة علينا.
- فرنون : ولا قلامة ظفر.
- هوتسبر : كيف تقول هذا؟ ألا يتوقع مددًا وتعزيرًا لقواته؟
- فرنون : كلانا فى هذا سواء.
- هوتسبر : ولكن مدده مؤكد، ومددنا موضع الشك.
- ورستر ٥ : خذ بنصيحتى يا ابن العم الطيب ولا تحرك ساكنًا الليلة.
- فرنون : لا تتحرك الليلة يا سيدى.
- دوجلاس : إنكما لا تصدران عن الرأى وحسن المشورة، بل تنطقان عن الخوف وخور القلب.
- فرنون : لا تعرض بى يا دوجلاس وتسبني، قسما بحياتى، وإنى لأضحي بحياتى لكى أبر بهذا القسم إنى إذا دعانى داعى الشرف كما يفهمه الرجال المحاربون بحق،
- إن الخوف لا يعرف سبيله إلى قلبى
- كما لا يعرف سبيله إلى قلبك أنت يا سيدى أو إلى قلب أى إسكتلندى يعيش اليوم على ظهر هذه البسيطة،
- ولتعلمن نبأ ذلك غدًا حين نخوض المعركة،

وسترى أينما الخائف.

دجلاس

: أجل غداً أو الليلة.

فرنون

: قر عينا.

١٥ هوتسبر

: بل الليلة أقولها.

فرنون

: رويداً، رويداً، فقد لا يكون ذلك، وإنى لكثير العجب

كيف وأنتم القواد العظام الذين حنكتهم التجارب

يند عنكم تقدير العقبات

التي تحول دون مسارعتنا إلى خوض غمار المعركة.

ففريق كبير من فرسان ابن العم فرنون لم تصل بعد،

وفرسان عمك ورستر لم تصل إلا اليوم

٢٠

ومن ثم فروحهم المعنوية العالية وحماستهم الشديدة قد سكتنا،

وشجاعتهم صدئت من الرحلة المضنية، ولا بد لجلاتها من

الراحة

فما من حصان إلا ضعفت قواه ولم تعد له أكثر من نصف

صلاحية للقتال.

١٥ هوتسبر

: وفرسان العدو لا يختلفون عنا في ذلك،

فكلها قد أنهكتها الرحلة وأضعفت روحها المعنوية

وأوهنتها.

على حين أن القسم الأكبر من خيالتنا قد تمتعت بالراحة

الكاملة.

ورستر

: إن قوات الملك تفوق قواتنا عدداً،

فبالله عليك يا ابن العم ألا ما صبرت حتى تتجمع قواتنا كلها.

(نافع البوق يدعو إلى مفاوضة بين المتحاربين. يتقدم سير

ولتر بلنت)

٣٠ بلنت

: جئت أحمل عروضًا كريمة من الملك،

سأقدمها لكم إن ضمنتم لى حسن الاستماع والاحترام.

هوتسبر

: مرحبًا بك يا سير ولتر بلنت، ولقد كنت أود أن يجعلك الله
عضدًا لنا فى عزمنا هذا، مشاركًا لنا رأيًا فيه!

٣٥

فبعضنا هنا يؤثرك بالحب، وهذا البعض بالذات يغبط علو
مكانك ونبيل صفاتك وطهارة اسمك، ويأسو لأنك لست واحدًا
منا، ولا عاملا فى جماعتنا، بل تقف مخلصًا لنا فى موقف
العدو.

بلنت

: حاشا لله، أن أكون غير ذلك،

ولا مندوحة لى من أن أظل أبدًا على موقفى ما دمت مصرين
على موقفكم هذا من الخروج على الملكية المقدسة، ما علينا
من هذا، ولأتحدث فى مهمتى. لقد أرسلنى إليكم الملك
لأتعرف كنه شكواكم، وأتلمس أسباب متاعبكم التى من أجلها
أثرت هذه الخصومة الجريئة

التي عكرتم بها صفو السلام والأمن فى البلاد وأشعثم فى
صفوفهم الطيبة

هذا الجحود المنكر. فإذا يكن مرد ذلك على أن الملك قد
أغضى بطريقة ما عن ما لكم من فضائل طيبة يقر بها
ويعترف أنها متعددة كثيرة،

فإن يطالبكم أن تفصحوا من هذه المظالم وتلك الشكايات،
وهو مستعد من فوره أن يحقق لكم ما ترغبون وأكثر مما
تطلبون،

وسيعفو عفواً تاماً عنكم

وعن جميع الذين تورطوا معكم بدافع من إغرائكم وتحريضكم.

: إن الملك كريم ونحن أعرف به،

فهو يعرف متى يعد ومتى يفى بالوعد،

لقد قدمت له أنا وأبى وعمى

وهذه الملكية التى ينعم بها،

٥٥

قدمناها له حين لم يكن وراءه إلا حفنة من الرجال لا
يتجاوزون ستة وعشرين،

وفى الوقت الذى لم يكن الرأى العام ليحفل به أو يقيم له وزنًا،

قدمناها له حين كان مشردًا مسكينًا وضيعًا لا يؤبه له، خارجًا
على القانون منفيًا يتلصص العودة خفية إلى الوطن.

لقد استقبله أبى ورحب به عند الشاطئ،

وحين سمعه يقسم ويقطع على نفسه العهد والمواثيق

أمام الله

إنه ما جاء إلا ليستعيد مكانه بوصفه دوق لانكستر ويطالب
بحقه فى ممتلكاته ويلتمس السلام والأمن،

٦٠

حين سمعه يقول ذلك مذرّفًا دموع البراءة ومبديًا آيات

الولاء والإخلاص،

أقسم أبى ذو القلب الحنون وبدافع من الشفقة التى حركتها
دموعه،

أن نبذل له العون؛ وقد كان؛ فبررنا بقسمنا وحققنا له أمنيته
أيضًا.

وعندئذ حين أدرك اللوردات والبارونات من سادة هذه البلاد

أن نورثمبرلند مال إليه وعضده،

أقبل عليه الناس من جميع الطبقات غنيهم وفقيرهم رافعين
قبعاتهم وانحنوا له إجلالا واحترامًا، وتدفق الناس للقائه فى
المدائن والقرى.

واحتشدوا انتظاراً لمقدمة فوق القناطر، ووقفوا صفوفًا متراسة
وأفسحوا له طريقًا بينهم ليمر منه، وأخذوا يضعون أمامه
الهدايا، ويقدمون بين يديه ولاءهم،

ويهبونه صغارهم لخدموا في حاشيته رهائن لولائهم، وأخذوا
يتبعونه في كل مكان كظل له في جموع حاشدة فرحة مبتهجة
به.

فلما بدأ يستشعر عظمته وبحس جلاله اندفع من فوره يتسم
مكانًا أرفع مما ارتبط به مع أبي بقسمه،

حين كان لا يعرف لنفسه عظمة ولا يحس مكانة،
عندما نزل على الشاطئ الأجرد المنعزل عند رافنسبرج،

وأخذ على نفسه، والحق أقول عندئذ
أن يصلح بعض القوانين والأوامر القاسية
التي يئن من عبئها الشعب،

واستنكر الفساد ومساوئ الحكم وبدا وكأنه يبكي
مما قاسته بلاده من مظالم،

وبهذا المظهر العطوف على أمانى الشعب وآماله وبهذا
التظاهر بالعدل والنصفة،

استطاع أن يكسب القلوب وأن يتخذها مطية لتحقيق أغراضه،
وبدأ يتقدم خطوة إلى الأمام،

فاجتث رؤوس كل أصفياء الملك الغائب

الذين تركهم وراءه هنا لينوبوا عنه ويقوموا مقامه مدة
غيابه

في الحرب الإيرلندية التي اشترك فيها بنفسه.

: فما جئت لأسمع هذا

بلنت

وبعد فترة قصيرة عزل الملك،

وسرعان ما قضى على حياته،

وفى أعقاب ذلك مباشرة أرهق البلاد كلها بالضرائب ويزيد الأمر سوءًا عرض قريبه مارش للإذعان للأسر والبقاء رهينة هناك دون أن يؤدي فديته، فى بلاد الغال ولو أن الأمور وضعت فى نصابها وأعطى كل ذى حق حقه،

٩٥

لكان مارش هذا هو الملك بحق،

وحاول بعد ذلك أن يجللنى بالعار وأنا فى زهر انتصاراتى العظيمة،

وأن يوقعنى فى حبائله عن طريق جواسيسه الذين بثهم على،

ثم أخرج عمى من المجلس الخاص بالتهديد والوعيد،

وأخرج أبى من القصر فى ثورة غضب،

١٠٠

وهكذا أخذ يحنث فى اليمين تلو اليمين، وينقص عهدًا فى إثر عهد، ويرتكب الخطأ بعد الخطأ، حتى اضطرنا فى آخر الأمر أن نسلك هذا المسلك، وأن نجند هذا الجيش المسلح لنحمى أنفسنا منه، ثم نبحت فى الوقت نفسه وندفق ونعيد النظر فى استحقاقه للتاج.

فقد بدا لنا أن الطرق الملتوية التى أوصلته للعرش دون أن يكون وارئًا شرعيًا له، لا ينبغى أن تدوم طويلا.

١٠٥

: هل أعود أبلغ الملك هذا الرد؟

بلنت

: ليس على هذا الوجه يا سير بلنت، فسنسحب برهة نتدبر فيها العرض..

هوتسبر

عد إلى الملك واجعل لنا رهينة

نطمئن معها إلى أن هناك ضمانًا في العودة سالمين،

وغدًا في الصباح الباكر سيغدو عمي

إلى الملك ويبلغه قرارنا، فوداعًا.

: بودى لو قبلتم عفو الملك ومحبته.

بلنت

: قد يكون هذا ما سنفعله.

هوتسير

: أدعو الله أن يوفقكم لفعله.

بلنت

(يخرجون)

المنظر الرابع

١ يورك - حجرة فى قصر رئيس الأساقفة - يدخل رئيس أساقفة يورك

وسير مايكل)

رئيس الأساقفة : أسرع يا سير مايكل الكريم واحمل هذا الخطاب المختوم

على جناح السرعة إلى القائد العام،

وهذا إلى ابن العم سكروب، والبقية إلى أصحابها الموجهة إليهم،

ولو أنك علمت قيمة هذه الخطابات وما تعنيه،

لحثثت الخطى وأسرعت فى السير.

٥

سير مايكل : سيدى اللورد الكريم،

إنى لأردك بالحدس ما تعنيه

رئيس الأساقفة : أكبر الظن أنك تعرف، غداً يا سير مايكل يوم عظيم، يوم

توضع فيه مصائر عشرة آلاف رجل

فى كف القدر ويمتحن معدنهم فى بوتقة الحوادث. ففى

شروزبرى يا سير مايكل، كما فهمت مما وصل إلى علمى من أنباء،

١٠

سيتلقى الملك ومن ورائه جيش قوى قادر جمعه فى سرعة،

مع اللورد هارى، وأخشى يا سير مايكل

أن مرض لورد نورثمبرلند،

الذى كانت قواته تفوق قوات شركائه عدداً،

١٥

وغياب أوين جلندور الذى كان هو الآخر عضداً

قوياً يعتمد عليه،

والذى تخلف عن الانضمام إليهم متأثراً بالنبوءات، أخشى يا

سيدي أن هذا وذلك سيجعلان قوات برسى أضعف من أن
تصمد للتجربة مع قوات الملك.

سير مايكل : ليس ثمة ما يدعوك للخشية يا سيدي اللورد الكريم،
فهناك دوجلاس ولورد مورتيمر.

كبير الأساقفة : لا، إن مورتيمر ليس هناك.

سير مايكل : ولكن هناك مورديك وفرنون ولورد هاري برسى،
وهناك أيضًا لورد ورستر
وجيشًا مسلحًا من المحاربين الشجعان والسادة الأمجاد.

كبير الأساقفة : نعم هناك هذا الجيش ولكن الملك مع ذلك
فقد جند صفوة الجيش في جميع بلاد هذه المملكة
وجمعهم في صعيد واحد،

وقد جمع أمير الغال واللورد جون لانكستر
والنبيل وستمورلند، والمحارب المقدام بلنت
وكثرة غيرهم من الرفاق والمؤيدين من ذوى الشرف الرفيع
والسمعة الطيبة والسلطان القاهر،
جمعهم جميعًا شاكي السلاح في جيشه.

سير مايكل : لا تشكن يا سيدي إنهم رغم ذلك سيلاقون مقاومة عنيفة،
وسيلقون أندادًا لهم.

كبير الأساقفة : لست اقل منك أملا فيهم، ولكن لا بد من الخوف، ولنتحاش
أسوأ ما فى الأمر، عجل يا سير مايكل عجل،

فإنه إذا لم يوفق اللورد برسى،
فإن الملك لا محالة زائرنا قبل أن يسرح قواته

فقد تناهى إليه نبأ اشتراكنا فى هذه المؤامرة،
ومن الحكمة أن نتخذ الأهبة ونقوى صفوفنا لمواجهته، فعجل
إذن، ولا بد لى أن أواصل الكتابة لأصدقاء آخرين،
فمع السلامة يا سير مايكل.

(يخرجان)

الفصل الخامس

المنظر الأول

معسكر الملك بالقرب من شروزبرى. يدخل الملك والأمير هنرى وعلى رأسه خوذة يتمايل عليها ريش النعام، ولورد جون لانكستر وسير ولتر بلنت وفولستاف)

الملك : ما أشد احمرار الشمس الشبيه بلون الدم وهى تحاول أن تطل من فوق هذا التل البعيد الملفت الأشجار!

إن اليوم ليبدو مضفراً باهتاً

متأثراً بهذا المظهر المحموم الذى تتبدى فيه الشمس.

الأمير : إن ريح الجنوب

تسبق إلى إعلان أحداث هذا اليوم التى ينبئ عنها هذا المظهر المحموم للشمس،

بعوائها الأجوف وصفيرها بين الأوراق

تنبئ عن مقدم العاصفة وعن يوم صاخب عنيف.

الملك : فليكن إذن عطوفاً على الخاسرين،

أما الفائزون فما من شئ يبدو عاصفاً أو عبوساً فى وجوههم

(صوت النفير - يدخل ورستر وفرونون)، مرحى أيها اللورد

ورستر، ليس من الخير فى شئ أن ألتقى وإياك فى هذه

الظروف التى يلتقى فيها الآن.

لقد تنكرت لثقتنا

وحملتنا على أن نخلع لباس السلام الهين

وأن نحشر أطرافنا الواهنة حشراً فى لباس قاس من

الحديد،

ليس هذا بمستحب، ليس هذا بمستحب يا سيدى

اللورد،

فما رأيك فى هذا؟ هل تعاود العمل
لفصم هذه العروة الغليظة، عروة الحرب الكريهة،
وأن تعاود سيرتك الأولى من الولاء والطاعة
وتجرى فى فلكك المستقيم ليشع نورك جميلا طبيعياً،
فلا تكون بعد اليوم من هذه الشهب النفاثة،
نذر الخوف وطوالع الشر المستطير
فيما بحد من أيام.

ورستر : هلا استمعت لى يا مولاي!
أما عن نفسى فأنا جد قانع
أن أقضى الأيام الأخيرة من عمرى فى هدوء ودعة، وحسبى
أن أوكد لك
٢٥
أنى ما سعيت إلى هذا الشقاق ولا تعجلت يوم الخلاف هذا.

الملك : إذا كنت لم تسع إليه فكيف جاء إذن؟
فولستاف : لقد وقع العصيان فى طريقه فعثر عليه.
الأمير : صه أيها الطائر الثرثار والزم الهدوء.
٣٠ ورستر : لقد راق لجلالتك أن تغض عين الرضا
عنى وعن آل بيتنا جميعاً،
ولكنى أرى من واجبى مع ذلك أذكرك يا مولاي
أننا كنا أول أنصارك وأعز أصدقائك.
وفى سبيلك يا مولاي شققت عصاتى وهجرت منصبى
أيام ريتشارد،
وأسرعت ليل نهار
٣٥
لألقاك فى الطريق وأقبل يدك.

فعلت كل ذلك فى وقت كنت أفضلك فيه قوة ومركزًا

ولم تكن أنت فيه شيئًا مذكورًا إلى جانبى.

لقد صاحبتك أنا وأخى وابن أخى

وجئنا بك إلى أرض الوطن، وتحدينا أخطار الزمان

بشجاع فائقة،

٤٠

لقد أقسمت لنا، وأقسمت تلك اليمين فى دونكاستر^(٢٢)،

إنك لن تقوم عامدًا بأى عمل يضر الدولة،

وأنتك لن تطالب بأكثر من حقلك الذى ورثته أخيرًا،

أى إقطاع جوننت، دوقية لانكستر.

وعلى هذا الأساس أقسمنا نحن على أن نساعدك.

ولكن لم تكد تمضى فترة قصيرة حتى تفتحت لك السماء،

٤٥

وأمرتتك حظوظًا،

وساقتت على رأسك كنوزًا وثروات ووابلا من المجد والعظمة،

بعضه بفضل مساعدتنا وبعضه بسبب غيبة الملك، وبعضه

بسبب الأخطاء التى تردى فيها ريتشارد، إبان

حكمه المضطرب المززعج،

وكانت الآلام والمحن التى احتملتها فى الظاهر

٥٠

والرياح المعاكسة المضادة التى اجتازت الملك طويلا

فى حروبه النكدة مع الإيرلنديين

حتى حسبه كل من فى إنجلترا قد قضى نحبه،

وقفت هذه كلها إلى جانبك وقد اغتنمت فرصة هذه الحظوظ

المواتية

٥٥

وتأهلت سريعاً

لتفوز بالملك ولتقبض على زمام الحكم فى البلاد

وتناسيت بذلك قسمك لنا فى دونكاستر .

ولما كنا نحن الذين غديناك وأقمنا صلبك فقد انثيت

علينا تتنكر لنا

كما تنكر الوليد الخثونه فرخ الوقوق للعصفور الذى احتضنه

فى عشه حتى خرج إلى الدنيا ،

وطفقت تنتقص عشنا من أطرافه وتوقع الأضرار به .

ولما قوى عودك واشتدت شكيمتك بفضل ما حبوناك به

من عونا

استنسرت حتى لم نعد نجرو أن نعرض ولأئنا أمام ناظريك

خشية أن تفترسنا وتلتهمنا لقمة سائغة

مما اضطرنا أن نطير مسرعين من وجهك طلباً للسلامة، وأن

نجد هذه القوات الراهنة التى نجاهاك بها العداء لهذه الأسباب

التي اصطنعتها ضد نفسك،

وبذلك بت أنت نفسك المسئول عن وقوفنا وجهاً لوجه

أمامك،

بهذا الجحود الذى رميتنا به والنظرات المتعالية المخيفة

التي تهددتنا بها،

ونقض العهود والمواثيق التي قطعتها على نفسك،

٦٠

٦٥

٧٠

وأقسمت على الوفاء بها أمامنا فى أول أمرك.

الملك : حقًا، لقد أطلقتم هذه الاتهامات فى كتاباتكم، وأعلنتموها على رؤوس الأشهاد فى الأسواق، وتلوتموها فى الكنائس،

لتلبسوا الحق بالباطل

وتزينوا للناس ثورتكم وعصيانكم بألوان زاهية

تخلب أنظار الحول القلب من العامة والمتذمرين

الساقطين من الفقراء

٧٥

الذين يتعطشون للتغيير ويفركون أيديهم فرحًا

لكل نبأ عن انقلاب صاحب أو فوضى واضطراب.

ومع ذلك فما من عصيان

احتاج إلى مثل هذه المعاذير الواهية،

ولا إلى عصابة الفقراء المتذمرين المتعطشين إلى أوقات

الفوضى واضطراب.

ومع ذلك فما من عصيان

احتاج إلى مثل هذه المعاذير الواهية،

٨٠

ولا إلى عصابة الفقراء المتذمرين المتعطشين إلى أوقات الفوضى

والاضطراب المدلهمة

ليبرر قيامه ويزين أسبابه.

الأمير : إن فى جيشينا كليهما كثرة من النفوس البريئة

ستدفع الثمن غالبًا بسبب هذا التطاحن،

إذا التحم الجيشان فى تجربة قاسية، فقل لابن أخيك

عنى

٨٥

إن أمير الغال يشارك الدنيا كلها
الشاء والتقدير لهنرى برسى، وبحق أملى فى الخلاص
يوم الدينونة،

ما أحسب، إذا نحينا جانباً تبعته عن هذا العصيان،
أن على ظهر هذه الأرض سيّداً من الأحياء أشجع
منه،

ولا أعظم مضاء، ولا أشد فتوة،

٩٠

ولا أكثر إقداماً، ولا أبلغ جسارة منه

على تجميل صفحة هذه الحقبة الأخيرة بجلال الأعمال
ونبيل الخصال.

وأنا عن نفسى أقر وأنا أتندى خجلاً

أنى كنت مجافياً لصفات الفروسية هارباً منها،

ولقد سمعت أنه يزننى بهذا الميزان،

٩٥

ولكنى مع ذلك راض وأنا أقف بين يدى جلال أبى

وعظمته

أن تكون له على

ميزة اسمه العظيم وسمعته الجليلة

وأن أجرب حظى معه فى مبارزة شخصية بينى وبينه

حقناً لدماء الأبرياء من الجانبين.

١٠٠

: ونحن من جانبنا يا أمير الغال كان بوجدنا أن نأذن لك فى أن
تتعرض للمخاطر المترتبة على تحديك هذا، لولا أن هناك
اعتبارات لا حد لها.

الملك

تحول دون تحقيق هذه الرغبة، لا.. لا أى ورستر الكريم،

إننا نؤثر شعبنا بالحب، وحتى أولئك الذين ضلّوا

وانحازوا إلى جانب ابن عمك ما زلنا نحبههم،
وإذا ما قبلوا صفحنا الكريم الذى نعرضه عليهم

١٠٥

فإنه، وإياهم، وإياك، بل وكل فرد منكم،
ستغدون أصدقاءنا من جديد، وأصبح أنا أيضًا صديقًا له.
فأبلغ ذلك لابن عمك ثم وافنى بجوابه وأبلغنى ما سيفعل.
أما إذا لم يذعن لعفونا

فإن لدينا العذل والعقاب الصارم كلاهما حاضران وسيؤديان
مهمتهما ولا ريب، فاذهب عنا الآن، ولن نتعب أنفسنا بانتظار رد
منك على الفور،

١١٠

فقد جنحنا إلى السلم وكنا عدولا فى عرضنا. فادرسوا ما عرضناه
عليكم ومحصوه بعناية. وتحسنون صنعًا لو أنكم
قبلتموه.

(يخرج ورستر وفرنون)

: أراهن بحياتى أن العرض لن يقبل،

١١٥ الأمير

فدوجلاس وهوتسبر ورجالهما

وائقون من النصر ولو جابهتهم قوات العالم أجمع.

: إذا كان الأمر كذلك، فليسارع كل قائد إلى قيادته لنكون على أهبة
الاستعداد.

الملك

حتى إذا جاء ردهم حملنا عليهم

والله فى عوننا ما دمننا على الحق.

١٢٠

(يخرج الجميع إلى فرقهم، ويجذب فولستاف كم الأمير وهو يهيم
بالخروج)

: أى هال، إذا لقينتى مغلوبًا فى المعركة وخطوت نحوى لتدفع

فولستاف

عنى، وفرجت ساقيك فوقى على هذا النحو،

دل ذلك على أنك تضرر لى الصداقة والود.

الأمير : مثل هذه الصداقة لا يقدر عليها بالنسبة لك إلا مارد ضخم، فاتل صلواتك إذن ووداعاً.

فولستاف : ودت لو كانت الصلاة قبل أن يأوى الإنسان إلى فراشه، وأن الدنيا بخير.

١٢٧ الأمير : ويحك ألت تدين الله بمينة؟

فولستاف : ولكنه دين لم يحل موعده بعد، وإنى لأستكف أن أردّه قبل يومه الموعود. وما حاجتى فى أن أتعجل السداد مع من لا يطالبنى بالوفاء. ومهما يكن من شىء فإن هذا لا يهمل،

فالشرف يدفعنى ويحفزنى قدماً، ولكن ما العمل إذا دفعنى الشرف للنكوص حين أتقدم؟ وماذا يكون الموقف عندئذ؟ أيستطيع الشرف أن يقيم ساقاً؟ كلا.. أيستطيع أن يقيم ذراعاً؟ كلا.. وهل فى طوقه أن يذهب ألم الجرح؟.. كلا.. إذن أفليس للشرف أية مهارة فى الجراحة؟..

كلا.. إذن فما الشرف؟ إنه كلمة، وماذا وراء كلمة الشرف هذه؟ وما هو هذا الشرف نفسه؟ إنه هواء، إنه حساب منمق، ومن ذا الذى يناله؟ أهو هذا الذى مات يوم الأربعاء؟.. أيجس به؟.. كلا؛ أو يسمع به؟.. كلا.. إذن فهو شىء لا يدرك، أجل لا يدركه الأموات،

١٤٠ ولكن ألا يعيش مع الأحياء؟.. كلا. وى.. إن انتقاص القدر وحطة الشأن لا تتفقان معه، إذن فلن يكون لى منه نصيب، ما الشرف إلا درع جنائزى تعدد فيه مفاخر الموتى، وبهذا تنتهى اعترافاتى عن عقيدتى أوضحتها فى صورة سؤال وجواب.

(يخرج)

المنظر الثاني

(بطحاء بالقرب من معسكر الثوار . ورستر وفرنون يقتربان عائدتين من

عند الملك)

ورستر : لا.. لا.. لا ينبغي أن يعرف ابن أخى يا سير ريتشارد

عرض الملك السخى الكريم.

فرنون : من الأفضل أن يعرفه.

ورستر : إذن فقد ضعنا جميعاً،

لأنه من المستحيل، بل من غير المعقول

أن يفى الملك بوعده فى محبتنا.

أنه سيظل على شكه فينا،

وسينتهز الفرصة لعقابنا على هذا الذنب حين تقع فى أخطاء
أخرى،

فستظل حياتنا كلها محفوظة بالشك، تحيط بنا عيون الريبة.

فمرتكب الخيانة لا يوثق به إلا كما يوثق بالثعلب

الذى لا يستأنس أبداً مهما أحطته بالحنان وسهرت على تربيته
ومهما عزلته،

فإن الطبع يغلب عليه ويحن إلى خصلة من خصال أسلافه
الوحشية.

ومهما يكن مظهرنا مقطبين أو مرجحين،

فإن نظراتنا سيساء نقلها وتفسيرها،

وسنظل نطعم كما تطعم الثيران فى المداود،

كلما زادت الرعاية لها والعناية بها دنا أجلها.

إن عدوان ابن أخى قد ينسى بعد حين،

٥

١٠

١٥

لأن له ما يبرره من أعذار الشباب وفورته،
واسم مستعار تخذة لنفسه يحميه من العذل واللوم،
فهو هوتسبر الثائر المنافع الذى تتحكم فيه حدة طباعة،
أما ذنوبه وآثامه فتقع كلها

على رأسى أنا وعلى رأس أبيه. فنحن الذين علمناه،
وكل ما يحدث من فساد إنما استقاه منا وأخذه عنا، وما دمنا أصل
كل بلاء ومنبع كل فساد، فلا بد لنا أن نحتمل تبعات هذه
الأخطاء جميعاً وأن نلقى جزاءنا عليها.

لذلك أرجوك يا ابن العم الطيب ألا تدع هارى يعلم بأى حال
ماذا كان العرض الذى قدمه لنا الملك.

فرنون : قل ما شئت فسأؤمن على كلامك،
وها هو ذا ابن عمك قادم.
(يدخل هوتسبر ودجلاس وجنود يستقبلونهما)

هوتسبر : لقد عاد عمى.
فأخلوا سبيل اللورد وستمورلند.

عماه ما وراءك من أنباء.

ورستر : سيعلنكم الملك بالقتال فوراً.

دجلاس : فلنتحدها، وأبلغه ذلك على لسان لرد وستمورلند.

هوتسبر : اذهب بنفسك يا لورد دوجلاس وأبلغه ذلك.

دجلاس : حقاً سأذهب بنفسى وأبلغه ذلك بكل ارتياح.

(يخرج)

ورستر : لم نر فى الملك أى سمة من سمات الرحمة والعفو.

هوتسبر : وهل التمستم الرحمة منه، حاشا لله أن تفعلوا.

ورستر : لقد تحدثت إليه بلطف

وشرحت له شكائتنا من حنثه بيمينه.

٣٥ فكان جوابه أن أقسم بأغلظ الأيمان حانثًا، أنه ما حنث بيمينه قط،

وأن نعتنا بالثوار والخونة، وأنه سيصب سوط بأسه الشديد

٤٠ لينزع عنا هذا الوصف البغيض.

(يعود دوجلاس)

دجلاس : تسلحوا أيها السادة، هبوا إلى أسلحتكم،

فقد تحدث الملك هنرى تحديًا شديدًا،

وسيحمله إليه وستمورلند الذى كنا نحتجزه رهينة عندنا،

٤٥ ولن يجد الملك أمام هذا التحدى بدءًا من أن يسارع لقتالنا

ورستر : لقد تقدم أمير الغال أمام الملك

وتحداك يا ابن أخى أن تبارزه على انفراد.

هوتسبر : أواه.. ليت القتال يقع على رأسينا وحدنا،

فلا يحرك أحد ساكنًا اليوم

٥٠ إلا أنا وهنرى مونموث. خبرنى.. خبرنى

كيف أبدى تحديه هذا، هل أبداه بروح الاحتقار والزرارية؟

فرنون : لا وحياتي! وفى الحق ما سمعت طول حياتى

تحديًا يلقى بمثل هذا التواضع،

اللهم إلا أن يكون أخ يتحدى أخاه

ليدخل معًا فى رياضة هينة أو فى تدريب على الأسلحة.

٥٠ لقد اعترف لك بكل ما فى الرجولة من كمال،

ووفاك حقك من الاحترام وزين القول فى مدائحك بلسان الأمانة
والنبل،

وتحدث عن مزاياك وأمجادك حديث المؤرخ،

رافعاً إياك منازل فوق قدرة مدحه،

مؤكدًا دائماً أنه أعجز عن أن يجد الكلمات التى تليق بك وتوفيك
حقك.

٦٠

وحين تحدث عن نفسه تحدث عنها فى حياء وتواضع خليق بأن
يصدر عن أمير حق،

ولام شبابه المضيع

فى سماحة ووقار،

فكان وهو فى ملامة لنفسه كأنما يتقمص روحين، روح المعلم
وروح المتعلم فى وقت واحد.

٦٥

وحين بلغ هذا القدر توقف عن الحديث، ولكن دعنى أعلنها على
رؤوس الأشهاد فى هذا العالم

إن هذا الأمير لو قدر له أن ينجو من كيد هذا اليوم وأن يعيش
بعده فإن إنجلترا ستجد فيه أملاً حلواً لم تحلو به أبداً، وقد تأمر
على إخفائه وسواء الحكم عليه حياة اللهو والعبث التى كان
يحياها.

٧٠ هوتسبر : أخشى يا ابن العم أن تكون مفتوناً بمبازله ونزواته، وما سمعت قط
بأمير انغمس فى شهواته.

وأطلق لها العنان لا يكبح جماحها كهذا الأمير.

ولكن مهما يكن هذا الأمير فلا بد لى قبل أن ينقضى نهار اليوم
من أن أحتضنه بمسكة قوية أحزمه فيها حزمة مميتة بذراع جندى
مفتول

حتى يتداعى ويسقط تحت وطأة تحيتى له،

٧٥

هيا أسرعوا إلى أسلحتكم، وتسلحوا، وهيا حصنوا أنفسكم وهيئوا
شجاعتكم لاحتمال القتال أيها الرفاق والجنود والأصدقاء، وفكروا
فيما أنتم مقدمون عليه،

فهذا خير لكم من الاستماع إلى استنارتي لهمتكم

بلسانى الخشن الذى لم يهبه الله نعمة البلاغة. (يدخل رسول)

٨٠ الرسول : مولاي، إن معى رسائل لك.

هوتسبر : لا أستطيع قراءتها الآن،

أيها السادة إن فسحة العمر قصيرة،

وضياع هذه الفسحة القصيرة فى أعمال دنيئة سرف أى سرف،

ولو أن هذه الحياة يحملها عقرب من عقارب الساعة فإنها تنتهى ٨٥

دائمًا عندما يتم دورته مؤذنًا بحلول الساعة. فإذا عشنا، عشنا
كرامًا لنطأ الملوك بأقدامنا.

وإذا متنا، متنا ميتة شريفة يموت فيها الأمراء معنا.

وبعد، إننا إذا احتكنا على ضمائرنا فيما نحن مقدمون عيه وجدنا
ثورتنا على حق.

وامتشاقنا الحسام له ما يبرره ما دامت النية وراء امتشاقه

خالصة عادلة.

(يدخل رسول آخر مسرعا)

٩٠ الرسول : استعد يا مولاي فالملك قادم نحونا على عجل.

هوتسبر : شكرًا له فقد قطع على حديثي،

وليس الكلام مهنتي،

ولكن أكتفى بأن أقول فليؤد كل فرد واجبه.

وهأنذا أجرد سيفي ٩٥

معتزمًا أن ألطخ صفحته بخير الدماء

التي سألقاها جميعًا في مغامرة هذا اليوم المحفوف
بالمكاره.

والآن إلى الحرب.. اسبرانس.. إلى الحرب يا برسى، انطلق

انفخوا كل أبواق الحرب العالية

وهيا نتعانق على صوت هذا النفير المدوي

فقد لا يلتقى بعضنا بعد اليوم وينعم بمثل هذا العناق مرة أخرى،
ذلك أن فرص اللقاء قد تكون بعيدة المنال بعد السماء عن
الأرض.

١٠٠

(صوت أبواق، يتعانقون ثم يخرجون ليتسلحوا)

المنظر الثالث

(بطحاء بين المعسكرين. يدخل الملك مع قواته ويسير قدما. نفير حرب. ثم يدخل
دجلاس وسير لوثر بلنت متخفيا في زى الملك.

يتقاتلان ثم يكفان عن القتال)

بلنت : ما اسمك يا من تعترضنى
وتقف وجهًا لوجه أمامى فى هذه المعركة أى مجد تسعى إليه
بقتلى؟

دجلاس : اعلم إذن أن اسمى دجلاس
وأنى أأزملك فى المعركة على هذه الصورة
لأن بعضهم أنبأنى بأنك ملك

٥

بلنت : لقد صدقوك القول.
دجلاس : لقد جوزى اللورد استافور اليوم شر الجزاء بمحاولته التشبه بك،
قد قضى هذا السيف على حياته بدلا منك أيها الملك هارى
وسيقضى عليك أنت أيضا
ما لم تدعن لى وتسلم نفسك أسيرًا.

١٠

بلنت : مثلى لم يولد للتسليم والإذعان أيها الاسكتلندى المتعجرف
وستجد فى ملكا ينتقم
لموت اللورد استافورد.

(يقتتلان فيقتل دجلاس بلنت ثم يدخل هوتسبر)

هوتسبر : لك الله يا دوجلاس لو أنك حاربت فى هولدن كما تحارب اليوم
ما أتحنت لى أن أنتصر على إسكتلندى قط.

١٥

دجلاس : لقد تم كل شىء وكسبنا كل شىء، وما هو ذا الملك يرقد مجنولا

هنا وقد خمدت أنفاسه.

هوتسبر : أين؟

دجلاس : هنا.

هوتسبر : أهذا هو يا دجلاس.. لا.. أنا أعرف هذا الوجه حق المعرفة

لقد كان فارساً مقداماً اسمه بلنت، ٢٠

إنه يبدو فى لباس وعدة تشبهان لباس الملك نفسه وعدته.

دجلاس : فليلازمك الحمق أينما تكون،

فقد اشتريت هذا اللقب المستعار بأفدح الأثمان.. ويك.. لم قلت لى

إنك ملك؟

هوتسبر ٢٥ : إن الملك يسير الكثيرين فى شعاره ودروعه

دجلاس : قسماً بسيفى هذا لأقتلن كل من يتخذ شعاره

ولأذبحن كل ملابسه وأمزقها إرباً

حتى ألقى الملك نفسه.

هوتسبر : هيا إلى العلا بلا توان،

فإن جنودنا قد انتظمت صفوفهم ووقفوا صامدين مستعدين لخوض
غمار المعركة.

٢٩

(يخرجون لينضموا إلى القوات المسلحة. نفير حرب! يدخل فولستاف
منفرداً).

فولستاف : إن أكن قد استطعت أن أنجو بنفسى وأفر من سهام دفع الحساب

فى لندن فإن أكبر ما أخشاه هو ضربات السهام هنا. إن الحساب

هنا ليس ضرب أعداد ولكنه ضرب فى الرأس، ولكن مهلا من

أنت؟ سير ولتر بلنت، إلا هذا شرف لك! الآن سير ولتر بلنت، إن

هذا شرف لك! الآن لا غرور. إننى أتقد حرارة كأئننى الرصاص

المصهور. وأئن ثقلا كالرصاص أيضاً، فخل اللهم بينى وبين

٣٥

الرصاص، فلست فى حاجة إلى مزيد من الثقل أكثر من أمعائى.
لقد قدت رجالى المهلهلين إلى حيث لقوا حتفهم، ولم يبق على قيد
الحياة من المائة والخمسين الذين كانوا تحت إمرتى إلا ثلاثة، وقد
اتجهوا إلى أبواب المدينة ليحترفوا التسول بقية حياتهم، ولكن من
هذا القادم إلى هنا؟

(يدخل الأمير هنرى)

الأمير : ما هذا؟ أتقف عاطلاً هنا لا تحرك ساكناً، أعرنى سيفك،
إن سادة كثيرين يرقدون الآن جثثاً هامدة جامدة تحت أقدام الأعداء
المتباهين المختالين،

هؤلاء السادة لم نثار بعد لموتهم، أرجوك أن تعيرنى سيفك.

فولستاف : أواه يا هال، أتوسل غليك أن تسمح لى أن أسترد أنفاسى لحظة من
الزمان، إن جريجورى الغشوم^(٢٣) القاسى القلب لم يأت من الأعمال
مثل ما أتيت اليوم، لقد قتلت برسى، قضيت عليه قضاء مبرماً.

٥٠ الأمير : إنه سالم آمن حى باق ليقنتلك، أرجوك أن تعيرنى سيفك.

فولستاف : أعاهدك أمام الله يا هال، إنه إذا ظهر أن برسى ما يزال على قدى
الحياة فإنك لن تأخذ سيفى فحسب بل لك أن تأخذ بندقيتى إذ
أردت.

الأمير : أعطنى إياها، أهى فى هذا الجراب.

فولستاف : أجل يا هال.. إنها ساخنة، إن هنا ما يخرب مدينة بأكملها وينهبها
نهباً.

(٢٣) Turk Gregory كلمة Turk هنا بمعنى المتوحش الشرس. ويرى بعض الشراح أن جريجورى المقصود هنا هو البابا جريجورى السابع (هـد براند) لكن هذا الوصف أكثر انطباقاً على البابا جريجورى الثالث عشر (١٥٧٢ - ١٥٨٥) عدو إنجلترا اللدود الذى بارك مذبحه القديس بارتولميو إن لم يكن هو الذى أوعز بها والذى وعد بأن يغفر جميع ذنوب من يغال الملكة اليزابيث

(يسحب الأمير البندقية من الجراب فإذا هى زجاجة من النبيذ)

الأمير : ما هذا، أهذا وقت العبث والسخرية؟

(يلقى بالزجاجة فى وجهه وينصرف)

فولستاف : إذا كان برسى لا يزال على قيد الحياة فسأطعنه طعنة نجلاء، (ثم

يقول لنفسه) إذا اعترض طريقى هكذا. وإذا لم يعترضنى واعترضت

أنا طريقه عامدًا فليصنع بى ما يصنع بشريحة من لحم القديد. إنى

أكره هذا الشرف المكشّر عن أنيابه، الذى يبديه سير ولتر. اللهم

هبنى حياة، فإن استطعت أن أصونها وأحميها فيها، وإن لم أستطع،

جاء الشرف دون بحث عنه أو سعى إليه، وهذا نهاية قولى.

٦٥

(يخرج)

المنظر الرابع

نفير الحرب. إغارات. يدخل الملك والأمير وقد جرح في خده ولورد جون لانكستر وإيول وستمورلند)

الملك : أرجوك يا هارى

أن تكف عن القتال فقد نزفت من الدم أكثر مما تطيق.
اذهب معه يا لورد جون لانكستر.

لانكستر : لن أذهب معه يا مولاي حتى أدمى أنا أيضًا.

الأمير : أرجوك يا مولاي أن تذهب إلى جبهة القتال
حتى لا يملأ غيابك عن المعركة أنصارك وأصدقاءك فزعًا
واضطرابًا.

الملك : سأفعل ذلك.

سيدى لورد وستمورلند، أرجوك أن تقود هارى إلى خيمته.

وستمورلند : هيا يا سيدى. فسأقودك إلى خيمتك.

١٠ الأمير : أنقودنى يا سيدى اللورد؟ لست فى حاجة إلى مساعدتك،

وحاشا لله أن يحول جرح سطحى كهذا

بين أمير الغال وبين شهود مثل هذه المعركة

التي يرقد فيها النبل ملطخًا بدمائه على أرضها تطأه الأقدام

وتزهو رماح الثوار بما أحدثته من مذابح.

١٥ لانكستر : لقد أطلنا الراحة أكثر مما ينبغي، فهيا يا ابن العم وستمورلند

فإن واجبنا يدعونا إلى السير من هذا الطريق. تا الله هيا بنا.

(يخرج الأمير جون وستمورلند مسرعين)

الأمير : قسمًا برى لقد خدعتنى فى أمرك يا لانكستر،

فما كنت أحسبك على هذا القدر من سمو الروح.
لقد أحبيتك من قبل يا جون حب الأخ لأخيه،
أما الآن فإنى أجلك كما أجل روحى.

٢٠

الملك : لقد رأيته يمسك باللورد برسى وبضيق عليه الخناق
ويجعله على مرمى من ظبى سيفه
ويصمد له أطول مما كنت أتوقع
من محارب ناشئ مثله.

الأمير : أواه، إن هذا الفتى
ينفخ فينا جميعاً من روحه وقوة عزمه.
(يدخل دجلاس من مكان آخر فى الميدان)

دجلاس : أهذا ملك آخر، إنهم يتكاثرون كما تتكاثر رؤوس هيدرا، كلما قطع
منها رأس نبت مكانه آخر.

٢٥

أنا دوجلاس منزل القضاء المحتوم
بكل من يبدو فى لباس الملك أو شعاره
من تكون يا هذا الذى يزور شخص الملك.

الملك هنرى : أنا الملك بعينه الذى يحزنه يا دجلاس

إنك لقيت كثيرين ممن يتشبهون به،
ولم تلق الملك نفسه.

٣٠

إن لى ولدين يجدان فى السعى وراءك ووراء برسى فى الميدان،
ولكن ما دام حسن الحظ فقد رمانى بك
فسأنازلك، فدافع عن نفسك.

دجلاس ٣٥ : أخشى ألا تكون إلا صورة أخرى مزيفة للملك،

وإن تكن فى الحق تبد فى سمت الملك،

وأيا تكن فسأقاتلك،

وأنتصر عليك.

(يتقاتلان وبينما الملك يتعرض للخطر يدخل أمير الغال)

الأمير

: ارفع رأسك أيها الاسكتلندى الخسيس

وإلا تعرضت لأن تفقد هذا الرأس إلى الأبد،

إن أرواح الأمجاد شيرلى واستافورد وبلنت ترفرف على سيفى وتملا
ذراعى قوة،

إن أمير الغال هو الذى يتهددك،

أمير الغال الذى ما وعد وعدًا إلا أنجزه

(يتقاتلان فيفر دجلاس) قر عيَّنًا يا مولاي، كيف حالك يا مولاي؟

لقد بعث سير نيكولاس جوسى يطلب النجدة.

٤٥

وكذلك بعث كليفتون، وسأمنى لفورى لنجدة كليفتون.

الملك

: قف تمهل واهدا برهة نستجمع فيها أنفاسنا،

حقًا لك لقد استعدت أمجادك وسمعتك الطيبة التى كاد يذهب بها

ملكك السابق للعبث واللغو،

وكشفت عن اهتمام زائد

ورعاية فائقة لحياتى.

بهذا العمل العظيم الذى أنقذت به حياتى

٥٠

الأمير

: رباه، ما أكثر ما بالغوا فى الإساءة إلى

حين زعموا أنى راغب فى موتك،

ولو أن ما قالوه حقا

لخليت بين يدي دجلاس

المنتصرين الساجرتين وبينك

ولكان هذا التخلي أمضى سلاحًا وأعجل في القضاء عليك
من أى جرعة سامة على الأرض،

ولوفر هذا على ابنك أعمال الغدر والخيانة فى التآمر عليك.

٥٥

الملك : امض لنجدة كليفتون، وسأمضى أنا لنجدة سير نيكولاس جوسى
(يخرج ويدخل هوتسبر)

هوتسبر : إذ لم يخطئنى النظر فأنت هارى مونموث.

الأمير : هذا كلام من يحسب أنى أريد أن أنكر اسمى.

هوتسبر ٥ : إن اسمى هارى برسى.

الأمير : إذن فأنا ألقى

هذا التائر الصنديد الذى يحمل هذا الاسم،

أما أنا فأمير الغال، ولا تحسبن يا برسى

أن فى طوقك بعد الآن أن تشاركنى فى المجد أو تقاسمنى العظمة،

فما من نجمين يستطيعان أن يتحركا فى فلك واحد، ولا تستطيع

إنجلترا واحدة أن تحتل ملكًا مزدوجًا يتقاسمه هارى برسى وأمير
الغال.

٦٠

هوتسبر : وهذا ما لن يكون يا هارى، فإن الساعة قد حانت للقضاء على

أحدنا، ولكم تمنيت على الله

أن يكون اسمك الآن فى ثبت الفروسية والحروب عظيمًا مجددًا
كاسمى.

٧

الأمير : لأجعله أعلى وأعظم من اسمك قبل أن أفترق عنك، ولأنزعن كل

براعم المجد المتفتحة على جبينك،

وأجعل منها إكليلا أتوج به رأسى.

هوتسبر : لم أعد أطيق غرورك. (بیتقاتلان ویقترب منهما فلولستاف)

فلولستاف : أحسنت صنعًا يا هال، عليك به يا هال، أقدم يا هال وثق أنك لن تجد هنا مباراة في الملاكمة.

٧٦

(یدخل دوجلاس مرة ثانية ویتقاتل مع فلولستاف الذی یسقط إلى الأرض متظاهراً بأنه مات ثم یدرج دجلاس. هوتسبر یجرح ثم یسقط على الأرض)

هوتسبر : أواه يا هارى، لقد حرمتنى أمجاد شبابى،

ولأهون عندى أن أطيق فراق هذه الحياة الهشة

٨٠

من أن أطيق فراق هذه الألقاب المجيدة التى كسبتها منى.

إن فقدان هذه الأمجاد یحز فى نفسى أكثر ما یخر سيفك فى جسدی،

ولكن ما تكون الأفكار؟ أليست من توابع الحياة ومستلزماتها،
وستقف هى الأخرى عندما تذهب والحياة نفسها؟ أليست ألعبوة
فى يد الزمن يلهو بها حيث يشاء،

والزمن وإن قيست به دورات الحياة ومدتها

أليس هو الآخر یجرى لغايته ثم ینقضى حين تنقضى الدنيا؟

أواه إن فى استطاعتى أن أتنبأ لكن يد الموت الفانية الباردة
تمسك لسانى،

٨٥

لا يا برسى ما أنت إلا تراب، وما أنت إلا طعام لل.. (يموت)

الأمير : طعام للديدان أى برسى الشجاع، وداعاً أيها القلب الكبير،

إيه أيتها الأطماع الواهية، كيف بليت خيوطك وتقلص نسجك؟

لقد كانت حدود مملكة بأسرها تضيق عن أطماع هذا الجسد
حين كانت تدب فيه الروح،

٩٠

أما الآن فإن قدمين من خبث الأرض مكان فسيح لمثواه.

إن هذه الأرض التي وسعتك جدًّا هامدًا

كانت تضيق بك سيدًا مقدامًا وأنت حي.

ولو أنك كنت حيًّا تحس وتشعر بمدائحى

لما صغت هذا الحمد ولا قدمت بين يديك آيات العرفان المنبعثة
من أعماق القلب،

٩٥

ولكنى دعنى أستر وجهك الجريح بهذا الغطاء العزيز على
نفسى.

(ثم يغطى عينى هوتسبر بريشه من خوذته)

واسمح لى نيابة عنك أن أشكر نفسى

على أداء مراسم الوفاة هذه

وأستودعك الله، ولتأخذ معك حسناتك إلى الجنة!

أما سيئاتك فلتترقد معك فى لحذك

١٠٠

دون أن تذكر على شاهد قبرك

(ينظر فولستاف ملقى على الأرض) إيه، أهذا أنت أيها

الصديق القديم؟ أكل هذا اللحم يعجز عن أن يستبقى رمقًا من

الحياة؟ يا لك من مسكين يا جاك، وداعًا؟

وددت لو استطعت أن أفديك بمن هو أفضل منك.

إيه ولو أننى كنت مفتونًا بالغرور

لكانت خسارتى فيك فادحة.

١٠٥

إن الموت لم يصب اليوم من الغزلان ما هو أشد منك

سمنًا؟

وإن كانت له ضحايا أعز مكانًا وأعظم قدرًا فى هذه المعارك

الدامية.

سأحتفل بإفراغ أمعائك وتحنيط جسدك فى القريب العاجل،

وحتى ذلك الوقت نم هنا فى كامل هيبتك إلى جوار برسى
النبيل.

١١٠

(يخرج)

فولستاف : (ينهض) تفرغ أمعائى، لو أنك أفرغت أمعائى اليوم لأذنت لك

أن تخلل لحمى وتتقعه فى الملح لتأكل منه فى الغد، تا الله لقد
كان الموقف يستدعى الخداع والغش، ولو أنى لم أخادع ولم
أغش لأوفانى هذا الإسكتلندى الثائر الغضوب أجلى وقضى
على. أهو الغض والخداع؟ لقد كذبت نفسى، فما أنا بالغاش ولا
بالمخادع، وإن الموت لهو الغش والخداع بعينهما، فالرجل الذى
تعوزه الحياة هو الصورة المزيفة للإنسان، أما الرجل الذى
يتظاهر بالموت ليحتفظ بالحياة فما هو بالمزور ولا المخادع،
وإنما هو بحق الصورة الصادقة الكاملة للحياة.

١٢٠

إن التبصر خير سمات الشجاعة، وبهذا التبصر صنت نفسى.
وأنقذت حياتى. تا الله ما أشد فرقى من هذا الثائر الملتهب
برسى، وإن يكن ميتاً مسجى. فأى شىء يمنع أن يكون هو
الآخر مخادعاً مثلى، فينفض عنه غبار الموت وينهض؟ وأيم
الحق إنى لأخشى أن يكون خيراً منى فى المكر والخديعة.

١٢٥

إذن لأقضين عليه وأقسمن إنى قتلته، وى... أى شىء يمنعه
أن ينهض ما دمت أنا قد نهضت؟ وما من أحد يستطيع أن
يكذبنى فى روايتى إلا أن يأتى بشاهد عيان، وما من أحد يرانى
الآن. إذن يا رجل (يطعنه) خذ هذه الطعنة الجديدة فى فخذك،
وهيا أحملك معى.

١٣٠

(يحمل هوتسبر على ظهره ويسير، ويعود أمير الغال ومعه اللورد جون لانكستر).

الأمير.: بخ.. بخ.. يا أخى جون لقد خضبت سيفك بدم الأعداء لأول مرة

بشجاعة فائقة.

لأنكستر

: ولكن مهلا من يكون هذا الذى نراه هنا؟

١٣٥

ألم تقل لى إن هذا الرجل البدين قد مات؟

الأمير

: أجل، وقد رأيته بعينى ميئاً لا حراك به

جريحاً ينزف دمه ملقى على الأرض. أنتى حى؟

أم هو الخيال يعبت بناظرينا؟

أرجوك أن تتكلم فلن نثق بما تراه العين دون أن يؤيده السمع.

إنك لست كما تبدو.

١٤٠

فولستاف

: بل الحقيقة ما ترى، فلست شبحاً ذا رأسين، وإنما أنا جاك

فولستاف، وإذا لم أكنه حقاً فما أنا إلا وغد مخاتل، وهذا هو

برسى (يلقى الجثة على الأرض) وإذا كان لأبيك أن يكافئنى

على صنيعى هذا فبها ونعمت، وإلا فعليه أن يقتل برسى الثانى

بنفسه وأقول لك الحق إنى أتطلع لأن ينعم على بلقب إيرل أو

لقب دوق.

١٤٦

الأمير

: ويحك.. لقد قتلت برسى بنفسى ورأيتك صريعاً.

فولستاف

: هل فعلت ذلك بنفسك، يا إلهي.. يا إلهي، إن هذه الدنيا غارقة

فى الكذب والبهتان، وأكد لك أنى كنت ملقى على الأرض

متقطع الأنفاس، وكذلك كان هو، ثم نهضنا كلانا فى وقت

واحد وتقاتلنا ساعة طويلة حسب ساعة شروزرى. فإذا كان لكم

أن تصدقونى فيها، وإن لم تصدقونى فليحمل وزر ذلك على

رؤوسهم أولئك الذين يجب عليهم أن يجزوا الناس على

الشجاعة والإقدام وإنى لأقسم لكم بأغلظ الأيمان أنى أصبته

بهذا الجرح فى فخذى،

ولو أن الرجل كان حياً وأنكر هذا، لألقمته سيفى هذا.

لأنكستر

: هذه أغرب قصة سمعتها فى حياتى.

الأمير

: هذا أغرب رجل عرفته يا أخى جون،

(ثم يلتفت إلى فولستاف ويتحدث إليه)

هيا يا جاك احمل متاعك على ظهرك فى رفق،

وإذا كان الكذب خليقاً بأن ينيلك جزاء أو امتيازاً

فإنى سأزينه بكل ما فى طوقى من حجج براءة.

(يسمح نفير التراجع)، إن النفير يعلن التفهقر، لقد كسبنا معركة

اليوم،

فهيا بنا يا أخى نصعد إلى أعلى نقطة فى الميدان،

ونرى أى رجالنا على قيد الحياة وأيهم مات.

(يخرج أمير الغال ولورد لانكستر)

فولستاف

: سأتبعكم طلباً للجزاء كما يقولون، ومن يجزنى يجزه الله! وإذا

صرت عظيماً فسينقص وزنى، ذلك أنى سأنتهر وأتوب،

وأهجر النبيذ، وأعيش حياة نظيفة مطهرة كما ينبغى أن يعيش

الرجل النبيل.

(يتبعها وهو يجر وراءه الجثة)

المنظر الخامس

(صوت النفير - يدخل الملك وأمير الغال ولورد لانكستر وأيرل وستمورلند ومعهما
ورستر وفرنون أسيرين)

الملك : وهكذا يجد العصيان دائماً من يردعه،

أى ورستر، أيها الخبيث الطوية،

ألم نبعث إليكم جميعاً بأنعمنا وصفحنا وعبارات حبنا؟

ألم تقلب أنت عروضنا رأساً على عقب؟

ألم تخن الأمانة التي وضعها في عنقك قرييك؟

لقد قتل ثلاثة من الفرسان من جماعتنا اليوم،

وكان في الإمكان أن يبقى إيرل نبيل وعديد من رجالنا

على قيد الحياة في هذه الساعة

لو أنك أخلصت السفارة بين جيشينا

كما يليق بكل رجل مسيحي صادق الإيمان.

ورستر : لقد حملنى على ما فعلت رغبتى في السلامة،

وانى لأقبل نصيبي بصبر،

وما دمت لم أستطع أن أتجنب هذا المصير، فليقع عبؤه على
رأسى.

الملك : خذوا ورستر وأمضوا فيه القتل، وكذلك فرنون.

أما بقية المذنبين فسأندبر أمرهم رويداً (يخرج ورستر وفرنون

محروسين) وبعد، فما هو الموقف في الميدان؟

الأمير : إن النبيل الإسكتلندى لورد دوجلاس

حين رأى أن الحظ قلب له، فى معركة اليوم، ظهر المجن وأن
اللورد برسى قتل.

وأن الخوف قد دب فى قلوب رجاله جميعاً فر هو الآخر معهم

٢٠

فسقط فى أثناء فراره من فوق التل وأصيب برضوض خطيرة

مكنت متابعيه من القبض عليه،

وهو الآن فى خيمتي، وإنى أتوسل إلى مولاي

أن تترك لى أمره.

الملك : بكل سرور.

٢٥ الأمير : إذن فسأعهد إليك يا أخى جون لانكستر

بشرف هذه المكرمة،

فاذهب إلى دوجلاس وأطلق سراحه

ليذهب حيث يشاء حرّاً طليقاً بلا فدية،

فإن شجاعته التى أبداها اليوم وكلل بها جباهنا

قد علمتنا كيف نحتضن هذه الفعال السامية

٣٠

ولو كانت من صفات أعدائنا.

لانكستر : أشكر لسموك هذا الفضل العظيم،

وسأسارع لإبلاغه ذلك.

الملك : لم يبق أماننا بعد ذلك إلا أن نقسم قواتنا،

فتسارع أنت يا بنى جون مع ابن عمى وستمورلند إلى يورك

٣٥

لتواجه

نورثمبرلند والأسقف سكروب

اللذين انقضا علينا فيما علمت وأخذ يجمعان قواتهما.

أما أنا وأنت يا هارى فسننتجه إلى الغال

لنحارب جلندور وإيرل مارش.

إن العصيان فى هذه البلاد لا بد أن يكبح جماحه إذا لقى من
الروح العنيف يومًا آخر كهذا اليوم، وما دام مسعانا قد حالفه
التوفيق فى الأولى.

فما ينبغى أن نكف عن متابعة العصاة حتى نفوز على الجميع.
(يخرجون)

الملك هنرى الرابع

الجزء الثانى

ترجمة الأستاذ مصطفى طه حبيب

مراجعة

الأستاذ محمد شفيق غربال الأستاذ محمد بدران

أشخاص الرواية

Rumour	:	الإشاعة (٢٤) تقدم الرواية
King Henry Iv.	:	الملك هنرى الرابع
		الأمير هنرى.. الذى توج فيما بعد ملكًا باسم هنرى
Henry, Prince of Wales	:	
	:	أبناء الملك هنرى الرابع
Prince John of Lancaster	:	الأمير جون لانكستر
Prince Humphrey of Gloucester	:	الأمير همفري جلوستر،
Thomas (Duke) of Clarence	:	الأمير توماس كلارنس
	:	رجال من شيعة الملك
Earl of Warwick	:	إيرل وروك
Earl of Westmorelandf	:	إيرل وستمورلند
Earyl of Surrey	:	إيرل سري*
		إيرل كنت *
Gower		جور

(٢٤) تقوم الإشاعة بتقديم الرواية لتربط بين حوادث الجزء الأول والجزء الثانى من مسرحية "الملك هنرى الرابع" وتظهر على المسرح متخفية فى قناع من الجلد تخرج منه عدة أسنة مجنحة وقد وضعت على رأسها قلنسوة على صورة لسان ذى جناحين كبيرين وهى صورة مألوفة للإشاعة كما صورها الأدباء من قديم ويرجع أصلها إلى فرجيل وشوسر .

* هؤلاء يمثلون دورهم بالإشارة لا بالنطق.

Blunt	هاركورت
Harcourt	سير جون بلنت *
:	اللورد قاضى القضاة
:	خادم قاضى القضاة
Earl of Northumberland	إيرل نورثمبرلند
Scroop	إسكروب رئيس أساقفة يورك
Lord Mowbary	لورد موبراى
Lord Hastings	لورد هاستنجز
الملك هنرى الرابع	
Lord Bardolph	لورد باردولف
Sir John Coleville	سير جون كولفيل
Travers	ترافرس
من حاشية نورثمبرلند	
Morton	مورتون
Poins	إدوارد بوان
رائد الأمير هنرى	
Sir John Falstaff	فولستاف
Sir John Falstaff	باردولف
من أصحاب الفكاهة والدعابة	
Bardolph	بيتسو
Peto	بيستول
Pistol	غلام
:	تابع فولستاف.

شالو وسيلنس : من قصة الريف Shallow, Silence

ديفي : خادم شلو Davy

فرانسس، وندل وآخر

فانج، وسنير : جاويش وأحد ملاك الأراضي Fang, Snare

مولدى، شادو، وارت، فييل، بلكاف: جنود ريفيون

Mouldy, Shadow, Wart, Bullcalf

السيدة نورثمبرلند : Lady Northumberland

السيدة برسى : Lady percy

كويكلى : صاحبة الحانة Mistress Quickly

دول تيرشيت : Doll Tearsheet

خاتمة

سادة وخدم، بواب، قواصون

ثلاثة من فارشى السمار

المنظر : إنجلترا.

الجزء الثانى

من مسرحية الملك هنرى الرابع

(وركورث - أمام أبواب قلعة نورثمبرلاند)

(مقدمة)

[تدخل الإشاعة وقد لبست قناعا تدلت منه ألسنة متعددة]

الإشاعة

: افتحوا آذانكم وأنصتوا، فهل منكم أحد يرد أن يسد أذنيه

حين يتردد صوت الإشاعة العالى؟

من الشرق إلى الغرب حيث تغيب الشمس

أجوب منتقلا من مكان على مكان مسرحية الريح دائبة على إذاعة

أنباء الحوادث التى تبدأ بالوقوع على ظهر هذه الكرة الأرضية.

وعلى متن ألسنتى تركب النميمة التى لا تنتهى أبداً

فأحملها من مكان إلى مكان وأعلنها بكل لغة

١٥١

وأرسلها مدوية لأملأ مسامع البشر بكاذب الأخبار، فأحدث عن

السلام على حين تكون العداوة المستترة

وراء بسملة الأمن المتكلفة تدمى العالم.

ومن سواى أنا الإشاعة، من سواى أنا

١٠

وحدى يخلق الحشود ويستعرض القوات المهولة التى تتأهب لرد

العدو

حينما تبدو الأيام كأنها تكن وليداً قذفته فيها الحرب العاتية

الغشوم

على حين أنها تحمل آثار شر آخر،

وعلى حين أن لا شىء من ذلك يعكر صفو الزمان.. وما

الإشاعة إلا يراعة مثقبة تتفخ فيها التكهانات والأحقاد وتلعب عليها

١٥

الأهواء والتنبؤات..

إنها آلة موسيقية سهلة الاستخدام يسيرة التناول
حتى ليستطيع أن يوقع عليها فى غير ما مشقة المارد
البليد الإدراك ذو الرعوس المتعددة،

وتنفخ فيها الجماهير المذبذبة المضطربة التى لا تقر أبدًا.
ولكن ما حاجتى إلى أن أحلل وأشرح على هذا النحو.
ذاتى المعروفة تمامًا لمن ينتمون إلى أسرتى؟.

وبعد، فما الذى حملنى أنا الإشاعة على المجيء إلى هنا.
لقد جئت ألهم من الجرى لأسبق أنباء انتصارات الملك هنرى
الذى صرع بعد قتال دام عنيف فى ميدان القتال بشروزرى،
هوتسبر الشاب، وهزمه هو وجنوده شر هزيمة،

وأطفأ لهيب الثورة
بدماء الثوار أنفسهم.

ولكن ماذا أقصد بقول الحق فى مستهل الحديث؟
إن مهمتى أن أعلن أن هارى مونموث قد خر صريعًا تحت وطأة
سيف هوتسبر النبيل

وأن الملك اضطر أن يحنى رأسه الممسوح بالزيت المقدس،
ويعفره فى الثرى أمام قوة دوجلاس وبطشه
لقد نشرت هذه الأنباء وأشعتها خلال البلدان الريفية المنتشرة على
طول الطريق ما بين ميدان القتال فى شروزرى
وبين هذا الحصن المتهمم الذى عفا عليه الزمن،

حيث يرقد والد هوتسبر نورثمبرلند العجوز مدعيًا المرض.. وقد
أقبلت الرسل والرسل تجرى على عجل متعاقبة وقد أنهكها السفر
وما من واحد منها أتى بأنباء أخرى غير التى علمتهم إياها.

٢٠

٢٥

٣٠

٣٥

لقد جاءوا عن ألسنة الشائعات بأنباء كاذبة تدخل السكينة على النفس،

وهي لكذبها أشد خطورة من أنباء الشر الصادقة.

(تخرج)

الفصل الأول

الفصل الأول

المنظر الأول

نفس المنظر السابق

[يدخل لورد باردولف]

لورد باردولف : (مناديا) من يحرس هذا الباب.. من هنا.. يا هذا
(يظهر البواب على السور من فوق الباب)
أين الإيرل

البواب : ما أنت يا سيدى حتى أقول له

لورد باردولف : قل للإيرل

إن اللورد باردولف هنا.

البواب : إن سيادة اللورد يتمشى الآن فى البستان

فإذا سمحت يا مولاي فاطرق الباب

وسيجيبك الإيرل بنفسه.

(يتقدم إيرل نورثمبرلند وهو يمرح متوكئا على عصا وقد عصب رأسه)

لورد باردولف : ها هو ذا الإيرل قادم.

نورثمبرلند : ما وراءك من أنباء يا لورد باردولف فإن كل دقيقة تمر الآن

يغلب أن تلد نازلة من النوازل،

ولا غرو فالزمان أرعن أهوج أفلت زمامه وأضحى كالحصان
الجامح

يطأ كل ما يلقاه أمامه.

لورد باردولف : سيدى الإيرل النبيل،

لقد جئتك من شروزيرى بنبا يقين.

نورثمبرلند

: خيرا إن شاء الله.

باردولف

: خيرا كما يحب القلب ويهوى.

لقد جرح الملك جروحا مميتة أشرف بها على الهلاك،

وكان من حسن الطالع الذى يصاحب مولاي اللورد ابنك

أن قتل الأمير هارى لفوره، وقد قضى دجلال على كل من
الأخوين ولدى بلنت.

١٥

أما الأمير جون الشاب ووستمورلند وستافورد فقد ولوا الأدبار من
الميدان،

ووقع خنزير مونموث السمين، أى سير جون البدين أسيرا فى يد
ابنك.

٢٠

أواه إن مثل هذا اليوم الذى جاهدنا فيه الأمراء وأجهزنا عليهم

وأحرزنا لأنفسنا نصرا مؤزرا يوم يتيه به الزمان،

ولم تشهد الدنيا مثله منذ انتصارات قيصر.

نورثمبرلند

: وكيف استقيت هذه الأنباء؟

هل شهدت الموقعة بنفسك

أو قادم أنت من شروزيرى؟

٢٥ باردولف

: بل تحدثت مع أحد القادمين من هناك يا مولاي اللورد - سيد كريم
العنصر طيب السمعة.

وقد أفضى إلى بهذه الأنباء بكل أمانة على أنها الحق الصراح.

نورثمبرلند

: ها هو ذا خادمى ترافرس مقبل نحونا، لقد بعثت به منذ يوم
الثلاثاء الماضى إلى هناك ليتسقط الأنباء..

(يقتررب ترافرس)

٣٠ باردولف : سيدى اللورد لقد مررت به فى الطريق وسبقته إليك، وهو غير مزود بأنباء مؤكدة

اللهم إلا ما عساه أن يكون قد استقاه منى ليعيده على مسامحك.

نورثمبرلند : هيه يا ترافرس ماذا تحمل لى من طيب الأنباء؟

ترافرس : سيدى اللورد لقد لقينى فى الطريق سير جون أومفريل وأمرنى أن أعود إليك

وحملنى أنباء سارة، ولما كان جواده أسرع عدواً من جوادى

فقد سبقنى فى الطريق، وعلى أثره جاء سيد آخر

يحث جواده فى قوة وقد أنهكته السرعة إنهاكاً حمله على أن يتوقف إلى جانبى

ليريح حصانه المكدود،

وليسألنى الطريق إلى شستر،

وقد استفسرت منه عن أنباء الموقف فى شروزبرى،

فأنبأنى أن الثورة قد خانها الحظ

وأن مهماز* الأمير الشاب هارى برسى قد برد

وحين بلغ هذا الحد أطلق لحصانه القوى العنان

وانحنى عليه يعمل مهمازيه فى جانبى حصانه الذى أعياه طول السفر،

وزاد خفقان قلبه سرعة العدو

وظل يواصل حفزه بأشفار مهمازه حتى استجاب له الحصان المضى

فانطلق ينهب الأرض فجأة فى ثورة وعنف

* يلقب هنرى برسى بلقب Hotspur أى "المهماز الحامى" وبرود المهماز كناية عن موته.

لم يدعأ لى مجالا لمزيد من الاستيضاح.

نورثمبرلند

: هيه يا رجل.

أعد على ما قال، أقال لك إن مهمازى هارى برسى الشاب قد
بردا؟

٥٠

أقال لك إن هارى الحار الدم قد أصبح باردًا لا حياة فيه، وأن
الثورة قد خانها الحظ؟

لورد باردولف

: مولاي ماذا أقول، وماذا أدع؟

قسمًا بشرفى لأراهن بكل أملاكى مقابل ربطة ساق لا تساوى
شيئًا،

على أن مولاي اللورد الشاب ابنك قد أحرز النصر اليوم وفاز فى
المعركة - ثق مما أقول ولا تدع الشك يخالك لحظة فى أن
الأمر على غير ما ذكرت.

نورثمبرلند

: إذا كان الأمر كذلك ففيم أطلق هذا السيد الذى وقف إلى جانب
ترافرس

٥٥

تلك الأنباء عن هذه الخسائر؟

باردولف

: من..؟

هذا الرجل إنه مجرد وغد زعيم سرق الحصان الذى يركبه، ولعمري
إنه لم يصدر فى أقواله إلا عن الحدس والرجم وبالغيب.
ومع ذلك أنظر بها هى ذى أنباء جديدة تفد علينا.
(برى مورتون وهو يقترب منهما)

نورثمبرلند

: أجل إن عارض هذا الرجل كصفحة الغلاف

٦٠

تتبئ عن طبيعة موضوع الكتاب المحزن الذى يضمه.

إنه كالشاطئ الذى يغمره الطوفان الغامر

حتى إذا ما انحسر ظلت على صفحته آثار الدمار الذى أصابه

- تكلم يا مورتون وقل هل جئت من شروزيرى؟

٦٥ مورتون : بل فررت من شروزيرى يا سيدى اللورد النبيل، فررت من الموت الكريه الذى أرخى سدوله البشعة على شيعتنا ليرهبها

نورثمبرلند : وكيف ابنى وأخى؟

٧٠ إنك ترتعد، وإن الصفرة التى تعلو وجهك أفصح فى التعبير عن مرادك من كل لسان، إنك مثل ذلك الرجل الذى أزاح الستر عن خيمة بريام^(٢٥) ودخل إليه فى جوف الليل

مضعضاً منهوگاً مقطوع النفس كئيباً
تعلوه صفرة الموت وقد خيم عليه الأسى
ليبلغه بأن طروادة قد احترق نصفها.

ولكن بريام كان أسرع إلى معرفة نبأ الحريق من منظره قبل أن يستطيع الرجل النطق بما أراد أن يقول له، وأنا كذلك قد عرفت موت برسى قبل أن ينطق به لسانك،

٧٥ إنك تود أن تبادلنى الحديث بذكر مناقب ابنى فتقول هكذا: إن ابنك قد أبلى فى هذا، وأبلى فى ذاك، وإن أخاك قتل هذا وأن النبيل دوجلاس قد جاهد جهاداً عظيماً،

فتملأ أذنى المتشوقة ببلائهم النبيل،
ولكنك فى النهاية تصك أذنى بما يصمهما عن الاستماع إلى أى شىء آخر

٨٠ بآهة تطلقها تبدد كل ما صغت من آيات مجدهم وشجاعتهم
وتختتم قولك بأن أخى وابنى والجميع قد ماتوا.

مورتنون : إن دوجلاس لا يزال على قيد الحياة وأخوك كذلك،
أما سيدى ومولاى ابنك..

نورثمبرلند : ويلي، إنه مات،

أرأيت كيف يجد الشك جوابًا سريعًا
إن الذى يراوده الخوف من شىء ما لا يريد أن يعرفه،
تأثيته المعرفة بالغريزة من التطلع إلى عيون الآخرين
فيعرف أن ما كان يحذر قد وقع، ومع ذلك تكلم يا مورتنون
وقل لسيدك الإيلر إن تنبؤه كاذب.
تكلم ولا تخش مغبة التجروء على إيلر بتكذيبه وثق أنى ساعد هذه
نقيصة محببة
وأكافئك على الإساءة إلى خيرًا.

مورتنون : إنك أعلى مقامًا من أن أناقضك،

وإن روحك لروح صدق وإن مخاوفك لحقيقة لا جدال فيها.

نورثمبرلند : وعلى الرغم من كل ذلك فإنى ما زلت آمل ألا تقول إن برسى قد
مات،

إنى لأرى فى عينيك اعترافًا غريبًا بموته، وإن لم تتطرق به شفتاك،
إنك لتهز رأسك وتمسك لسانك عن قول الحق معتقدًا أن وراء
الجهر به خطرًا كبيرًا أو إثمًا عظيمًا قل الحق ولا تخف شيئًا. وإن
يكن قد مات فأفصح، فما أجرم لسان يحمل نبأ موته.

فالآثم من يكذب على ميت،

لا الذى يقول إن الميت ليس حيًا،

ولكن الذى يبادر بحمل الأنباء السيئة

يؤدى عملا غير مشكور، ويظل لسانه يرن فى الآذان

كأنه ناقوس الوداع الرتيب الكئيب

الذى يقرع لوداع صديق راحل.

١٠٠

ولكن الذى يبادر بحمل الأنباء السيئة

يؤدى عملا غير مشكور، ويظل لسانه يرن فى الآذان

كأنه ناقوس الوداع الرتيب الكئيب

الذى يقرع لوداع صديق راحل.

لورد باردولف : لا أستطيع أن أتصور يا سيدى اللورد أن ابنك قد مات.

مورتنون : إنى لأسف إذا أحملك على تصديق هذا الذى

تمنيت على الله ألا أراه ولا تشهده عيناي،

ولكن عينى هاتين قد رأته وهو مضرع بدمه وقد

أخذه الوهن والإعياء،

١١٠

يحاول أن يرد الضربة بضربة مثلها لهارى مونموث الذى

عاجل برسى بضربة ألقت به إلى الأرض صريعا

وهو الذى لم تخنه شجاعته قط

ومن ثم لم يستطع بعدها أن يهب على قدميه أبداً وفيه بقعة

من حياة.

ولأوجز الحديث فأقول لكم أن موت هذا الذى كانت

روحه تشعل الحماسة

فى صدر أشد الفلاحين خمولا فى معسكره

حين انتشر نبؤه فى الصفوف

سلب أشد عسكره شجاعة وصلابة حماسهم وحميتهم

١١٥

ذلك أن رجاله كانوا يستمدون صلابتهم وثباتهم من قوة
روحه وشدة بأسه،

فلما انتلم حد سنانهم انقلبوا بعضهم على بعض
وعادوا سيرتهم الأولى من الخمول وفتر الهمة والنتاقل
كأنهم رصاص بليد ثقيل.

وكما أن الجسم الثقيل في ذاته

إذا اندفع بشدة انطلق مسرعاً في طريقه،

كذلك فعل جنودنا الذين أثقل كاهلهم الحزن على فقد

هوتسبر

وزادهم الخوف خفة

فاندفعوا يفرون من الميدان طلباً للسلامة

بأسرع مما تتطلق السهام من كنانتها إلى مرماها.

وفي تلك الساعة سرعان وقع النبيل ورستر في الأسر،

وسرعان ما بارك الإسكتلندي العتيد دوجلاس الدموي،

الذي أبلى سيفه أحسن البلاء في المعركة

وسفك دماء ثلاثة كانوا يشبهون الملك في مظهرهم،

سرعان ما بارك فعال جنوده المخزية وتخلي عن كبريائه

وأطلق ساقيه للريح مقلداً أولئك الذين ولوا ظهورهم للمعركة.

ولكنه في فراره عثرت قدمه من الخوف فأحيط به وأسر وغاية
القول

أن الملك كسب المعركة وأنه بعث بقوات أخرى

تسير بأقصى سرعة تحت قيادة الشاب لانكستر

ووستمورلند لملاقاتك يا مولاي.

هذه هي الأنباء بأكملها.

١٢٠

١٢٥

١٣

١٣٥

: أما عن هذا فإنى سأجد يوماً ما وقتاً كافياً للأسى.

إن فى السم ترياقاً،

وهذه الأنباء كان من شأنها أن تسقمنى لو أنى كنت صحيحاً
معافى،

أما وأنا مريض فقد شفتنى إلى حد ما،

وكما أن المريض البائس الذى أنهكت الحمى مفاصله وجعلت
أطرافه تتوء تحت ثقل جسمه الحى ويتساقط تحت عبئها كما
تتساقط المفاصل الواهنة.

١٤٠

يثور خوفاً من النوبة التى تأتیه، وينفلت من بين ذراعى من
يمرضه،

وينطلق فى عنف شديد لا يستطيع أن يكبحه أحد كأنه النار إذا
اشتعلت، فكذاك أنا، فإن يكن المرض قد اضعف أطرافى وأوهنها،
فإن هذه الأحزان التى استثارتنى قد جعلت قوة مفاصلى تتضاعف
ثلاثة أضعاف.. إليك عنى الآن أيتها العصا الأنيقة التى يتوكأ
عليها المرضى، إن هذه اليد يجب أن يغطيها قفاز ذو صفائح
ومفاصل من الصلب.

١٤٥

وبعداً لك أيضاً أيتها العصابة اللينة التى يرتديها الناقهون، فأنت
وقاء رقيق للرعوس لا يصمد لطعنات الأمراء الذين مرزوا على
الهجوم وتمرسوا بالغزو.

ولأربطن جبهتى بالصلب وأضع على رأسى قلنسوة الحرب
الحديدية

١٥٠

ثم فلتوافنى بعد ذلك أشد ساعات الزمان حلقة

وليواجهنى أقصى ما يستطيع الحقد والزمن أن يسدداه إلى
نورثمبرلند الغاضب!

فستجد منى نفرة بنفرة وثورة بثورة.

فلتنطبق السماء على الأرض وليسُدَّهما الاضطراب والفوضى

ولتتخل يد الطبيعة عن نظامها لتترك المحيط النائر يغمر الأرض
بمائه وليندثر النظام وتحل الفوضى

وتصبح هذه الدنيا مسرحًا متصل الفصول

١٥٥

يؤجج روح الشر والعداوة ويزيد ضرامها أمدًا لا نهاية له، وتسود
فيه روح قابيل وحدها، روح الابن البكر قاتل أخيه،
ولتتطو كل الصدور على هذه النزعة الدموية حتى
حتى ينتهي هذا المنظر البشع

١٦٠

بانتهاء البشرية كلها ودفنها في الظلام الأبدى.

: إنك تسى إلى نفسك يا مولاي بإطلاق العنان لهذه المشاعر
العنيفة.

ترافرس

: لا تخل بين حكمتك ووقارك يا مولاي بل اجعلها قرينين كالعهد
بك أيها الإيرل الحبيب

باردولف

: إن حياة أعوانك المحبين لتعتمد على صحتك

مورتون

التي إن استنفدتها على هذا النحو في هذه الثورات العنيفة

فلا مفر لها من أن تتداعى -

١٦٥

لقد حسبت حساب الحرب يا سيدى اللورد النبيل -

وقدرت احتمالات الكسب والخسارة قبل أن تتادى بتجيش الجيوش
للثورة في وجه الملك،

ولا بد أنه كان في تقديرك

أنه حين يحمى وطيس القتال وتشتد الضربات سيقع ابنك فريسة
لإحداها،

وإنك لتعرف أنه مخاطر يمشى إلى الهيجاء على أدق من
الصراط،

١٧٠

وإنه بهذه المخاطرة أَدعى إلى أن يسقط من أن يتغلب وينجو،

وكنت تعلم حق العلم أن بدنه معرض للجروح والندوب، وأن روحه
الغلبة الثائرة

ستحمله على أن يخوض أشد الأماكن خطورة سعيًا وراء النضال.
ومع ذلك لم تتردد في أن تقول له تقدم،

ولم يكن شيء من هذا، وإن كان متوقعًا حدوثه،

١٧٥

ليكبح جماح الحوادث عن أن تسير في طريقها في عناد وإصرار،
فما الذى جد بعد ذلك؟

أو ما الذى أتت به هذه المغامرة الجريئة من جديد غير ما كان
متوقعًا أن يحدث؟

لورد باردولف : لقد كنا نحن الذين اشتركنا جميعًا في هذه المغامرة السيئة الطالع

نشعر أننا نغامر في بحار خطرة مضطربة.

١٨٠

وأن فرص النجاح أمامنا ضئيلة وأنها لا تعدو واحدًا إلى عشرة.

ومع ذلك غامرنا أملًا في الكسب المنتظر،

وأسكتنا كل مظان الخطر الذى نخشى وقوعه،

وما دمنا قد غلبنا على أمرنا. فلنغامر مرة أخرى علنا نستعيد
مكاننا.

١٨٥

فهيما نحاول مرة أخرى ولنضح كلنا في سبيل ذلك بحياتنا وأموالنا.

لقد آن الأوان أو فات يا سيدى اللورد النبيل.

مورتون

ولقد سمعت خبرًا لا أشك في صحته، وأنا أصدر في قول عن
غاية الصدق،

أن رئيس أساقفة يورك، ذلك الرجل الوديع،

١٩٠

قد هب ثائرًا على الملك تؤيده قوات منظمة.

والأسقف يا سيدى رجل تربطه بأعوانه وشائج متينة مزدوجة.

إن سيدى اللورد ابنك لم يكن له سلطان إلا على الأبدان،

فلم يحارب معه إلا الأشباح والأبدان.

ذلك أن وصف الحركة بالخروج على الملك

فصلت ما بين أعمال البدن وأعمال الروح عند هؤلاء الناس،

١٩٥

وكانت مثار نزاع بين أرواحهم وأبدانهم، فكانوا يحاربون بشعور مريض وعلى مضض،

كما يفعل الذين يتعاطون الجرعات الطبية، فكأن أسلحتهم وحدها هي التي كانت معنا

أما قلوبهم وأرواحهم

فقد جمدها كلمة الخروج على الملك،

٢٠٠

كما يتجمد السمك في البركة. أما الآن فإن الأسقف

قد خلع على هذه الثورة ثوب الدين،

وإذا كان الأسقف معروفًا بالإخلاص والقداسة في جميع أفكاره،

فقد تبعه الناس بأجسادهم وعقولهم،

٢٠٥

وزاد ثورته فضلا وقوة حين جعل من ريتشارد شهيدًا،

وجعل دوافعها الانتقام لنفس أزهقت بالباطل في بومفرت

وأرجعها إلى الله فهو الذى يحفره وهو الذى يسيطر عليه ومنه يستمد العون لتحقيق غايته.

وقال للشعب إنه يهب ليحمي أرضًا مزقها الطغيان،

وما زالت تتطلع إلى الحياة تحت سلطان بولنبروك العظيم.

وقد استجاب لدعوته العظماء والدهماء على السواء.

: لقد سمعت بهذا من قبل، ولكن الحق أقول،

نورثمبرلند

إن هذه النازلة التي نزلت بى أخيرًا قد محت ذكره من رأسى.

تعالوا دخلوا معى ولنتشاور مع كل إنسان

فى إيسر الطرق للسلامة والانتقام،

وابعثوا الرسل وأرسلوا المكاتيب واجمعوا الأصدقاء

والأعوان مسرعين،

فما كان أعواننا قط قلة وما أظننا فى حاجة إلى أكثر من هؤلاء
الأعوان.

(يخرجون)

المنظر الثانى

شارع فى لندن

(يدخل سير جون فولستاف يعرج متوكئًا على عصا يتبعه غلامه حاملًا سيفه ودرعه)

فولستاف : يا غلام، أيها المارد ماذا قال لك الطبيب عن نتيجة تحليل البول؟

الغلام : لقد قال يا سيدى إن البول نفسه طبيعى وصحى، ولكن صاحب البول قد يكون مصابًا بأمراض أكثر مما يعرف أو يتصور.

فولستاف : إن رجالا كثيرين من كافة الطبقات يشعرون بالزهو والفخر حين يتخذوا منى مادة لسخريتهم، وعقل هذا الإنسان المخلوق من طين، المحشو بالنزوات أعجز عن أن يبتدع شيئًا من السخرية اللاذعة أو الفكاهة المضحكة عما أبتدع أنا أو عما يصاغ للتندر بى، فلست ألمعيًا فحسب، بل ابعث حضور البديهة وسرعة الخاطر فى غيرى من الناس. والآن: أرنى أمشى أمامك، فأبدو كخنزيرة قتلت صغارها إلا واحدًا منها. وإلا يكن الأمير قد ألحقك بى ليظهر ما بينى وبينك من فارق على خير وجه، فإنى إذن لساقط التمييز، يا شبيه الإنسان يا ثمرة العهر، لأولى لك أن تثبت فى قبعتى من أن تمشى خلفى وتقفوا خطواتى.. وما حدث قط أن كان لى تابع فى حجم فص من العقيق حتى جئت لى أنت، ولكنى لن أجعلك فصًا فى حلية من ذهب أو فضة. بل سأكسوك بأحط الثياب وأعيدك إلى سيدك لقاء حلية أنالها منه. سأعيدك إلى سيدك الفتى الذى لم تثبت بعد لحيته. وإنه لأقرب عندى أن تثبت لحية فى باطن كفى من أن تثبت شعرة واحدة فى عارضى سيدك، الذى لا يفتأ يقول إن له طلعة الملوك، أتم الله بهاء خلقه حين يشاء، فوجهه لا يشين صفاءه شىء قط. وله أن يستبقيه ملوكيًا^(٢٦) كاملا فلن يكسب حلاق منه بضع بنسات أبدًا. وسيدك

رغم ذلك لن يفتر عن المباهاة كما لو كان قد بلغ مبلغ الرجولة وأبوه بعد أعزب. ولسيدك أن يقدر نفسه كما يشاء لها، أما أنا فلي فيه رأى آخر، هذا ما ينبغي أن تتأكد منه.. وماذا قال لك المعلم دومبلدون عن الحرير اللازم لبطانة معطفى القصير وأكمامى الواسعة؟

٣٣

: قال يا سيدى إنه ينتظر منك أن تقدم له ضامناً خيراً من باردولف، فإنه لا يستطيع أن يقبل ضمانك وضمانه، وإنه غير راض عن هذا الضمان.

الغلام

٣٣

: ألا فليعنه الله كما لعن الفتى الشره (٢٧)، وليحترق لسانه باللهب أكثر فأكثر. إلا أنه اخيتوفل (٢٨) جديد وليد بغى، وغد شرير يقول بلسانه ما ليس فى قلبه بيدي استعداد له خدمتى ثم من ورائى يصمم على ضمان أن هؤلاء الأوغاد ذوى الرعوس الفارغة لا يستخدمون إلا الأحذية المرقعة الكعوب ويضعون حزم المفاتيح فى مناطقهم فإذا ما عاملهم إنسان بالهين، معاملة أمينة أصروا على المطالبة بالضمانات. ولعمري لأفضل عندى أن يملأوا فى بالسم من أن يحاولوا إسكاتى بالإصرار على كلمة "الضمان" لقد توقعت أن يبعث إلى اثنين وعشرين ياردة من الحرير لأنى فارس أمين. ولكن ما الذى بعث؟ بعث يطلب ضماناً يطمئن له. فليطمئن، فقرنه نام، ومن خلال القرن يلوح فجر امرأته، ولكن الديوث لا يرى شيئاً على الرغم من أن لديه مصباحاً يضىء ما حوله.

فولستاف

وأين باردولف.

٥٤

: لقد ذهب إلى سميث فيلد ليشتري لسيادتك حصاناً.

الغلام

(٢٧) إشارة إلى قصة الغنى والعازر - الكتاب المقدس لوقا ١٦ : ٢٤.

(٢٨) من مشيرى النبى داود الذين اشتركوا مع ابنه إيشالوم فى الثورة ضده، انظر: الكتاب المقدس، صمويل

فولستاف : لقد اشتريته فى سانت بول وسيشترى لى حصاناً من سميث فيلد
وليتنى أستطيع أن أجد زوجة فى إحدى المواخير إذن لجمعت
بين السوءات الثلاث فى العبد والحصان والزوجة (٢٩).

٦٠

(يدخل كبير القضاة ومعه خادم)

الغلام : سيدى، إن الرجل النبيل الذى حكم على الأمير لضربه إياه بسبب
باردولف قادم نحونا.

٦٤ فولستاف : اخفى عن ناظره فأنا لا أريد أن أراه.

(يتسلل إلى عطفة والغلام خلفه)

كبير القضاة : من هذا الذى يسير هناك؟

الخادم : إنه فولستاف إن أذنت يا مولاي.

٦٨ كبير القضاة : أهو هذا الذى كان موضع الاتهام فى حادثة السرقة

الخادم : هو نفسه يا سيدى اللورد، ولكنه منذ ذلك الوقت قام بأعمال

عظيمة فى شروزربرى وهو مكلف فيما سمعت الآن بمهمة لدى
٧٢ اللورد جون لانكستر

كبير القضاة : أهو ذاهب إلى يورك؟ استدعه للقائى.

الخادم : يا سير جون فلستاف.

٧٦ فولستاف : قل له يا غلام إنى أصم لا أسمع.

الغلام : ارفع صوتك ليسمعك سيدى فهو أصم.

كبير القضاة : أنا واثق من أن يصم أذنيه عن كل ما هو خير.

(٢٩) فى الأمثال الإنجليزية أن من يذهب إلى وستمنستر للزواج أو إلى سميث فيلد لشراء حصان أو إلى سان
بول لشراء عبد فقد يجد العاهر والوغد والحصان الهزيل.

اذهب وأمسكه من ذراعه وأت به فأنا أريد أن أتحدث إليه.

(يجرى ويمسك بكمه)

٨٢ الخادم : يا سير جون.

فولستاف : ما هذا! وغد وحدث ومتسول أيضًا؟ أليس فى الدنيا حروب؟ أليس فى الدنيا عمل، أليس الملك فى حاجة إلى رعايا؟ وأليس الثوار فى حاجة إلى جنود؟ وإذا كان من العار أن تتحاز إلى أى فريق إلا فريق معين فلاهون أن تتحاز إلى الفريق الأسوأ من أن تتسول، حتى ولو أطلق على الجانب الأسوأ اسم أشد سوءًا من لفظة "ثورة".

٩٠ الخادم : لقد أخطأت قصدى يا سيدى.

فولستاف : يا سيدى كيف أخطئ قصدك؟ هل قلت إنك رجل شريف، وإنى لأنزل عن فروسيته وجنديته وأقول لك إنى كاذب، لو أنى قلت لك ذلك.

الخادم : أرجوك يا سيدى أن تنزل عن فروسيته وأن تأذن لى أن أقول لك إنك كاذب لو أنك قلت لى شيئًا آخر غير أنى رجل شريف.

فولستاف : وكيف آذن لك أن تقول لى هذا! وكيف أتخلى عما هو متعلق بى! إن أنا أذنت لك بهذا فلأشنع، وإن أنت أذنت لنفسك فأجدى بك أن تشنع.

أنت كلب صيد ضل أثر صيده. امش!

(يقتررب كبير القضاة)

١٠٣ الخادم : (ينحى) سيدى إن مولاي اللورد يبغي أن يتحدث إليك.

فولستاف : سيدى اللورد الطيب، أطاب الله يومك، لشد ما أنا مسرور بلقائك خارج بيتك، فق علمت أن سيادتك مريض، وأرجو أن تكون قد خرجت من البيت بنصيحة أطبائك، فسيادتك رغم أنك لم تتجاوز

- ١١٥ سن الشباب عليك مسحة من الشيخوخة وبك أثر من فعل الأيام.
فأتوسل إليك بكل خضوع يا مولاي أن ترعى صحتك،
- كبير القضاة : لقد بعثت في طلبك يا سير جون قبل سفرك إلى شروزبرى.
- فولستاف : إن أذنت يا مولاي لقد بلغنى أن الملك عاد من حملته في ويلز
يشكو بعض العلة والإرهاق. ١٢٠
- كبير القضاة : لست أتكلم على جلالة الملك، ولكنى أقول إنك امتنعت عن
المثول أمامي حين دعوتك للحضور.
- ١٢٤ فولستاف : وبلغنى أكثر من ذلك أن جلالته أصيب بهذا الصرع الملعون.
- كبير القضاة : شفاه الله، وأرجو أن تدعى أتحدث إليك.
- فولستاف : هذا الصرع كما أعلم هو نوع من الخمول، نوع من الخدر يصيب
الدم، وهو وخز لعين.
- ١٣١ كبير القضاة : لم تصف لى أعراض هذا المرض؟ ليكن ما يكون.
- فولستاف : إن مبعثه هو الحزن واشتغال البال وكد الذهن. ولقد اطلعت على
سببه وأعراضه. فى كتاب جالينوس، إنه نوع من الخدر.
- ١٣٧ كبير القضاة : يخيّل إلى أنك مصاب بهذا المرض، فإنك لا تسمع ما أقول لك.
- فولستاف : فليكن ما ترى يا سيدى اللورد، إن أذنت لى فإن الذى أشكو منه
هو مرض ثقل السمع وضعف الإصغاء ١٤١
- كبير القضاة : إذا عاقبتك بالسجن ووضع الأغلال فى قدميك فإنى سأشفيك من
هذا الصمم المتعمد، ولست أبالى أن أكون طبيبك المداوى. ١٤
- فولستاف : إنى فقير يا سيدى اللورد، فقر أيوب، ولكنى لست أكثر منه
صبراً، وفى طوقك يا سيدى أن تجرعنى وصفتك وتحبسنى لفقرى،
ولكن المسألة التى يشك فيها العقلاء بعض الشك أو الشك كله ١٥٠

هى مقدار صبرى على احتمال علاجك.

كبير القضاة : لقد بعثت أستدعيك حين كانت هناك أمور خطيرة تنسب إليك قد تقتضىك حياتك لأستجوبك فى شأنها، ولكنك امتنعت عن الحضور.

فولستاف : لقد امتنعت عن الحضور عملاً بمشورة محامى العالم بالقوانين السائدة فى هذه البلاد.

١٥٦

كبير القضاة : الحق يا سير جون إنك تعيش مجلاً بخزى كبير.
فولستاف : من له مثل سعة خصرى لا يستطيع أن يجلل بخزى أقل حجماً من هذا.

١٦٠

كبير القضاة : إن دخلك ضيق، ولكن إسرافك عريض.
فولستاف : وددت لو كان الأمر على العكس من ذلك يا سيدى.
فكنت ضيق الخصر عريض الدخل.

كبير القضاة : لقد أضللت الأمير الشاب.
فولستاف : بل لقد أضلنى الأمير، فما أنا إلا السائل البدين الأعمى وهو الكلب الذى يقودنى.

١٦٨

كبير القضاة : إنى لأكره أن أنكأ جرحاً قد التأم، وأن أعاقبك على جرم غفره لك حسن بلائك الأخير فى الحرب فى شروزبرى، فقد أريت حسناتك فيها على سيئاتك فى جادزهل، ولك أن تحمد هذه الحرب الضروس، فلولاها ما أقلت من معقبات عملك السيئ بمثل هذه السهولة.

١٧٣

فولستاف : سيدى اللورد!
كبير القضاة : وما دام الأمر قد انتهى بخير فدع الأمور تجرى فى أعنتها، ولا توقظ الفتنة النائمة وتحرك الذئب الهاجع.

فولستاف : إن إيقاظ الذئب الهاجع خطر ككتبع الثعلب الماكر.

١٨٠ كبير القضاة

: وى.. إنك شمعة خير نصفها قد احترق.

فولستاف

: بل شمعة ضخمة توقد فى الحفلات والمواسم يا سيدى اللورد.
كلها من الشحم المذاب السريع الاحتراق، وإذا قلت إنها من الشمع
فإن ضخامة جسمى خير برهان على ما أقول.

كبير القضاة

: إن ذقنك ليس فيه شعرة واحدة بيضاء ولو أن شعرة بيضاء واحدة
نبتت لعلمتك كيف تتصرف برزانة تناسب تقدم سنك.

١٨٥

فولستاف

: إن كل شعرة فى تحمل نصيبها من العرق والكد. أجل العرق
والكد.

كبير القضاة

: إنك تتبع الأمير الشاب فى كل خطواته صاعداً وهابطاً وتصاحبه
كالشيطان تملك عليه نفسه.

١٨٨

فولستاف

: لست شيطاناً يا سيدى اللورد. فالشيطان كما تعرف ويعرف الناس
عملة زائفة لا تقى بوزنها الحقيقى، بل هى أخف قيمة، على حين
أن الذى يرانى على ثقل هذا لا يملك إلا أن يقبلنى على علاتي،
ذهباً خالصاً لا غش فيه ولا نقص فى قيمته، دون أن يلجأ إلى
الميزان. ولكنى أسلم مع ذلك أنى فى بعض الأحيان لست سريع
الصرف والتداول، فأنا بطئ المشى ولست أدري ماذا أقول، فلست
ممن يستخدم فى الحساب، والرجولة الحقة ليس لها حساب فى
هذه الأزمان التى يقاس فيها كل شىء بما يجلبه من مال فى
الاتجار الرخيص، حتى إن الرجال ذوى الشجاعة الحقيقية قلما
يجدون عملاً يليق بهم خيراً من قيادة الدببة فى المعارض،
والرجال ذوى البديهة الحاضرة والنكتة المسعفة لا يجدون عملاً إلا
سقاة فى الحانات، ويصرفون ذكاءهم ويضيعونه فى جميع
الحساب للزبائن، وأصحاب المواهب الإنسانية الأخرى، خضوعاً

منهم للزمان الغادر الذى لا يقدر كفايتهم فيغبطهم عليها، لا يكادون يساوون حبة من خردل. وأنتم الكبار المتقدمون فى السن لا تكادون تعترفون بكفايتنا نحن الشباب، إنكم تقيسون حرارة عواطفنا نحن الذين لا نزال فى مقتبل العمر وميعة الصبا بمقياسكم العتيق الذى أحال كل شىء فى أنظاركم، أنتم الكبار الذين جفت مرائركم، إلى شىء مريّر. إنى لأعترف صادقاً أننا نحن الطليعة من الشباب لا نزل فتية لما تغادرنا الشقوة.

٢٠٣

كبير القضاة : أما زلت تعد نفسك أنت الذى وخطك العمر وكتب اسمك فى سبت المسنين بأبرز الحروف التى يعملها الزمن فى أمثالك؟ أما زلت تعد نفسك شاباً؟ ألست تحس رطوبة العين، وهن اليد وصفرة الخد، وبياض اللحية، وانضمار الساق، وانتفاخ البطن؟ ألم يتكسر صوتك، وتضيق نفسك، ويتزهل وجهك؟ ويخبو ذكاؤك؟ ألم يعد الزمن على كل أعضائك وحواسك؟

ومع ذلك لا زلت مصرّاً على أن تسمى نفسك شاباً تَبّاً لك يا سير جون. تَبّاً.. تَبّاً!

٢١٢

فولستاف : سيدى اللورد. لقد ولدت حوالى الساعة الثالثة بعد الظهر برأس أبيض وبطن منتفخ بعض الشىء. لقد استقبلت الدنيا منذ مولدى كهل المنظر، أما عن صوتى فقد كسرته صيحات الحروب والصيد وأناشيد الكنيسة المقدسة، ولن أحاول بعد هذا مزيداً من الدليل على فتوتى وشبابى. وفى الحق أنى لست شيخاً إلا فى حكمتى وإدراكي، وإذا عن الإنسان أن يتحدانى ويبارينى فى القفز والرقص على ألف مارك فليقرضنى قيمة الرهان، وأنا على أتم استعداد أن أقبل تحديه وأن أدخل معه فى المباراة. أما عن اللكمة التى كالهال الأمير لك فى أذنك فقد صدرت عنه بوصفه غراً أهوج، وتقبلتها أنت بوصفك سيداً عاقلاً رزيناً. وقد عنفته على صنيعه هذا، وندم الأسد الشاب على فعلته وكفر عن خطيئته (مخاطباً نفسه) لا بالتمرغ فى التراب ولبس المخرق من الثياب. بل وحق العذراء كفر عنها بلبس الجديد من الحرير وشرب النبيذ الجاف.

كبير القضاة : حسنًا.. أسأل الله أن يرزق الأمير الشاب رفيقًا خيرًا منك.

فولستاف : بل اسأل الله أن يرزق الرفيق أميرًا خيرًا منه.

٢٣٠ فأنا لا أستطيع أن أخلص يدى منه.

كبير القضاة : لقد تكفل الملك بالأمر فقطع ما بينك وبين الأمير هارى، فقد

٢٣٤ علمت أنك ذاهب فى صحبة اللورد جون لانكستر لملاقاة الأسقف هو ولورد نورثمبرلند.

فولستاف : أجل، والفضل فى هذا لحيلتك يا سيدى. (رافعا صوته) ولكن

أرجو يا سيدى ألا يفوتكم الدعاء لنا، أنتم يا من تقيمون آمين فى أحضان الوطن تتمتعون بنعمة السلامة والأمن، بألا تلتحم قواتنا بقوات العدو فى يوم حار، فأنا وحق السيد المسيح لم أحمل معى إلا قميصين اثنين على أمل ألا أتعرض لعرق فياض. أما إذا كان لقاءنا فى يوم حار واضطرت أن ألوح بشيء كان لقاءنا فى يوم حار واضطرت أن ألوح بشيء غير زجاجتى هذه، فلا شربت بعدها أبدًا، حتى لا أبصق بصاقًا أبيض من شدة السكر. ومهما يكن من شيء فإنه ما من خطر يطل برأسه ويتهدد البلاد حتى أرمى به ويرمى بى لأعالجه، ولكنى لن أدوم لهم أبد الدهر، وهذا ليس عجيبًا. فهو شأن شعبنا الإنجليزى منذ خلق حتى اليوم، لا يكاد يعرف عاملاً مجداً حتى يدفع به دائماً فى كل عمل ويدس به فى كل أمر، حتى تصبح بطولته أمراً عادياً. وإذا كان حقاً ما تقول من أنى رجل مسن فمن واجبك أن تعمل على إراحتى، وما أكثر ما تمنيت على الله ألا يكون اسمى مرعباً للعدو كما هو الآن، إذن لكان خيرًا لى أن أموت قاعداً من البلى فى عقر دارى من أن تستنفد قواى وأمزق أرباً بهذه الحركة الدائبة التى لا تهدأ.

٢٥١

كبير القضاة : تحشم يا رجل.. وأحسن السلوك وليبارك الله لك فى مهمتك.

فولستاف : هل لسيادتك فى أن تقرضنى ألف جنيه لأستعين بها على تجهيز

كبير القضاة : ولا مليما واحداً، ولا مليما واحداً، فلمثلِكَ لا يحتمل الضرب^(٣٠)
وداعاً وأبلغ تحياتى إلى أبْن عمى وستمورلند.

٢٥٨

(يخرج كبير القضاة ومعه خادمه)

فولستاف : اقذف بى فى البحر بعثلة ذات ثلاث شعب إن أنا فعلت ما قلت
لى. إن الإنسان لا يستطيع بحال ما أن يفرق ما بين الجشع وكبر
السن، إلا بقدر ما يفرق بين الشباب والغواية، ولكن النقرس يزيد
مرارة المسنين على حين يعذب الزهرى الشباب ويقربهم قريباً.
وهكذا لكل دور من أدوار الحياة لعناته التى تسبق لعناتى. يا
غلام!

٢٦٤

الغلام : سيدى

فولستاف : كم معى من النقود؟

الغلام ٢٦٧ : شلنان ونصف يا سيدى

فولستاف : لست أعرف دواء لهذا الداء الذى يستهلك مالى، فالافتراض لا
يشفى.. ولكنه يمد أجل العلة.. أما الداء نفسه فقد عز على
العلاج.. اذهب يا غلام واحمل هذا الخطاب إلى سيدى لورد
لانكستر، وهذا إلى إيرل وستمورلند، وذلك إلى محظيتى العجوز
أرسولا، التى ما فتئت أقسم لها كل أسبوع أنى سأ تزوجها منذ نبتت
أول شعرة بيضاء فى لحيتى.. هيا عجل عجل ونفذ ما أمرتك به.
ثم عد على وأنت تعرف أين تجدنى.

(يخرج الغلام)

(٣٠) يستعمل كلمة الضرب بمعنيين: ضرب النقود وضرب العقاب.

أواه لست أدري ما ألم بأخمصى! أهو النقرس أم هو الزهري أهو
المسنين أم داء الشباب، إن أحدهما يفرى أخمصى ويؤلمه على
أى حال. وإذا عرجت فما فى هذا من بأس فإن رداء الحروب
عذر أتحمّله لأخفى به دائى، وسيضمن لى هذا مكافأتى عن
بلائى. إن سعة الحيلة وحضور البديهة يستغلان كل شىء،
وسأحول العلة والعجز إلى راحة وكسب.

(يخرج وهو يعرج)

المنظر الثالث

قصر كبير أساقفة يورك

(يدخل كبير أساقفة يورك وهاستنجز وموبراي ولورد باردولف)

كبير الأساقفة : وهكذا استمعتم إلى قضا وأحطتم علماً بمدى قوتنا، فناشدتكم الله جميعاً أيها الأصدقاء النبلاء

ألا ما كشفتم في صراحة عن رأيكم في موقفنا وآمالنا في النجاح، ولنبدأ بك يا سيدي القائد العام فما رأيك في استعداداتنا وقواتنا

موبراي ٥ : إنني أقر عن طيب خاطر بما حملنا السلاح من أجله،

ولكني أكون أسعد

لو عرفت مدى ما لدينا من وسائل

لتحسين مركزنا وتدعيمه

لمواجهة قوات الملك وسلطانته.

هستينجز : إن مجموع القوات التي جندناها والتي نستطيع حشدنا في الميدان

تبلغ خمسة وعشرين ألفاً من صفوة الجنود الممتازين، ١٠

ونحن نعتمد في تعزيز قواتنا على أمل راسخ

في عون يأتينا في إيرل نورثمبرلند الذي يطوى حناياه

على ضغينة للملك تتقد بها جوانبه،

وتسعرها ألوان الأذى التي حاقت به.

لورد باردولف ١٥ : المسألة إذن، يا لورد هستينجز، وضعها الآن هكذا:

أهل في قدرة قواتنا الحالية وهي الخمسة والعشرون ألفاً

أن تصمد لقوات الملك دون عون من نورثمبرلند.

هيستينجز : بل قد تستطيع الصمود، إن أعانها.

باردولف

: هذه هي المسألة بحق العذراء..

فإذا كنا نرى في أنفسنا دون عوننا ضعفاً،
فأرى أن الأولى بنا ألا نخطو خطوة لا نستطيع تلافيها،

٢٠

حتى نضمن أن مساعدته قد دنت منا.

أما التوهم والرجم بالغيب، والتوقع وافتراس العون غير الأكيد،
فأشياء لا يصح التعويل عليها في تدبير شئون خطيرة
تسفك فيها الدماء كتلك التي نحن بسبيلها.

٢٥ كبير الأساقفة

: هذا صحيح جداً يا لورد باردولف.

وهذا هو الذي أودى بهوتسبر الشاب في شروزبرى.

باردولف

: هذا هو عين ما حدث يا سيدى اللورد فقد طعم بالأمل.

وأكل الهواء على أمل أن يأتيه العون

وأغرى نفسه بحساب إمدادات

٣٠

جاءت أقل من أقل ما قدر في فكره.

وبهذا الخيال الجامح

الخيال الذى هو أليق بالمجانين، اندفع بقواته إلى الموت مغمضاً
العين عن واقع الأمر، فكان الهلاك مصيره.

هستنجز

: ولكن، إن أذنت لى، ما من ضير أبداً فى أن يحسب الإنسان

حساب الاحتمالات وأن يشكل الآمال.

٣٥

باردولف

: نعم من ضير إذا كانت نتيجة الحرب الحاضرة

متوقفة على المعركة الآتية.

ولكن فى هذا كل الضير إذا كانت المعركة الدائرة كتلك التى
نواجهها...

فالاعتماد على النجاح فيها على الأمل

هو كالأعتماد على الثمر من براعم باكرة تظهر فى الربيع قبل
إبانها.

٤٠

ذلك أن الاحتمال فى أن يقتلها الصقيع فى أكامها قبل أن تزهر
أكثر من احتمال نضجها وإثمارها.

أننا إذا أردنا البناء وجب علينا أن نقيس أبعاد الأرض ثم نضع
أنموذجاً للبيت.

فإذا عرفنا حجمه

قدرنا تكاليف البناء.

فإذا تبين لنا أنها تفوق قدرتنا

٤٥

فأى شىء نعمل اللهم إلا أن نضع أنموذجاً جديداً

ننقص منه بعض المرافق لتتفق التكاليف مع قدرتنا.

أو على أسوأ الفروض أن يعدل عن البناء كلية.

والأمر العظيم الذى نحن مقبلون عليه أشد وأدهى من مجرد بناء.

إنه لأمر عظيم نتيجته فى الأغلب هدم عرش من أساسه وإقامة
آخر مكانه.

٥٠

ومن ثم فهو يستدعينا أن نفحص عن الموقف والخطه، وأن نتفق
فيما بيننا على أساس متين،

وأن نستجوب المختصين. وأن نعرف مقدار مواردنا،

وكيف تستطيع خطتنا

أن تواجه خطة خصومنا

٥٥

وإلا كنا كمن يتحصن بالورق ويتستر بالأرقام

ويعتمد على أسماء الرجال بدلا من الاعتماد على الرجال

إن مثل هذا كمثل الذى يضع أنموذجاً لبيت

ليس فى طاقته احتمال تكاليفه فلا يقدر على تكملته

فيقف العمل فيه ولما يتم إلا نصفه، ويترك هذا النصف الذي
أنشأه

معرضًا للسحب الباكية

ولأن تخريبه أنواء الشتاء القاسية

هيستتجز

: حتى ولو سلمنا بأن أماننا

على ما كانت تحمل من علامات احتمال النجاح قد ولدت ميتة؟
وأن ما لدينا الآن هو كل ما نرجو من النجدة، فإنى أرى أن ما
نحن عليه من عدد وقوة - جيش قوى متين
يكفل لنا أن نواجه الملك فى قوة توازن قواته.

باردولف

: أقوات الملك لا تتجاوز خمسة وعشرين ألفاً عدا؟

هيستتجز

: إن القوات التى سنواجهها لا تزيد على ذلك. بل لعلها لا تبلغ ذلك
يا لورد باردولف، وهذا ما يعنيننا،
فرقة الثلاثة

موزعة على ثلاثة جيوش.

فقد وجه جيشاً لقتال الفرنسيين

وآخر لمواجهة جلندور. والجيش الثالث لا مناص من أن يواجهنا.
وهكذا ترى هذا الملك المزعزع وقد تفرقت قواه أثلاثاً، وأخوت
خزائنه حتى باتت تصفر فيها الريح من الفقر والخلاء.

كبير الأساقفة

: ومن ثم فلا خوف إطلاقاً

من أن يجمع قواه جميعاً.

ويواجهنا فى كامل عدته وعدده.

هيستتجز

: لو أنه فعل ذلك لترك ظهره مكشوقاً ولتبعه الفرنسيون والغاليون.

على أعقابهم ينهشون أطرافه... لا، لا تخشوا هذا البتة.

باردولف : ومن الذى يحتمل أن يقود حملته علينا.

هيستجز : دوق لانكستر ووستمورلند سيقودان الجيش ضدنا.

وسيقود هو الحملة بنفسه ضد الغاليين ومعه هارى مونموث،
أما من ينوب عنه فى الحملة على الفرنسيين
فلست اعلمه على اليقين.

٨٥ كبير الأساقفة : هيا بنا إلى العمل.

ولنبداً بإذاعة أنباء أسباب امتشاقنا لحسام وانتقاضنا على الملك.
فقد مات الجماعة هذا الذى اختارته ملكاً عليها.
وطفح كيف المحبة حتى انقلب إلى ضده،
وبدا الشعب يمج هذا الذى أغرم بحبه يوماً ما،
فلا قرار ولا غناء لمن يحاول أن يبنى عرضه على قلوب
العامة المتأرجحة التى لا تثبت على شىء.

٩٠

إيه لك أيتها العامة الحمقاء
ألم تشقى عنان السماء بهتافاتك العالية بحياة بولنجروك والدعاء
له

قبل أن يصبح ما أردته أن يكونه.

فلما ازدان بما كنت تطليه له

٩٥

ملأت نفسك منه أيها الأكل النهم

حتى عفته وبدأت من نفسك تدافعيه لتلفظيه وتحاولي التخلص

منه بكل سبيل

.. واهًا لكم أيها السوقة.. ما أشبهكم بالكلاب الضالة!

ألم تلفظوا من بطونكم الشرهة وتلقوا فى عرض الطريق ملككم
رتشارد

وها أنتم الآن تعودون إلى قيئكم لتزددروا ما لفظتم،

١٠٠

ولتعظموا هذا الذى سبق أن تخليتُم عنه، وأنتم تتصايحون شغفًا به
وبحثًا عنه. فأى أمان لمثل هذا الزمان؟

إن الذين تمنوا موت رتشارد حين كان حيًا يرزق، أصبحوا اليوم
يتمسحون فى قبره مولهين به،

وأنتم أيها السوقة الذين قذفتُم بالرماد فى وجهه وهلتم
التراب على رأسه المقدس -

يوم عاد إلى لندن فى أعقاب بولنجبروك الذى استثار إعجابكم

١٠٥

وسار هو فى شوارعها فى حال من البؤس والألم، وهى تحتفى
مزهوة بمصرعه،

أنتم أيها السوقة أنفسكم تصيحون الآن أيها الأرض أنشقى
وأخرجى لنا ذلك الملك، وخذى هذا!

ألا لعنة الله على تقلب أفكار الناس!

إنهم ليخيل إليهم أن الماضى والمستقبل كلهما خير ليس بعده
خير، أما الحاضر فشر ما بعده شر.

: ألا نذهب الآن فنجمع قواتنا ونبدأ العمل؟

موبراي

: إننا رهن بمشيئة الظروف، وقد اقتضت الظروف أن نسير قدمًا
ولا بد لنا أن نطيعها فيما أمرت.

هيستجز

الفصل الثانى

الفصل الثانى

المنظر الأول

أيسـت تشيب. بالقرب من حانة رأس الحلوف

تدخل صاحبة الحانة ومعها المحامى فانج وهو رجل ضخم خبيث)

صاحبة الحانة : هل سجلت يا سيد فانج قضيتى؟

فانج : لقد سجلتها.

صاحبة الحانة : وأين الشرطى؟ هل هو شرطى قوى مقدم؟ وهل سينفذ أمر القبض بشجاعة.

فانج : (ينادى بأعلى صوته) يا غلام أين سنير؟

صاحبة الحانة : رياه! السيد سير الطيب.

(الشرطى سنير، وهو شرطى أعجف، يدخل جارا قدميه جرا)

٨ سنير : ها أنذا.. ها أنذا

فانج : يجب أن تقبض على سير جون فولستاف يا سنير.

صاحبة الحانة : أجل يا سيدى الطيب سنير. يجب أن تقبض عليه.

١٢ قد اتخذت كل الإجراءات.

سنير : قد يكلف هذا بعضنا حياته. فرما طعنا بخنجره.

صاحبة الحانة : واخيبتاه لهذا اليوم المنكود.. خذوا حذرکم منه، فقد طعننى ذات

مرة فى بيتى.. فعل ذلك بوحشية وأيم الحق، غير آبه لما يحدث

من أضرار ما دام سيفه مشرعاً. إنه يطبق بسيفه على فريسته لا

يبالى رجلا كان أو امرأة أو طفلا.

فانج : إذا استطعت أن ألتحم به، فلن أبالى بطعناته.

صاحبة الحانة : لا ، ولا وأنا ستجذنى الى جانبك .

فانج اه لو استطعت أن أمسك به مرة واحدة .. واه لو دنا من قبضتى وأصبح فى متناول يدى

٢٤ صاحبة الحانة : إن ذهابه إلى الحرب سيخرب بيتى، وأؤكد لكم أنه مدين لى دينًا لا حد له، فاقبض عليه جيدًا أيها السيد الطيب فانج. وأحكم وثاقه، ولا تدعه يفلت يا سيدى سنير. إنه سيحضر على الفور إلى باى كورنر - وأستمحكم المعذرة - ليشترى سرحًا لحصانه وهو مدعو لتناول العشاء فى حانة "رأس اللبوة"؟ فى شارع لمبيرت عند السيد اسموث تاجر الحرير. أتوسل إليكم أيها السادة ما دام. الإعلان قد تم، وما دامت قضيتى قد ذاع نبأها فى الدنيا كلها، أن ترغموه على الحضور أمام القاضى ليجيب عن دعواي، فإن مائة مارك مبلغ ضخم لا تستطيع امرأة وحيدة مقطوعة مثلى أن تحتمل خسارته.. لقد احتملت واحتملت فوق طاقتى، وماطلنى المرة بعد المرة، ماطلنى واستأجلى من يوم ليوم، حتى بات مجرد التفكير فيما حدث عارًا وخزيًا. إن مثل هذه المعاملة لا شرف فيها ولا أمانة، إلا إذا أريد أن تكون المرأة مطية ذلولاً تحمل الإساءة من وغد خئون

(يدخل سير جون فلستاف وباردولف والغلام مقبلين من الشارع)
انظروا ها هو ذا قادم من بعيد ومعه الوغد باردولف ذو الأنف الأحمر، هيا أديا واجبكما، أديا واجبكما هيا يا فانج وأنت يا سنير هيا أديا واجبكما واقبضا عليه من اجلى.

٤٧

فولستاف : هيه يا رجال.. فيم هذه الضجة التى لا طائل وراءها وما شأنكما؟

٥١ فانج : سير جون إنى أقبض عليك بناء على طلب السيدة.

فولستاف : إليكم عنى أيها الأوغاد تتحوا، جرد سيفك يا باردولف واقطع رقبة

هذا الوغد بأمر منى، وألق بهذه المرأة الدنسة فى قناة صرف

(باردولف يجرد سيفه ويبدأ القتال على الأثر)

صاحبة الحانة : أيلقيني فى القناة، لألقينك أنت فيها، أتجرؤ على أن تفعل هذا،
أتجرؤ أيها الشقى الخبيث؟ وبك. هذه جريمة قتل نفس أيها الوغد
القاتل، أتجرؤ على قتل رجال الله ورجال الملك.. وبك أيها الشقى
القاتل السفاك.. ما أنت إلا قاتل سفاك دماء رجال ونساء.

٦١

فولستاف : نحهم عنى يا باردولف.

فانج : النجدة النجدة

(يتجمع بعض المارة)

صاحبة الحانة : أيها الرجال الطيبون.. أحضروا نجدة أو نجدتين (الغلام يهاجمها)
إنك لن تجرؤ.. إنك لن تجرؤ.. أفى إمكانك أن تجرؤ على قتلهم؟
أفى إمكانك هذا؟ قل أيها الشقى تكلم يا سفاك الدماء (تضربه
وتهرب)

٦٦

(فانج يقبض على فلستاف)

فولستاف : (متعقبا) اغرب أيها الخادم الحقير، تنح أيها الوغد المنتصب،
إليك عنى يا حامل العصا، لتكونن آخرتك على يدى.

(يدخل كبير القضاة ورجاله)

كبير القضاة : ماذا حدث.. الزموا الهدوء... يا هؤلاء جميعًا.

صاحبة الحانة ٧٢ : سيدى الطيب، أتوسل إليك أن تحنو على وأن تقف فى صفى.

كبير القضاة : إيه يا سير جون.. ماذا تفعل؟ أنتشاجر هنا وتضح وتضخب

أليق هذا بمكانتك وبوقتك هذا أو عملك؟

لقد كان حريًا بك أن تكون على الطريق تحت الخطى إلى يورك؟

.. ابتعد عنه يا رجل. لم تتعلق به هكذا؟

صاحبة الحانة : أواه يا سيدى العظيم الموقر.. إن أذنت لى بالحديث فأنا أرملة فقيرة من ايسست تشيب، وهذا الرجل مقبوض عليه بناء على شكاوى لانتقاضه حقى.

كبير القضاة : وكم يبلغ حقك هذا؟

صاحبة الحانة : إنه أكثر من بعض مالى.. إنه مالى كله يا سيدى، فقد أخذ كل ما جمعت وأتى على الأخضر واليابس فى بيتى، والتهم كل مؤنتى فى بطنه البدين هذا، ولا بد لى أن أسترد بعضها وإلا أخدمت أنفاسه وركبت رقبته كما يركب الكابوس الثقيل.

فولستاف : فى زعمى أننى أدنى إلى أن أركب المشنقة إذا وجدت مرتفعاً من الأرض أصعد به عليها.

٨٨

كبير القضاة : كيف حدث هذا يا سير جون؟ نبأ لك، أو يليق بالرجل ذى الميول الطيبة أن يجلب على نفسه هذه العاصفة من السخط؟ ألا تشعر بالخزى يا رجل حين تضطر أرملة فقيرة أن تركب هذا المركب الصعب لكى تتقاضى حقاً لها عليك؟

فولستاف : ما هى جملة المبلغ الذى أنا مدين لك به؟

صاحبة الحانة : لو أنك كنت رجلاً شريفاً فبحق العذراء أنت مدين لى بنفسك وبالمال أيضاً: ألم تقسم لى وأنت جالس إلى المائدة المستديرة فى حجرة الدرفيل فى فندقى. وأنت تصطلى نار الفحم الذى تجلبه السفن، على الكأس المذهبة يوم الأربعاء من أسبوع الأحد الأغر حين شج الأمير رأسك لتشبيهك إياه بأحد المغنين فى وندسور، ألم تقسم لى وأنا أغسل جرحك أنك ستتزوجنى وتجعل منى السيدة زوجك، هل تستطيع أن تتكر هذا؟ ألم تحضر أثناء هذا الحديث المرأة الطيبة زوج الجزار لتستعير منى صباية من خل وسمتى الثرثرة وروت لنا أن لديها طبقاً شهياً من الجمبرى فسأل لعابك وأبديت رغبتك فى أن تأكل بعضاً منه، فقلت لك عندئذ أنه لا

يناسب الجروح الحديثة التي لم تتدمل بعد؟ وألم تقل لى عندما هبطت السلم إنك لا تود أن أرفع الكلفة بينى وبين هؤلاء النسوة الفقيرات لأنهن سيدعوننى بعد فترة قصيرة بسيدتي؟ وألم تقبلنى على أثر ذلك وتطلب إلى أن أقرضك ثلاثين شلناً؟ إنى أدعوك الآن أن تجيب عن كل هذا وأن تقسم على الكتاب المقدس أن تقول الحق؟ أنكر هذا يا رجل إن استطعت إلى الإنكار سبيلاً.

١١٦

: يا سيدى، هذه امرأة مسكينة ناقصة العقل، إنها تهذى فى كل مكان تذهب إليه وتقول على رعوس الأشهاد إن ابنها الأكبر يشبهك تمام الشبة وتدعى أنك أبوه. فقد كانت هذه المرأة فى سعة من الرزق، ولكنها فقدت مالها. والحق يقال أن الفقر قد ذهب بعقلها. أما هؤلاء البلهاء من رجال الضبط فإنى أرجو أن تتيلنى حق منهم.

١٢٢

: يا سير جون.. يا سيدى جون إنى خبير بأساليبك التي تقلب بها الحق باطلا، وأكد لك أن لا هذا التظاهر بالعزة والكرامة ولا هذا السيل من الكلمات التي تتدفق من لسانك فى صلف واعتداد يفوق كل وصف، يمكن أن يحول بينى وبين أن أقر العدل فى هذه المسألة. فأنا أرى أنك قد احتلت على هذه المرأة السهلة القياد وسخرتها لخدمة أغراضك بنفسها ومالها.

صاحبة الحانة

هذا صحيح وأيم الحق يا سيدى.

١٣٢ كبير القضاة

: أرجو أن تلزمى الصمت. اسمع يا سير جون، أد لهذه المرأة دينها الذى اقترضته منها وعوضها عما ألحقته بها من أضرار أد الدين نقدًا صحيحًا واستغفر عن الإضرار بتوبة نصوح.

كبير القضاة

: سيدى اللورد، إنى لن أحتمل هذا التعنيف صامتًا، بل لا بد لى من رد، إنك تسمى يا سيدى الاعتزاز الشريف بالنفس صلفًا ووقاحة، فإذا ما استكان الإنسان ولزم الصمت قيل عنه أنه رجل عفيف صادق. لا يا سيدى، ما هكذا يكون القول.. إنى مع

فولستاف

الخشوع والاحترام اللاتقنين بشخصك أقول إنى لا أطلب مجاملة أو محاباة. وإنما أطلب تخليصى من قبضة هؤلاء الحراس لأنى أقوم بمهمة عاجلة فى خدمة الملك.

كبير القضاة : إنك تتكلم كأنما المهمة التى كلفك الملك إياها تبيح لك أن ترتكب الأخطاء. تصرف فى الموقف يا رجل بما تمليه عليك سمعتك ومكانتك وأوف هذه المرأة المسكينة حقوقها.

فولستاف : تعالى إلى يا صاحبة الحانة..

(ينتحي بها ناحية)

(يدخل السيد جور ومعه رسالة)

كبير القضاة : والآن أيها السيد جور.. ما الأنباء؟

حور : إن الملك يا سيدى والأمير هنرى أمير ويلز على الأبواب أما بقية الأنباء فهذه الرسائل كفيلة بإيضاحها.

(يقرأ كبير القضاء الرسالة وهو ممتعض فى أثناء قراءتها)

١٥٢ فولستاف : (جانبا إلى صاحبة الحانة) أعدك بشرفى وأنا السيد الشريف

صاحبة الحانة : لعمرى لقد قلت لى هذا من قبل.

فولستاف : أعدك وأنا الرجل الشريف. لا تتحدثى فى هذا الأمر بعد.

صاحبة الحانة : يحق هذه الأرض الشريفة التى أقف عليها أن كلامك هذا سيضطرنى إلى أن أرتهن صحافى ومعلقاتى التى أزين بها حجرة مائدتى.

فولستاف : دعك من الصحاف.. والأكواب. الأكواب هى الأوعية الوحيدة

المفضلة للشراب، أما المعلقات فصورة قصة مضحكة أو صورة قصة طفل من الإنجيل، أو صورة مقلدة المنظر ألمانى لصيد الغزال خير ألف مرة من ستائر حجرة النوم أو معلقات الحوائط التى عشنش عليها الذباب.. اجعلى المبلغ عشرة جنيهات إن

استطعت.. هيا اهدئى فتا لله لولا هذه الحدة التى تنتابك أحيانًا لما
فضلتك امرأة فى إنجلترا. اذهبى واغسلى وجهك، واسحبى شكواك،
اهدئى فما ينبغى أن تعاملينى بهذه الغلظة، ألا تعرفينى؟ وما من
شك فى أنك قد دفعت إلى هذا العمل دفعًا.

١٦٨

صاحبة الحانة : أرجوك يا سير جون أن تكتفى بعشرين نبيلًا^(٣١)، فوأيم الحق إنى
لأكره أن أراهن صحافى والله يتولانى بعد ذلك.

١٧٢

فولستاف : خل عنك يا سيدتى.. فسأدبر الحصول على المال من جهة أخرى
ولكنك ستظلين طول عمرك حمقاء.

صاحبة الحانة : اسمع ستحصل على المبلغ ولو اضطررت إلى رهن رداى.. وآمل
أن تأتى للعشاء وأن ترد لى جميع مالى مرة واحدة.

١٧٧

فولستاف : إذا عشت.. (إلى باردولف) اذهب معها، صاحبها، لازمها حتى
تحصل على القرض.

صاحبة الحانة : ألا تلقى دول ترشيت على العشاء؟

فولستاف : حسبنا كلامًا، دعيها تحضر.

(تخرج صاحبة الحانة وباردولف ومن ورائهما رجال الضبط
والغلام)

كبير القضاة : (إلى جور) لقد سمعت أنباء ليست طيبة.

فولستاف : وما هى الأنباء يا سيدى؟

كبير القضاة : (إلى جور) وأين قضى الملك ليلة أمس؟

جور : قضاها فى باسنج ستوك يا سيدى.

(٣١) النبيل عملة إنجليزية تساوى ٨ بنس و ٦ شلن.

- فولستاف : أرجو أن يكون كل شيء على ما يرام يا سيدى..
- ترى ما الأنباء يا سيدى؟
- كبير القضاة : (إلى جور) وهل عادت كل قواته مع؟
- جور : لا بل ذهب ألف وخمسمائة راجل وخمسمائة فارس لمعاونة لورد لانكستر فى حملته على نورثمبرلند وكبير الأساقفة.
- فولستاف : هل عاد الملك من ويلز يا سيدى النبيل؟
- كبير القضاة : (إلى جور) ستتلقى خطابات منى فوراً، فتعال معى واصحبنى إليها السيد الطيب جور.
- (يهمان بالذهاب)
- فولستاف : سيدى!
- كبير القضاة : (محتدا) ماذا تريد؟
- فولستاف : (إلى جوار) أيها السيد جور أسمح لى أن أدعوك لتناول العشاء معى؟
- جور : إن على أن أتبع سيدى الطيب هذا انتظاراً لأوامره، شكراً لك يا سير جون الطيب
- كبير القضاة : يا سير جون إنك تطيل التسكع هنا أكثر مما ينبغي، مع أن مهمتك تقتضيك أن تجند الجنود من كل البلاد التى تمر بها. وأنت فى طريقك للانضمام إلى الأمير جون.
- فولستاف : (إلى جور) هل لك فى تناول العشاء معى أيها السيد جور؟
- كبير القضاة : عن أى سيد أحمق أخذت هذا الأدب يا سير جون
- فولستاف : أيها السيد جور.. إذا كان سلوكى غير لائق فتا لله إن من علمنى هذا الأدب لأحمق. (إلى كبير القضاة) يا سيدى هذا هو أسلوب

المبارزة وأدبها الصحيح. دقة بدقة.. ثم يفترق الندان على وفاق.

كبير القضاة : فليخفف الله عنك ويرشدك.. فما أنت إلا أحمق كبير.

(يخرجون)

obeyikandali.com

المنظر الثانى

لندن. حجرة فى بيت الأمير

(يدخل الأمير هنرى وبوان وقد وصلا أخيراً من ويلز)

: (وهو يلقي بنفسه على مقعد) أشهد الله أننى فى غاية الإعياء

الأمير

: أبلغ الأمر هذا الحد؟ لقد كنت أحسب أن الإعياء لا يجرأ على أن يرقى لمن كان مثلك من ذوى المراكز السامية.

بوان

٤

: فى الحق قد أصابنى الإعياء، وإن كان فى الاعتراف به ما يشين عظمتى ويخجلنى، ألا يبدو مهيناً بى أن تشتهى نفسى زجاجة صغيرة من الجعة؟

الأمير

إن نزعات الأمير ينبغي أن لا تنزل به إلى اشتها مثل هذه الأشياء الدنية.

بوان

إن شهيتى فيما يبدو ليست نبيلة كمحتدي. ففى الحق أن نفسى لتشتهى الجمعة الصغيرة، وإنى والحق لأذكر الآن تلك الجعة وهى ذلك الشئ التافه، ولست أشك فى أن هذه الأشياء الحقيمة لتبغضنى فى مكانتى السامية، وما أشد ما يصيبنى من العار إذ تبذلت إلى حد أن أذكر اسمك، بل وإلى أن أتعرف على وجهك فى الغد حين تلقانى وأن أعنى بعدد الجوارب الحريرية التى تملكها - أى هذا الزوج الذى تلبسه الآن والزوج الآخر الذى كان قرمزى اللون وذهب طول الاستعمال بلونه - وأن أعى فى ذاكرتى مجموعة قمصانك التى لا تتجاوز واحداً للاستعمال وآخر يستبدل به بعد. ولكن هذا الأمر يعرفه خيراً منى حارس ملعب التنس، فأنت لا تهجر أرض الملعب ولا تكف عن تسلية نفسك بالكرة والمضرب ما دام فى جعبتك قميص تستطيع أن تظهر به هناك، وهذا ما لم تفعله منذ زمن طويل لأنك اضطررت اضطراراً إلى أن تتخذ من قميصك الثانى ملابس لأطفالك غير الشرعيين. وهكذا

الأمير

أنت شهواتك الدنية على فضلة قميصك كما أنت الأراضى
الواطنة على هولندا. والله وحده هو الذى يعلم هل هؤلاء الأطفال
غير الشرعيين الذين أوهنوا قواك سيرثون ملكوت السموات. ومع
ذلك فالقابلات يقلن دائماً إنه لا تثريب على هؤلاء الأطفال لأن
بهم يكثر النسل ولأنهم يزيدون الأعقاب قوة وعدداً.

: يا لسوء العاقبة. ابعد كل الأمجاد التى أتيت بها تذهب روعة ما
صنعت بهذا القول الغث؟ هلا قلت لى أيها الفتى كم من الأمراء
الأمجاد ذوى الفتوة يلغون لغوك هذا، بينما آباؤهم يئنون تحت
عبء المرض كما يئن أبوك الآن؟

بوان

٣٦

: بوان.. أ أفضى إليك بشيء واحد أطويه فى دخيلة نفسى.

الأمير

: نعم وأيم الحق.. على أن تقول شيئاً طيباً عظيماً.

بوان

: هو شيء يطيب سماعه لذوى الأفهام الذين لا يبذونك نشأة
ومحتداً.

الأمير

٤١

: هات ما عندك.. فأنا مهياً لتلقى أية صدمة ولن يهزنى هذا
الشيء الوحيد الذى ستلقى به إلى.

بوان

: لعمرى قد يكون من غير اللائق بى أن أكون حزين النفس الآن
لأن أبى مريض ولكن رغم هذا دعنى أسر إليك بوصفك رجلاً
اتخذته صديقاً لأنى لا أجد خيراً منه. إنى محزون لمرضه محزون
حقاً.

الأمير

٤٨

: ما أثقله من عبء أن تحزن لمرض أبيك.

بوان

: تا لله إنك لتأخذنى كأنما وهبت نفسى للشيطان وسجلت اسمى فى
كتابه كما فعلت أنت وفلستاف فأصبحتما بلا شعور ولا وجدان
مغرقين فى النذالة إلى أقصى حد.

الأمير

لتكن النهاية هى المحك الذى يكشف عن معدن الرجال. ومع ذلك
فدعنى أفضى إليك أن قلبى يذوب حسرة ويتقطع لأن أبى مريض

وأن مصاحبتى الأشرار من أمثالك قد جعلتني بالطبع غليظ المظهر لا أكاد أظهر ما أخفى من حزن دفين.

بوان

: وما سبب هذه الشكوى؟

الأمير

: ترى ماذا تظن بى لو أنى بكيت؟

٦١ بوان

: لا أظنك إلا أميراً مسرفاً فى النفاق.

الأمير

: وهذا ما سيظنه كل إنسان، فما أنت إلا رجل محظوظ حين توافق خواطرك خواطر الناس جميعاً، وما من إنسان أقدر على أن يحذو فى تفكيره حذو تفكير الناس منك يا بوان، فإنك تسير على دربهم ولا ريب أن كل إنسان سيعتنى بالنفاق والرياء، ولكن هلا قلت لى ما الذى دعاك أيها القاضى الفاضل أن تحكم على مسلكى هذا الحكم.

بوان

: لأنك غارق فى الملذات. ولأنك شديد الارتباط بفلسطين لا تكاد تفارقه.

٦٩

الأمير

: وشديد الصلة بك أيضاً.

بوان

: تالله أنى رجل حسن السمعة طيب الأحداث، ولقد سمعت ثناء الناس على بأذنى هاتين، وأسوأ ما يقال عنى أنى رجل معسر لأنى الأخ الأصغر وأنى رجل قوى البنية جبار وهما صفتان أفر أن لا حيلة لى فيهما. يا لله هذا هو باردولف قادم.

٧٦

(يدخل باردولف ومعه الغلام فى ثياب غريبة)

الأمير

: ومعه الغلام الذى أعطيته فلسطين.. لقد كان حين أعطيته إياه لا يزال بشراً سوياً ومسيحياً، ولكن انظر كيف مسخه هذا الوغد البدين قرداً.

٨٠ باردولف

: حفظ الله عظمتك.

الأمير

: وحفظك أنت أيضاً.. أى باردولف النبيل!

باردولف : رويك أيها الحمار الطيب.. أيها الغر الخجول ألا بد لك من أن
تعلوك حمرة الخجل؟ وفيما تشتد حمرة خجلك الآن لقد صرت أقرب
إلى امرأة خجول منك إلى تابع سيد مقدم من المحاربين الأفذاذ
كسيدك هذا؟ أئمة ما يدعو إلى أن تسيل حمرة الشراب من قنينة
مغلقة هكذا؟

٨٦

الغلام : لقد ناداني يا سيدي منذ لحظة من كوة الحانة الحمراء حيث كان
يحتسى زجاجة من نبيذ ولم أستطع أن أميز بين وجهه الأحمر
وبين زجاج النافذة الأحمر، ولكن أخيرًا وقعت على عينيه وقد
بدتا وكأنما تطلان من ثقبين هما في ثوب صاحبة الحانة الأحمر
الجديد.

٩٢

الأمير : ألا ترى أن الغلام قد انطلق لسانه واستفاد من صحبة فلستاف؟
باردولف : إليك عنى أيها الوغد الصغير... أيها الأرنب المذعور الذى يشب
على رجليه الخلفيتين.

الغلام ٩٦ : إليك عنى يا حلم الثيا (٣٢) اللعين.. إليك عنى.

الأمير : أفدنا يا غلام أى حلم هذا؟

الغلام : بحق العذراء يا سيدي، لقد حلمت الثيا أنها ولدت شعلة من نار،
ولذلك أسميته حلم الثيا.

١٠٠

الأمير : هذا تأويل تستحق عليه نصف جنيه يا غلام..

وها هو ذا (يعطيه نقودا)

بوان : أواه ليت هذه الزهرة الطيبة تعيش بمنجاة من الآفات، وها هو ذا

(٣٢) حلم الثيا: رأت هيبكا فى منامها قبل أن تلد باريس إنها ولدت شعلة نار ولما ولدت مليجر قيل لها أنه
سيظل حيًا ما دامت الشعلة لم تحترق. وسواء كان شكسبير هو الذى خلط بين الأسطورتين أو لم يكن فإن
صدور هذا القول من الغلام يدل على أنه أوتى شيئًا من العلم بالأدب القديم.

نصف ثلن يصونك ويرد عنك المكروه.

باردولف : لئن لم تؤد به صحبتكم إلى المشنقة، فإن هذه المشنقة ستحرم من نصيبها المشروع الحق.

الأمير : وكيف حال سيدك يا باردولف؟

باردولف : بخير يا سيدى. لقد سمع بمقدم عظمتك إلى المدينة وهاك خطاباً منه.

(يفض الأمير الرسالة ويقرأ)

بوان : يا له من خطاب يقدم بمزيد من الاحترام. وكيف حال سيدك المكتنز لحماً؟

باردولف : إنه سليم الجسم معاف يا سيدى؟

بوان : لعمرى إن شطره الخالد فى حاجة إلى طبيب، ومع ذلك فهو لا يتحرك لخطايه، وروحه إن تكن مثقلة بالخطايا مريضة فهي كعهدها لا تكف عن الشرور أبداً ولن تموت.

الأمير : إنى لا أجزى لهذا السرطان الخبيث أن يألبنى كما يألبنى كلبى، وهو يستغل مركزه منى إلى أقصى حد..

انظر كيف يكتب إلى!

(يظهر عنوان الرسالة)

بوان : (يقرأ) "من جون فلستاف الفارس" إنه يصر على أن يعرف كل إنسان أنه فارس، لأنه لا يتحدث عن نفسه فى أية مناسبة إلا أقحم هذا اللقب فى حديثه، مثله فى ذلك مثل الأقربين إلى الملك فإنهم إذا ما وخزوا أصبعهم نادوا "إن بعض دم الملك قد أريق". فإذا سألهم سائل متغابياً: "كيف يحدث هذا؟" أسرعوا بانتهاز الفرصة إسراع المستدين إلى تحية من يتوسم فيه الاستعداد لإقراضه، وقالوا على الفور "نحن أبناء عمومة الملك الفقراء يا

سیدی".

الأمیر : لا ریب فی ذلك فهم یصرون علی أن یثبتوا صلتهم بنا ولو رجعوا
القرون القهقری إلى یافث (۳۳). ما علینا من هذا، ولنقرأ الرسالة
(یقرأ) "من سیر جون فلستاف الفارس إلى ابن الملك وأقرب الناس
إلی أبیه، هاری امیر ویلز، أهدی تحیاتی"

بوان : ویحه.. هذه شهادة.

الأمیر : صه (یقرأ) "سأقلد الرومان الأشراف فی الإیجاز"

بوان : لا مشاحة أنه یعنی قصر النفس، إن أنفاسه ضاقت.

الأمیر : (یقرأ) "أحبیک وأتمنی لك أطیب التمنیات وأقدم لك ثنائی العاطر
وأستودعك الله. لا تسرف فی اللفة مع بوان، فإنه یسئ تقدیر
مکرماتك إلى أبعد حد حتی لیقسم أنك ستتزوج أخته نل. استغفر
لخطایاک كما یجب حین لا تجد شیئاً أفضل تشغل به نفسك...
ووداعاً. المخلص لك إذا أحسنت معاملته. و غیر المخلص لك إذا
أسأت معاملته. جاک فلستاف كما یلقبني خلصائی، وجون عند
إخوتی وأخواتی وسیر جون فلستاف كما تعرفنی أوربا کلها."

بوان ۱۴۹ : سأغمر هذا الخطاب فی النبیز یا مولای وأطعمه إياه.

الأمیر : معنی هذا أنك ستجعله یبتلع کلماته عشرين مرة. ولكن قل لی یا
ند، ألتحدث عنی بهذه الطريقة؟ وهل صحیح أنك قلت أنى
سأتزوج أختك لا محالة؟

بوان : أرجو ألا یصیب الفتاة حظ أسوأ من هذا، ولكنى لم أقل ذلك أبداً.

الأمیر : إننا نمضى حیاتنا فی العبث، والملائكة من فوقنا تشرف علینا من
علیائها ساخرة من فعالنا (إلی باردولف) هل سیدك هنا فی لندن؟

باردولف : أجل يا سيدى.
الأمير : وأين تناول عشاءه؟ هل تناول الحلوف العجوز طعامه فى
حظيرته المعتادة؟ ١٦٠

باردولف : أجل فى مكانه القديم يا سيدى فى ابست شب.
الأمير : وفى صحبة من؟
باردولف : فى صحبة من أهل المجون المنحليين من أصدقائه القدامى.

الأمير : وهل تتعشى معه امرأة ما؟
باردولف : لا نساء إطلاقاً يا سيدى. اللهم إلا السيدة كويكى العجوز والسيدة دول
تيرشيت.

الأمير ١٦ : وأياً تكون هذه الداعرة؟
باردولف : أنها امرأة شريفة يا مولاي وتمت بصلة القرابة إلى سيدى.

الأمير : لعلها قرابة من طراز قرابة أبقار القرية لثور المدينة.
١٧٣ ألا نسقط عليهم يا ند فى موعد العشاء؟

بوان : أنا ألزم لك من ظلك وسأتبعك حيثما تذهب.

الأمير : أسمع يا باردولف.. وأنت يا غلام.. لا تفوها بكلمة عن وجودى فى
المدينة لسيد كما.. وها كما ثمن هذا السكوت.

(يعطيها نقودا)

باردولف ١٧٩ : لن أنطق ببنت شفة يا سيدى فليس لى لسان.

الغلام : أما أنا يا سيدى فسأصون لسانى.

الأمير : اذهبا إذن رافقتكما السلامة (يخرج باردولف والغلام)

لا بد أن ترشيت هذه عاهر.

بوان : أؤكد لك يا سيدى أنها امرأة متبذلة مطروقة لكل إنسان كالطريق بين لندن وسانت أولينز.

١٨٥

الأمير : كيف السبيل إلى أن نرى فلستاف منطلقاً على سجيته دون تحفظ وأن نراقبه الليلة دون أن يرانا؟

١٨٨

بوان : فلننتكر فى قميصين من الجلد وميادع كالسقاة ونقوم بالخدمة على مائدته.

١٩١

الأمير : أنحط من إله إلى ثور؟ يا له من مسخ ثقيل! لقد فعلها جوبتر من قبل، وأنا سأنزل من ابن ملك إلى ساق، فيا له من تحول حقير هذا الذى سأفعله، ولكن الغاية الحمقاء تبرر الوسيلة الحمقاء، فهيا اتبعنى يا ند.

(يخرجان)

obeikandi.com

المنظر الثالث

وركورث. أمام القلعة

(يدخل نورثمبرلند والسيدة وزوجه والسيدة برسى)

نورثمبرلند : أتوسل إليك يا زوجى العزيزة وأنت يا ابنتى الكريمة، ألا تحاولا الوقوف فى وجهى ومنعنى من السير فى هذا الطريق الوعر.

وأتوسل إليكما ألا تسائرا الزمان فى عبوسه
فتسببا مثله المتاعب لبرسى (٣٤).

٥ الزوجة : لقد سلمت الأمور للمقادير وكففت عن الكلام فافعل ما بدا لك ولتكن حكمتك رائدك.

نورثمبرلند : وا أسفاه أيتها الزوجة الحبيبة.. إن شرفى فى الميزان ولا سبيل إلى أن أسترده إلا بالذهاب إلى الحرب.

السيدة برسى : أواه.. ومع ذلك فأستحلفك بالله ألا تذهب إلى هذه الحرب!

١٠ لقد أتى عليك يا أبتاه وقت حنثت فيه بعهدك

حين كان الوفاء تدعوك إليه أسباب أقوى كثيرًا من أسباب اليوم كان ذلك يا أبتاه حين كان فلذة كبذك برسى، وشغاف قلبى هارى المحبوب يصوب النظرة تلو النظرة إلى الشمال مستطلعًا مقدم أبيه بقواته،

ولكن نظراته المتصلة ارتدت خائبة.

فمن ذا الذى أغراك يومئذ بالتخلف والبقاء فى عقر دارك؟ لقد ضاع بسبب قعودك يومئذ شرفان شرفك وشرف ابنك فأما شرفك فأسأل الله إله السماء أن يرده عليك أبيض ناصعًا.

١٥ أما شرفه فقد كان بريقه يخطف الأبصار من فوق رأسه كما تلمع

أضواء الشمس فى حلقة السماء.

وعلى هدى نوره تحرك فرسان إنجلترا كلهم

ومضوا يملأون الكون بفعالهم النبيلة.

٢٠

لقد كان حقًا المرأة التى يرى فيها شباب النبلاء أنفسهم والمنوال الذى ينسجون على مثاله.

وما كان أحدهم ليرى نفسه ذا ساقين إن لم يقلد مشيته، وسرعة عباراته وهى من عيوبه الطبيعية أصبحت الطراز المحبب لذوى الشجاعة من الشبان وكان أهل الرزانة فى الحديث يخرجون عن هذه الصفة النبيلة ويزدرونها

٢٥

ويتصنعون طريقته ليبدووا على مثاله.

وهكذا كان برسى المثل الأعلى الذى يسعى كل منهم لبلوغه. كان مثلاً فى حديثه وفى مشيته

وفى طعامه وفى هواه

وفى مسلكه العسكرى وفى نزواته.

كان امثل - والمرأة والصورة والكتاب والمدرسة - الذى شكل الآخرين ووجههم. فيا له من معجزة بين الرجال!

٣٠

هذا المخلوق المثالى الذى لا يدانيه إنسان قد تخلّيت أنت عنه

وتركته بلا عون وتركته وحيداً

يلقى إله الحرب الرهيب فى صراع غير متكافئ

وخليته يخوض غمار معركة

٣٥

ليس فيها من عدد الدفاع إلا رنين اسم هوتسبر،

خلوت به وحرمته مساعدتك وعونك،

فحذار، ثم حذار أن تسئ إلى روحه

باعتماد أن دوافع الشرف تملى عليك أن تسارع إلى معاونة الآخرين

أكثر مما كانت تملى عليك معاونته. ذرهم وشأنهم..

فإن الفريق وكبير الأساقفة قويان بنفسيهما
ولو كان لحبيبي هاري نصف ما لهما من قوات وجند
لكنت اليوم أشبعه عناقًا وتقبيلا
وأنا أتحدث عن موت الأمير مونموث.

٤٥ نورث : تبًا لك ولقلبك،

إنك لتسليبيني يا بنيتي الجميلة شجاعتى وعزمتى
بإثارتك هذه الأخطاء القديمة.
ولكنى مع ذلك يجب أن أذهب إلى الحرب وأن ألقى الخطر وجهًا
لوجه
وإلا سعى الخطر إلى فى مكان آخر
وأخذنى على غرة فى غير استعداد له.

٥٠ الزوجة : بل إلى أسكرتلندا.

حتى يجرب النبلاء والعامّة المسلحون
قواهم فى المعركة ضد الملك بعض التجربة.

السيدة برسى : فإذا ما أحرزوا تقدّمًا وظهرت قواتهم على الملك

فسارع بالانضمام إليهم وشد أزهم وزدهم قوة على قوة ولكننا
نستحلفك بالحب الذى نكنه لك
أن تدعهم وحدهم أول الأمر ليجربوا قواهم، لقد فعل ذلك من قبل ابنك
فق تركته بلا عون وخليته وحده يجرب قواته فى المعركة فكان فى هذا
هلاكه وترملى.

ولن تطول حياتى بعده

وقتًا يسمح لى أن أروى ذكراه بدمعى الهتون

حتى تنمو وتسمق وتطاول عنان السماء

وتبقى ذكرى خالدة حية لزوجى النبيل.

نورث : فقد بلغ السيل الزبى فى رأسى وشل تفكير عن الحركة ولم أعد أدرى
أى سبيل أسلك.

وبودى لو أذهب للقاء كبير الأساقفة،

ولكن آلاف الأسباب تمنعنى وتمسك بى فى مكانى.

لأحسمن أمرى وأذهبن إلى اسكتلندة!

حيث أبقى إلى أن تحين الفرصة ويدعونى داعيها للعمل.

(يخرجون)

المنظر الرابع

لندن

(حجرة خاصة فى حانة رأس الحلوف فى إيست تشيب صفت فيها مائدة وكراسى وبها أبواب ثلاثة واحد إلى الخلف وثنان إلى اليمين وثالث إلى اليسار. فرانسس يعد المائدة فيضع عليها النبيذ والفاكهة. يدخل ساق آخر يحمل طبقاً من التفاح).

فرانسس : يا للشيطان.. ما هذا الذى جئت به إلى هنا؟ تفاح قديم متغضن؟
ألا تعلم أن سير جون لا يطيق منظر هذا التفاح المتغضن
المسمى تفاح جون.

الساق الثانى : تالله لقد قلت الحق، فقد حدث ذات مرة أن وضع الأمير أمامه
طبقاً من تفاح جون المتغضن ثم قال له: إن أماننا الآن خمسة
آخرين كلهم سير جون، ورفع قبعته فى تحية ساخرة وهو يقول:
"سأستئذن الآن من هؤلاء الفرسان الستة ذوى الوجوه الذابلة
المستديرة)، وقد أثار هذا القول غضب سير جون الشديد ولكنه
تناساه الآن.

فرانسس : مد الغطاء إذن على المائدة ثم ضع التفاح عليها وحاول إن
استطعت أن تحضر استطعت أن تحضر ضوضاء سنيك (٣٥) فإن
السيدة تيرشيت تؤثر أن تستمع إلى بعض الموسيقى.

الساق الثانى : هيا أسرع فإن الحجرة التى يتناولون فيها طعامهم شديدة الحرارة
وهم سيأتون على الفور.

فرانسس : اسمع يا غلام.. سيحضر الأمير إلى هنا ومعه السيد بوان حالا
وسيتكران فى لباسنا وميادعنا ويجب أن لا يعلم سير جون
بمقدمهما وقد أنبأنا بهذا باردولف.

(يدخل فلستاف من اليسار وهو يغنى ثم يخرج على الفور)

الساق الثانى

(وهو يلاحقه بنظراته) تالله لتكونن تسلية رائعة،

وما أجملها من خطة!

فرانسس

سأذهب لأبحث عن سنيك، ولعلى أوفق لإحضاره.

(يخرج وتدخل صاحبة الحانة والسيدة دول تيرشيت من الحجرة
التي إلى اليسار)

صاحبة الحانة:

إنى لأراك وأيم الحق يا عزيزتى غاية فى قوة البنية سليمة الجسم
وأحس بنبضات قلبك تدق بانتظام كما يهوى الفؤاد ووجهك أحمر
كالوردة، إن كل شىء فيك والحق أقول على غاية ما يرام، ولكن
يبدو أنك وأيم الحق قد أسرفت على نفسك فى شرب نبيذ الكنارى،
وهو نبيذ نفاذ قوى التأثير يذهب بعقل شاربه ويملاً دمه بالأبخرة
ويجعل الإنسان شديد الاضطراب سريع الاستثارة قبل أن يدرك
شدة أثره. فكيف حالك الآن؟

٣٢

دول : فى (إعياء) أحسن مما كنت..!

(يأخذها الفواق - تجلسان)

لقد أحسنت القول فإن القلب الطيب يساوى ثقله

ذهباً ولكن مهلاً فهذا هو سير جون قادم نحونا

(يعود فولستاف وهو يغنى)

فولستاف : "عندما جاء آرثر إلى القصر فى أول الأمر (إلى الساقى جانباً) -

اخذ الحانة - "وكان ملكاً عظيماً".

٣٨

(يخرج الثانى من اليمين) مرحى، أهذه أنت يا سيدة دول.

صاحبة الحانة : إنها تشكو أزمة وأيم الحق.

فولستاف : هكذا كل من على شاكلتها. يشكون الأزمة إذا خلت حياتهم من

الحركة والمغامرة.

- دول : يا لك من وغد قذر.. أهذا كل ما عندك من سلوى لى.
- ٤٤ فولستاف : إنك تسمنين الغزلان النحيلة يا سيدة دول.
- دول : أنا أخرج الغزلان البدينة. إنما يخرجهم النهم والعلل أما أنا فلا.
- فولستاف : إذا كان الطاهى يعيش على النهم فأنت تساعدن على
- ٥٠ ظهور العلل يا دول. إننا نأخذها منك يا دول، إننا نأخذها منك.. اعترفى بهذا سلمى به يا عزيزتى.
- دول : أى نعم وحق العذراء إنكم تأخذون حلينا وجواهرنا تخطفونها خطأ.
- فولستاف : "قلائدك وعقودك اللؤلؤية.. ماساتك وجواهرك". فإن يأتيها مقتحم
- ٥٦ جسور فسيرتد عنها وهو يجزر ساقيه. وإنك لتعرفين ذلك. وليخرجن، من حماتها وقد انثنت حرته وليحتملن تضמיד بثورة وقروحه بشجاعة وليعرضن نفسه للخطر فوق فوهات المدافع النارية فى جلد وشجاعة.
- دول : اشنق نفسك أيها الثعبان الموجل فى الوحل. اشنق نفسك وإلى حيث ألقى.
- صاحبة الحانة : قسماً إن هذا دأبكما من قديم.. لا تتخلفان عنه. إذا اجتمعتما فلن
- ٦٥ تلبثا أن تختلفا وتتشاحنا وكلاكما والحق يقال حاد الطبع لا تستويان فى قدر، ولا يستطيع أحكما أن يحتمل نقائص أخيه أو يسكت عنها. فيا لسوء الطالع، (إلى دول) لا بد لأحكما أن يصبر ويحتمل الآخر، ومن واجبك أنت أن تحتلى فأنت الجانب الضعيف أو الإناء الخالى كما يقولون.
- دول : وهل يستطيع إناء خال ضعيف أن يضم هذا البرميل الضخم الممتلىء؟ إنه ممتلىء بحمولة تزيد على حمل سفينة من نبيذ بورديو، إنك لن ترى فى حياتك سفينة قد شحنت من الداخل بمثل هذا الحمل الضخم، ومع ذلك فتعال يا جاك نعش صديقين فأنت ذاهب

إلى الحرب وما أدرى هل أراك بعد أو لا. وما يدرى ما يكون.

(يدخل فرانسس)

فرانسس : سيدي إن الملازم بيستول موجود فى الدور الأسفل ويود أن يتحدث معك.

دول : فليشبق هذا الوغد العرييد. لا تأذن له بالمجىء إلى هنا إنه أسلط الأوغاد لسانًا فى إنجلترا.

٧

صاحبة الحانة : إذا كان ماجنًا عرييدًا فلا تأذن له بالقدوم إلى هنا، لا تأذن له فإننى وأيم الحق أريد أن أعيش محترمة وسط جيراني، أريد أن أحافظ على مظهرى بينهم ولا أسئ إليهم بالسماح لأمثال هذا العرييد بالدخول فى بيتى، إننى امرأة طيبة السمعة محترمة عند خير جيراني، ولا أريد أن أخسر سمعتى. أغلق الباب فلن أسمح للمعريدين أن يدخلوا بيتى.. أغلق الباب من فضلك.

٨٦ فولستاف : اسمعى يا صاحبة الحانة.

صاحبة الحانة : هدى روعك يا سير جون. وكن على ثقة إنى لن اسمح للمعريدين أن يدخلوا بيتى أبدًا.

فولستاف : ألم تسمعى ما قيل أنه أحد ضباطى.

صاحبة الحانة : دعك من هذا.. دعك من هذا فلا فائدة من وراء تأكيدك أنه أحد ضباطك. إن المعريدين لا يسمح لهم بدخول بيتى مهما يكن الأمر. لقد استدعانى السيد تسك^(٣٦) ممثل القانون فى يوم مضى وقال لى، وكان ذلك غير بعيد بل قبل يوم الأربعاء الماضى. قال لى بحضور السيد "أبكم" واعظنا: "أيتها الجارة كويكلى يجب أن تستقبلى فى بيتك الشرفاء حسننى السيرة. لقد جلبت على نفسك

٩٥

سوء السمعة وجعلت الناس يلوكون اسمك بألسنتهم. وقد أدركت الآن السر فى قوله هذا. عرفت إن ذلك سببه سماحى لهؤلاء المعريدين من أمثال ضابطك بالدخول فى بيتى. فقد قال لى إنك امرأة شريفة والناس يحسنون الظن بك، لذلك يجب أن تعنى باختيار الذين يترددون عليك. ثم قال ولا تستقبلى فى بيتك أبدًا المعريدين. ولذلك لن أسمح بدخول المعريدين إلى بيتى إطلاقًا ولعلك تدهش إذ تسمع ما قال لى.. لا لن أسمح للمعريدين أن يدخلوا إلى هنا أبدًا.

١٠٤

فولستاف إنه ليس عريبًا يا صاحبة الحانة، إنه شاطر خفيف اليد فى الزهر والورق. تستطيعين أن تربتى عليه كما تربتين على كلب أليف دون أن يلحقك أذى وأيم الحق إنه لن يعريد مطلقًا مع دجاجة هلوك إذا أحسن منها نفورًا أو غضبًا. ناداه أيها الساقى.

١٠٩

(يخرج الساقى فرانسس)

أقول إنه شاطر مخادع من رجال الخزنة إنى لن أ منع الرجال الشرفاء من دخول بيتى ولن أ منع المخادعين ولكن أكره العريدة وأمقتها وتتقبض نفسى بمجرد ذكرها انظروا أيها السادة كيف أرتعد إن جسمى ينتفض غضبًا.

صاحبة الحانة:

١١٤

أجل إنك تنتفضين يا صاحبة الحانة.

دول

أحق هذا؟ إنى أنتفض وأهتز وأيم الحق كأنى ورقة فى مهب الريح، فأنا لا أطيق العريدة ولا المعريدين.

صاحبة الحانة

(يدخل بستول وباردولف والغلام)

١١٩ بستول : حفظك الله يا سير جون..

فولستاف : مرحبًا بك أيها الملازم بستول. هأنذا أشرب كأسًا نخبك (يشرب)، وهأنذا أملأ لك كأسًا فأفرغه في صحة سيدتى صاحبة الحانة.

(يملأ الكأس ويقدمها له)

١٢٤ بستول : سأفرغ فيها قذيفتين يا سير جون.

فولستاف : إنها حامل يا سيدى ومن ثم فلن تؤثر فيها قذائفك.

صاحبة الحانة : رويدك فلن أشرب سلافاً ولا نبيذاً، لن أشرب إلا ما أجد فيه الخير لنفسى، لن أحمل نفسى على ما يسر الآخرين، فنفسى أولاً.

يستول : إذن فلأفرغ كأسى لديك يا سيدة دورثي.

(يرفع الكأس إلى فمه)

دول : تفرغ كأسك لى؟ أنت! إنى أحتقرك أيها الوضع أنت الذى تقول هذا أيها الوغد الحقير، المفلس، الغشاش، الذى لا يملك قميصاً؟ اغرب عنى أيها الشقى القذر. أنا لست لأمثالك إنى فى مستوى سيدك.

بستول : إنى أعرفك يا سيدة دورثي حق المعرفة.

دول : اغرب عن وجهى أيها الوغد النشال. إليك عنى أيها اللص القذر، بحق هذا النبيذ لأضرين وجهك العفن بمديتى إذا سولت لك نفسك أن تعبث بى أو تتخذنى مادة لمجونك ابتعد أيها الوغد الدنيء المخادع الذى يتظاهر بالجنديّة لمجرد حمله سلاحاً زائفاً من منذ متى يا سيدى خلعت على نفسك هذه الجنديّة وزينت بكثفك بهذه الأريطة. ألا قلت لى بحق نور السماوات منذ متى اصطنعت هذا المظهر؟ يا لك من ضابط هزيل.

بستول : لا عشت إن لم أفسد زينتك واقطع هذا العقد الذى تزينين به رقبتك جزاء لك على هذه القحة.

فولستاف : كفى يا بستول - ولا تزد، وما أريدك أن تقدم لى برهانًا على قوة انطلاقك أكثر من أن تنطلق من هنا، وتفرغ صحبتنا من وجودك.

صاحبة الحانة : لا. لا تفعل شيئًا هنا أيها اليوزباشى الطيب بستول أيها اليوزباشى الكريم.

دول : يوزباشى! يا لك من مخادع كرية ملعون.. ألا تخجل من نفسك حين تدعى بما ليس لك، ألا تحس عارًا حين يدعوك يوزباشيًا آه.. لو أن اليوزباشية كانوا من رأيى، وأحسوا بما أذنبت فى حقهم، إذن لطردوك خارج هذه الحجرة، وانهالوا عليك بهراوتهم مؤدبين لعدوانك على ألقابهم قبل أن يكون لك حق فيها.

١٥٥

أتدعو نفسك يوزباشيًا أيها العبد الحقير؟ وبم بلغت هذه المرتبة؟ ألتجروك على قطع عقد غانية فى بيت من بيوت الخنا؟ أهو يوزباشى، إلى حيث ألفت أيها الشقى إنه يعيش على القراصية العفنة والفطير الجاف. أهذا يوزباشى.. يا للعار.. بحق نور السماوات إن هؤلاء الأوغاد سيبتذلون هذه الكلمة حتى تغدو كرية فى الأسماع ككلمة "المباشرة" التى كانت كلمة طيبة قبل أن يسيئوا استعمالها، ولذلك فإن من واجب من يحملون لقب اليوزباشى أن يعملوا على صيانتها.

١٦٠

باردولف : أتوسل إليك أيها الملازم الطيب أن تنزل من هنا.

١٦٥ فولستاف : ادن منى يا سيدة دول.. واستمعى لما أقول لك

(ينتحيان جانبًا)

بستول : لا لن أنزل. أؤكد لك يا أنباشى باردولف أنى قادر على أن أمزقها إربًا ولا بد لى من أن أنتقم منها.

الغلام : أتوسل إليك أن تنزل من هنا.

بستول : لا لن أنزل حتى تحل بها اللعنة أولاً.. لن أتحرك حتى ألقى بها فى بحيرة بلوتو الملعونة فى أعماق جهنم فى ملكوت أريبوس إله

الظلام.. لا لن أنزل حتى أسلمها للعذاب الأليم ألا فليكن التوفيق
حليفى فيما أهدف إليه، إلى الجحيم.. إلى الجحيم أيتها الكلاب..
إلى الجحيم أيتها الأشرار.. أليس فى يدى إيرين^(٣٧).

١٧٣

صاحبة : (وهى ترتعد خوفا) ناشدتك الله أيها اليوزباشى الطيب بيستول أن
تهدأ، إننا فى ساعة متأخرة من الليل. أتوسل إليك أن تخفف من
غضبك.

١٧٦ بستول : هذه حيلة خداعة من أفانينك تريدان بها أن تخدعيني وأن تسخرى
منى لتتخلص من وجودى وتلقى بى إلى الخارج
ولكن أنى لك هذا.. أنى للأوغاد والجياد المهزولة من حثالة آسيا
التي لا تقوى على مسيرة ثلاثين ميلا فى اليوم،
إنى لها أن تقارن بقيصر وكانيال^(٣٨) وأبطال طروادة.

ألا فلتحل عليهم اللعنة وليركسوا فى أعماق القبور
مع سير بروس ملك الظلام. ألا خل السحب تصخب وتجلجل
بأصواتها،
فما كان لنا أن نتطاحن أو نتعارك من أحل أمثال هذه الترهات
التافهة

١٨٤ صاحبة الحانة : تالله إن هذه الكلمات لمرة أيها اليوزباشى.

باردولف : اذهب أيها الملازم الطيب، فأخشى ما أخشاه أن ينقلب الأمر إلى
شجار فى الحال.

بستول : (يصبح) حسبك، أيموت الرجال هونا كما نموت الكلاب؟ وأتسلم
التيجان فى خضوع كما تسلم المشابك التافهة وفى أيدينا الحديد
الصارم؟ أليست هنا إيرين؟.

(٣٧) إيرين: اسم للسيف إذ كانوا يطلقون على سيوفهم أسماء محبوباتهم.

(٣٨) يريد هانيبال.

صاحبة الحانة : إيرين! أقسم لك بشرفى أيها اليوزباشى إن هذه المرأة ليست هنا، ولو كانت هنا، فى للجحيم.. كيف تظن أنى أمنعها عنك.. سألتك بالله أن تهدأ.

بستول : إذن كللى واسمنى أى كاليبولس الجميلة، وهى اسقنى بعض، النبيذ
١٩٣ فإن يكن الحظ قد خاننى فإن الأمل لا يزال يحدونى - أتحيينا نخشى نيران المدافع؟ كلا ذريها ترسل نيرانها وتتدفع بالسنة الجحيم فما أبالى..

على بالنبيذ وأنت أيها السيف الحبيب ارقد هاهنا..
١٩٧ (يضع سيفه) ترى هل ستمضى الوقت هنا ونهى جهادنا عند هذه النقطة ونختتم بها أعمالنا أم لا تزال أماننا جولان أخرى واشتباكات بطبى السيوف؟

فولستاف : أود أهدأ يا بستول.
بستول : أيها الفارس الحبيب دعنى أقبل راحتك وأستاذن منصرفاً ماذا! لقد سبق أن سهرنا نرقب النجوم السبعة.
٢٠٠

دول : أوه.. سألتك بالله أن تلقى به إلى الدور الأسفل.
فلقد ضقت ذرعاً بثرثرة هذا الوغد.

بستول : فلتلق بى إلى الدور الأسفل.. ألا نعرف سبيلنا
٢٠٤ أيتها المهرة الصغيرة.

فولستاف : ألق به إلى الدور الأسفل يا باردولف كما تلقى بالقرش فى لعبة الحظ، وما دام لا يستطيع أن يفعل شيئاً إلا أن يثرثر بهذا اللغو الفارغ فما يليق أن يبقى فى صحبتنا.

٢٠٨ باردولف : هيا انزل إلى الدور الأسفل.

بستول

: ماذا.. أتلجأ إلى سيوفنا.. أنعمد إلى سفك الدماء

(يلتقط سيفه) إذن أيها الموت خذنى حتى تحبب إلى النوم وقصر
أيامى المليئة بالهموم والآلام، وذروا الجروح العميقة المخيفة
المفتحة الأفواه تقطع حبال الحياة التى نسجتها بنات القدر الثلاث،
وخلوا اترويس يقرضها بمقراضه... هيا يا اترويس دونك فافعل ما
شئت..

٢١٢

(يتقدم ويعرض نفسه للقتال)

صاحبة الحانة

: إنا مقبلون على ثورة عظيمة.

فولستاف

: أعطنى سيفى يا غلام.

٢١٦ دول

: أتوسل إليك يا جاك.. أتوسل إليك.. ألا تسل سيفك.

فولستاف

: (يسل سيفه) انزل على الدور الأسفل (باردولف يمسك بستول
ويرغمه على الارتداد نحو الباب الأيمن ومن ورائه فلستاف يتبعه)

صاحبة الحانة

: هذه ثورة عنيفة لأهجرن إدارة هذه الفنادق قبل أن تحيط بى
المتاعب والمخاوف.

(فلستاف يسدد سيفه نحو بستول) أؤكد لك أن هذه الطعنة
ستكون نتيجتها القتل، وا أسفاه.. اغمدوا سيوفكم المشهرة اغمدوا
سيوفكم (باردولف يدفع بستول من خلال الباب ثم يدخل وراءه
فلستاف يغمد سيفه، ويعود أدراجه وهو يلهث وينفخ من التعب
والجهد ويجلس على مقعده).

دول

: أرجو أن تهدأ يا جاك فقد ذهب الوغد.. إيه لك

٢٢٥

أيها الشقى المقدام الصغير... إيه لك أيها البطل.

صاحبة الحانة

: ألم يمسك الوغد بأذى.. ألم تصب بجرح فى سرتك..

لقد خيل إلى أن الوغد وجه طعنة خبيثة إلى أحشائك

(يعود باردولف)

٢٢٨ فولستاف

: هل طردته خارج الأبواب.

باردولف

: أجل يا سيدى إن الوغد سكران وقد أصبته بجرح فى كتفه.

فولستاف

: يا للوغد! كيف تجرأ على وتحدانى!

دول

: إيه يا صغيرى الحبيب الشقى.. إيه أيها القرد المسكين وا أسفاه...
إنك تتصبب عرقاً.. رويدك دعنى أجفف لك وجهك.. تعال إلى
أيها المنتفخ الأوداج.. اقترب منى يا شقى فما أكثر ما أحبك وأيم
والحق.. إنك عظيم الهمة مقدم كهكتور بطل طروادة. إنك تعدل
فى شجاعتك خمسة من أمثال أجمنون بل تفوق عشر مرات
الأبطال التسعة.. إيه أيها الشقى!

(تلاطفه)

فولستاف

: واه لك أيها العبد الخبيث، لأجازينك أشد الجزاء

٢٤٠

وأحمد أنفاسك فى ملحفتك يا شقى.

دول

: عاقبه إذا استطعت إراحة لفؤادك فإن فعلت فلك عندى

أن ألك فى منزرى وأحمد أنفاسك من الرقص بين عطفى.

(يدخل الموسيقون)

٢٤٤ الغلام

❖ لقد جاءت الموسيقى يا سيدى.

فولستاف

: دعمهم يلعبوا.. العبوا أيها السادة.. اعزفوا (تنساب الموسيقى رقيقة)
تعالى يا دول واجلسى على ركبتى، يا له من عبد وغد متبجح، لقد
أقلت الشقى من يدى كما يفلت الزئبق.

دول

: (جانبا) وتبعته أنت وأيم الحق ككنيسة ضخمة متحركة.

(تجلس على ركبته) ألا قل لى متى تنتهى يا خنزير بارثلميو
المكتنز الرقيق، من هذه الحروب ومتى تقلع عن الطعان آناء الليل
وعن القتال أطراف النهار ومتى تبدأ ترقيع جسمك البالى هذا
للآخرة

(يدخل من الخلف الأمير وبوان متخفين في لباس السقاة)

فولستاف : كفى عن هذا الكلام يا دول الطيبة، ودعك من حديث الآخرة، ولا تحاولي أن تجعلي من نفسك نذيرًا كرأس الميت ^(٣٩) لا تحاولي أن تذكريني بآخرتي يا دول.

دول : اسمع يا فتى ما مزاح الأمير وما مشربه

فولستاف : إنه فتى طيب المشرب ولكنه ليس فائق العقل، وربما كان الأصلح له أن يكون خبازًا ماهرًا يجيد تقطيع الخبز.

٢٦٠ دول : يقال أن بوان فتى حاضر البديهة.

فولستاف : حاضر البديهة! نريه إلى حيث أُلقت، هذا القرد! إن عقله أغبى من خردل توكس برى ^(٤٠)، وخیاله وأفكاره لا تعدو أفكار بطة بريّة حمقاء.

دول : إذن ففيم حب الأمير له هذا الحب العظيم

فولستاف : لأنهما من طراز واحد وقدم واحدة، ولأنه يحسن رمي الأطواق، شديد الغباء فائق الملق بارع في ضروب الجسارة، يشرب النبيذ ويقطع من الذهب جرعة واحدة يركب الأراجيح مع الغلمان ويقفز فوق الكراسي المطوية في خفة ومهارة، ويقسم في وقار مستحب، ويلبس أحذية تبدو غاية في النعومة والملاسة كأنما هي قطع فنية للعرض أو للإعلان عن محل أو متجر، لا يثير إحنا ولا أحقادًا فهو لا يروى إلا القصص الفاحشة، إلى غير ذلك من ضروب المهارة في ركوب الخيل التي تنم عن قوة في البدن وضعف في العقل، هذه هي المزايا التي جعلت الأمير يؤثره بالرعاية والعطف. ذلك أن الأمير نفسه ليس إلا صورة منه، لا يفترق عنه مقدار

(٣٩) التي يجلون بها الخواتم لتذكر الناس بالآخرة.

(٤٠) Tewksbury

- ٢٧٧ شعرة فى ميزان الأمور (تمسح رأسه).
- الأمير : (جانبا) ألا يدعونا هذا الوغد المكتنز بكلامه هذا إلى صلح أذنيه عقابًا له على هذا الكذب.
- بوان : (جانبا) الأفضل أن نضربه أمام بغيه هذه.
- ٢٨٠ الأمير : (جانبا) انظر هل خمشت دول رأس هذا العجوز الفاجر الذى جفت عروقه بأظافرها كما تخمش الببغاء رأسها بمخالبها.
- ٢٨٤ بوان : (جانبا) ألى عجيبًا أن تبقى الشهوة سنوات عدة بعد فقد القدرة
- فولستاف : قبلينى يا دول (يلتقيان فى قبلة وفى الوقت نفسه يضع باردولف ذراعه حول صاحبة الحانة)
- الأمير : (جانبا) لقد اجتمعت الزهرة وزحل فى قران هذا العام، فماذا يقول التقويم فى هذا
- بوان : (جانبا) وانظر ألا ترى هذا الوغد الملتهب إنه رجله باردولف يغازل صاحبة الحانة ويعانقها، وهى موضع سر سيده ونجواه، ويبثها غرامه.
- ٢٩٠ فولستاف : هذه القبلات التى أعطيتها قبلات نفاق.
- دول : أقسم لك بشرفى أنى أقبلك من قلب محب مقيم على العهد.
- فولستاف : إنى رجل شيخ.. إنى رجل شيخ.
- دول : إنى أحبك أكثر مما أحب أى شاب من هؤلاء الفتيان الحقيرين جميعًا.
- ٢٩٦ فولستاف : من أى قماش تريدين أن أشتري لك رداك. سأقبض نقدًا يوم الخميس، وسأحضر لك قبعة غداً، فهيا غنى أغنية مرحة فالوقت بات متأخرًا وسناوى إلى فراشنا، ولسوف تتسينى عندما أبتعد
- ٣٠١

عنك.

دول : أقسم لك بشرفي إن قولك هذا يجعلني أجهش بالبكاء، وإنني أتحداك
٣٠٥ أن تثبت أنني تجملت بالثياب أثناء غيبتك، وعليك أن تنتظر حتى
تري.

فولستاف : على ببعض النبيذ يا فرانسس.

٣٠٨ الأمير وبوان : قادم حالا، حالا يا سيدي (بسرعان إلى الإمام)

فولستاف : (ينهض) ها، هذا ابن غير شرعي للملك.. وأنت الست بوان أخاه

٣١٢ الأمير : وأنت: يا كرة محشوة بالخطايا والذنوب.. أى حياة تلك التى تحياها

فولستاف : حياة أفضل من حياتك، فأنا سيد شريف وما أنت إلا ساق.

الأمير : هذا صحيح جدًا يا سيدي وقد جئت لأسحبك إلى الخارج من
٣١٦ أذنيك.

صاحبة الحانة : فليحفظ الله عظمتك.. ومرحبًا بك فى لندن.. أقولها بإخلاص
٣٢٠ نضر الله وجهك الجميل بحق المسيح.. أقادم أنت من ويلز

فولستاف : يا لك من حقيرة مجنونه بجلال الملكية.. وحق هذا الجسد الهزيل
وهذا الدم الفاسد (مشيرًا إلى دول) أنت على الرحب والسعة.

٣١٤ دول : ويحك أيها البدين الأحمق إنى أحتقرك.

بوان : (جانبا) مولاي إنه سيخرجنا عن الموضوع ويلهيك عن انتقامك
ويحيل الأمر كله إلى مزاح خفيف إذا أنت لم تطرق الحديد وهو
ساخن وتأخذه بخطيئته فورًا دون أن تتيح له فرصة للتخلص من
ورطته.

الأمير : اسمع أنت أيها الحقير.. يا منجم الشحم الذى لا ينفد.. كيف
جرؤت على أن تتحدث عني بسوء الآن أمام هذه السيدة الشريفة
العفة.

٣٣٢ صاحبة الحان : فليبارك الله قلبك الطيب يا مولاي.. فهي بحق امرأة شريفة.

فولستاف : هل سمعتنى

الأمير : نعم سمعتك.. ولقد عرفتني كما عرفتني وفررت مني يوم جادزهل.
٣٣٧ لقد عرفت أني من ورائك، ولذلك تكلمت بما تكلمت قصدًا لئلا تمتحن صبرى.

فولستاف : لا... لا... لم يكن الأمر كذلك، وما حسبت قط أنك على مسمع مني.

الأمير : سأحملك إذن على أن تعترف بالكذب العمد والإساءة المتعمدة التي وجهتها إلي وعندئذ سأعرف كيف أعاقبك

فولستاف : أقسم لك بشرفي يا هال لم تكن هناك أية إساءة ولا مذمة.

الأمير : لم يكن هناك أية مذمة! ألم تنتقص قدرى، وتسمنى خبازًا ومقطعًا للخبز، إلى غير ذلك من النعوت.

فولستاف : لا مذمة يا هال.

٣٤٨ بوان : لا مذمة!

فولستاف : لا مذمة يا ند.. لا مذمة قط يا ند الأمين.. لقد انتقصت منه أمام الأشرار حتى لا يتولها في حبه، ويتصرفي هذا أديت واجبي كما يؤديه الصديق والفرد المخلص من أفراد الرعية، وأعتقد أن أباك ينبغي أن يشكر لى هذا الصنيع لا مذمة يا هال، ولا إساءة يا ند، لا شيء من ذلك أبدًا.. لا شيء.. لا شيء البتة وأيم الحق يا فتیان.

٣٥٥

الأمير : ألا ترى الآن أن خوفك الخالص وجبنك الكامل قد جعلاك تسيء إلى هذه السيدة الفاضلة وذلك لكى تسوى أنت موقفك منا أهى واحدة من عداد الأشرار؟ وهل صاحبة حانتك هذه من الأشرار؟ وهل غلامك هذا من الأشرار؟ وهل باردولف الأمين الذى تشتغل

بوان

: أجب أيها السند المتداعى. أجب.

فولستاف

: لقد اتخذ الشيطان باردولف فريسة من فرائسه ووضع اسمه فى قائمة ضحاياه وجعل إبليس من وجهه مطبخه الخاص حيث يشوى مدمنى الجعة. أما الغلام فهو ملاكه الطيب يصاحبه فى الحياة. ولكن الشيطان يغالبه ويغريه بالخطيئة.

٣٦٨

الأمير

: وما شأن النسوة؟

فولستاف

: أما إحداهما فى جهنم فعلا وهى تعدى الأرواح البريئة وأما الأخرى فأنا مدين لها ببعض المال، ولست أدري هل ستنزل عليها اللعنة من أجل ذلك أو لا.

٣٧٣

صاحبة الحان

: لا وأؤكد لك.

فولستاف

: لا. لا أعتقد أن اللعنة ستحل بك، أعتقد أنك خلصت بسبب هذا العمل الطيب، ولكن هناك جريدة أخرى بحق العذراء توشك أن تودى بك، فأنت تسمحين بأكل اللحم^(٤١) فى فندقك مخالفة بذلك القانون، وهذا ذنب عظيم سيحملك على أن تجارى بالصياح طلباً للرحمة.

صاحبة الحان

: إن كل أصحاب الحانات يفعلون ذلك، وما قيمة فخذة أو اثنتين تؤكلان فى أيام الصوم كلها.

٣٨١

الأمير

: أيتها السيدة الطيبة.

دول

: ماذا يقول عظمة الأمير؟

(٤١) يقصد بأكل اللحم فى أيام الصيام.

فولستاف : إن عظمة الأمير يقول من الكلام ما تنثور عليه رجولته
(يسمع طرق على الباب من الخارج)

صاحبة الحان : من هذا الذى يدق الباب دقًا عاليًا. انظر من الباب يا فرانسس.
(يدخل بيتو)

٣٨٨ الأمير : أهذا أنت يا بيتو؟.. وما وراءك من أنباء؟.
بيتو : إن والدك الملك فى وستمنستر،

وقد أتى عشرون رسولاً من الشمال كلهم ضعاف منهكون،
وقد مررت فى طريقى إليكم
٣٩٢ باثنى عشر ضابطاً يسيرون على عجل مكشوفى الرؤوس.
يتصيبون عرقاً، وهم يدقون أبواب الحانات
ليسألوا كل من يلقاهم عن سير جون فولستاف.

٣٩٥ الأمير : بحق السماء يا بوان. إنى لأشعر بأنى الملموم
على إضاعة هذا الوقت الثمين عبثاً،
بينما الثورة العاتية لا تزال مسلطة على رؤوسنا
كريح الجنوب المحملة بالأبخرة السامة المؤذية
وقد بدأت تذوب وتتساقط فوق رؤوسنا العارية المكشوفة
على بسيفى ومئزري. وأنت يا فولستاف طاب ليلك.
(يخرج الأمير هنرى وبوان وبيتو وباردولف مسرعين)

فولستاف : والآن وقد حانت أطيب ساعات الليل وأحلاها فأنا نغادر المكان
دون أن نغنتمها (يسمع قرع جديد على الباب)
إن الباب يدق من جديد (يعود باردولف)

مرحى... ماذا حدث

باردولف : يجب أن تسارع إلى القيادة على الفور يا سيدى إن بالباب اثنى عشر ضابطاً جاءوا كلهم لاستدعائك.

فولستاف : (إلى الغلام) يا غلام أد أجر هؤلاء الموسيقيين، ووداعاً يا صاحبة الحانة ووداعاً يا دول، وإنكما لتريان يا سيدتى الطيبتين إن ذوى المواهب يجد فى البحث عنهم ويسعى وراءهم، فأما الخاملون فينامون ملء جفونهم وأما رجال الجد والعمل فيطلبون كلما جد الجد. وداً يا سيدتى الطيبتين. وإذا كان الأمر لا يستدعى سفرى على عجل، فسأعود لرؤيتكما مرة أخرى قبل أن أرحل.

٤١٤

دول : أنا لا أستطيع الكلام.. إن قلبى يكاد ينفجر (تبكى وتتنحب) أيها العزيز جاك أرجو أن تعتنى بنفسك

فولستاف : وداً.. وداً

(يخرج مع باردولف)

صاحبة الحان : رافقتك السلامة يا سيدى؛ فقد عرفتك تسعة وعشرين عاماً، فعد فى مستهل الصيف عندما تتضج البازلاء، رافقتك السلامة يا سيدى، فما عهدتك إلا أمنيأ طيب القلب (تبكى) مع السلامة.. مع السلامة.

باردولف : (من عند الباب) يا سيدة تيرشيت.

صاحبة الحان : ماذا حدث؟

باردولف : مرى السيدة تيرشيت أن تأتى لسيدى.

صاحبة الحانة : أسرعى يا دول.. أسرعى يا دول الطيبة.

باردولف : هيا هيا أسرعى.

صاحبة الحان : إنها آتية حالا.. إنما تمسح دموعها المتساقطة

(تجفف وجه دول)

باردولف

: (يدخل) حسنًا ألا تسرعى يا دول، فإن سيدى ينتظرك

(يقودها إلى الداخل بينما تخرج صاحبة الحانة من الجهة اليسرى)

obeyikandali.com

الفصل الثالث

المنظر الأول

القصر فى وستمنستر والوقت بعد منتصف الليل

(يدخل الملك فى جلاباب النوم ومعه غلام)

الملك

: اذهب يا غلام وادع ايرل سرى وايرل ورويك لمقابلتى وقل لهما قبل

أن يمثلأ بين يدى أن يقرأ هذه الرسائل بإمعان

وأن يدرسها دراسة دقيقة. هيا عجل

(يخرج الغلام) ترى كم ألف من أفقر رعاياى فى هذه الساعة

نائمون

أيها النوم.. أيها النوم الجميل

يا ظئر الطبيعة الحان بالله ألا قلت لى كيف أزعجتك

وحرمت أجفانى لذة الرقاد.

وسلبت حواسى نعمة النسيان؟

ويحك أيها النوم.. كيف تؤثر الجحور الحبيسة برعايتك وتهجر

القصور الفسيحة المعطرة وبك أيها النوم..

كيف تغشى عيون النوم فوق الوسائد الخشنة المقلقة وتغرقهم فى

لجة النعاس والذباب من حولهم يطن طنيناً يؤرق الجفون،

وتفضلها على الأسرة العالية ذات الكلات النفيسة التى تضم مخادع

الملوك ومن حولك أنغام حلوة تتساب فى رقة تغرى بالسبات

العميق.

وبك أيها الإله الوسنان لم تختار مثواك بين الرعاع والسوقة

وعلى الفرش الخشنة الكريهة وتذر مخادع الملوك ذات الستر

الذهبية المبرقشة

قلق أصحابها مؤرقون لا يهدأون كأنما هى آلة حساب الزمن فى

علبتها إذا الناقدوس دق لا يغفل لهم جفن أبداً، مالك أيها النوم

تداعب عيني فتى سفينة وتغرقها فى سبات عميق وهو جاثم فوق

٥

١٠

١٥

الصارية العالية التى تتأرجح فوق مهد من اللجة العاتية،

والريح من حولها تعصف وتثور فى غير انقطاع وتمسك بناصية
الأمواج الصاخبة

وتنتشى رؤوسها الجبارة، وتداخل ما بينها،

وتغرق اللجة فى اللجة، وترفعها حتى تتعلق بالسحب العابرة
المتغيرة

فى أصوات مجلجلة وصخب يبعث الموتى من الأجداث. إيه أيها
النوم الظلوم! مالك وأنت القادر على إغراق فتى البحر المبلل فى
سباتك العميق، فى أشد الساعات اضطرابًا وخشونة

تتأبى على ملك بلمسة لجفونه المؤرقة فى هدأة من الليل وبالع من
السكون،

حيث الراحة مكفولة والوسائل كلها متوافرة! ألا فلتنهأ بالنوم أيها
الحقير السعيد

وما أشقى الرأس الذى يلبس التاج.

(يدخل ورك وسير جون برن وسرى)

ورويك : نعمت أصباحك وسعدت أيامك يا صاحب الجلالة.

الملك : أهو صباح سعيد يا سادة؟

ورويك : لقد جاوزت الساعة الواحدة يا مولاي.

٣٥ الملك : إذن عمتم صباحًا جميعًا يا سادتي اللوردات.

هل قرأتم الرسائل التى بعثت بها إليكم

ورويك : قرأناها يا مولاي.

الملك : إذن رأيتم كيف اعتلت بنية مملكتنا

وأدرتكم الأدواء التى تنتاشها

والخطر الذى يتهدد قلبها.

وروك

: إنها أشبه بالجسم المنحرف المزاج منها بالمعتل،

ولن تلبث أن تستعيد قوتها

حين يطب لها بالنصح السديد ويقدم لها شىء من دواء قليل،

وسيدى لورد نورثمبرلند لن يلبث أن تزول عنه حرارة الحمى وتهداً شرته.

٤٥ الملك

: رباه.. ليت فى طوق الإنسان أن يطلع على الغيب ليرى ما يأتى به الزمان من حدثان.

فيرى حيناً كيف تخر الجبال

وكيف تمل الأرض صلابتها وثباتها فتذوب فى البحر.

ويرى حيناً آخر

كيف ينحسر المحيط

تاركاً وراءه شاطئاً أوسع من ردف نبتون،

ويرى كيف تملأ كأس الزمان صروفه وتقلباته

وسخريات القدر.

٥٠

أواه لو أمكن أن يطلع الإنسان على الغيب إذاً لطوى كتابه

حين يقلب النظر فيه ويسترجع ما مر به من أهوال وحين يطلع

سلفاً على ما سيلقى من فشل،

إذاً لطوى كتابه وجلس مستلماً للموت.

لم تمض بعد عشر سنوات

منذ كان رتشرد ونورثمبرلند الصديقين الحميمين

يطعمان معاً وما كادت تمر سنتان

٦٠

حتى انقلبا عدوين لدودين يتحاربان. ومنذ ثمان سنوات

كان برسى هذا أقرب رجل إلى قلبى،

يجد فى خدمتى والعمل لصالحى كأنه أخ شقيق
وكرس لى حبه وحنانه،

فعل كل ذلك من أجلى وتحدى ريتشارد جهازًا
(إلى وروك) ولكن أياكم كان حاصرًا

يوم قال ريتشارد وعيناه تغيضان بالدمع

٦٥

هذه الكلمات التى تثبت الآن أنها كانت نبوءة صادقة منه؟
قالها حين لامه نور ثمبرلند وعنفه.

أظنك أنت يا ابن العم نيفل الذى شهدت الحادث إذا لم تخنى
الذاكرة،

لقد قال ريتشارد يومها "يا نورثمبرلند أنك أنت الدرج التى سيرقى
عليها ابن عمى بولنج بروك إلى عرشى"

٧٠

وإن أكن علم الله حينئذ خلوا من هذه الرغبة
ولكن بلغ من ثقل وطأة الظروف على الدولة
أن اضطرتت إلى أن أحتضن العظمة،

وأوصل ريتشارد حديثه قائلاً: ولا بد أن يأتى الوقت
الذى تتجمع فيه هذه الخطيئة الدنيئة

٧٥

ثم تتفجر ليعم الفساد"

ومضى ريتشارد فى حديثه متتبئاً بما وقع فى هذه الأيام ومنذراً
بتفريق شملنا.

: إن فى حياة جميع الناس سجلاً من التاريخ

ورويك

يصور ما فات من طبائع ومن أزمان،

٧٠

وإذا ما تأمل فيها إنسان فإنه يمكنه أن يتنبأ

على وجه قريب من إصابة الهدف.

بما ستنمخض عنه تطورات الأحداث

من نتائج لا تزال مطوية فى بطون الزمن
لم يحن مولدها بعد.

٨٥

ومن تقليب النظر فى أحداث الماضى على هذا النحو
استطاع ريتشارد أن يصل إلى نبوءة صحيحة
عن نور ثمبرلند العظيم؛ رآه قد خانه،
ورأى بذرة الخيانة هذه تنمو إلى خيانة أكبر.

وهذه لا تجد تربة تنمو فيها
إلا فيك أنت.

٩٠

: وهل هذه النتائج ضربة لازب.

الملك

إن يكن ذلك حقًا فنلواجهها إذن بشجاعة وصبر على أنها أمور لا
مناص ولا مفر منها
على أن هذه الكلمة لا تزال ترن فى آذان محذرة وداعية إلى أن
ننهض ونعمل حتى لا نؤخذ على غرة.
إنهم يقولون إن قوات رئيس الأساقفة ونورثمبرلند
قد بلغت خمسين ألفًا.

٩٥

: هذا غير ممكن يا مولاي.

ورك

إن الإشاعات تضاعف تعداد المرهوبين
كما يضاعف الصدى الصوت.
قرعينيًا يا مولاي وأرجو أن تذهب إلى فراشك مطمئنًا
فإن القوات التى وجهتها إليهم
كفيلة أن تحرز النصر عليهم فى سهولة ويسر.
ولأزيدك اطمئنًا يا مولاي أقول لك

١٠٠

إنى تلقيت معلومات أكيدة بأن جلندور قد مات... لقد أمضيت يا
صاحب الجلالة طيلة الأسبوعين الماضيين وأنت تعاني المرض،

وما من شك في أن بقاءك ساهراً إلى هذه الساعة المتأخرة

سيزيد من مرضك شدة

١٠٥

: سأعمل بنصيحتك

الملك

ولو أن هذه الحرب الأهلية سكنت ريحها وانتهت لذهبنا جميعاً أيها
السادة الأعزاء إلى الأراضى المقدسة.

(يخرجون)

المنظر الثانى

أمام منزل القاضى شالو فى جلوستر شاير

(يدخل شالو وسيلنس ويلتقيان وجها لوجه ومن خلفهم مولدى وشادو ووارت وفيل ويل

كاف وخدم)

شالو : تعال يا سيدى تعال. هات يدك، أعطنى يدك يا سيدى وحق الطبيب

إنك لمن القوامين المباكرين (يتصافحان)

كيف حالك يا ابن العم سيلنس الطيب.

5 سيلنس : نعمت صباحًا يا ابن العم الطيب شالو.

شالو : وكيف حال ابنة العم قرينتك، وكيف حال ابنتك الجميلة وابنتى فى

العماد إلين

9 سيلنس : وا أسفاه إنها غراب نوحى يا ابن العم شالو.

شالو : إنها جميلة ولا شك أقولها بكل تأكيد يا ابن العم.

أعتقد أن ولم أصبح طالب علم ممتاز ألا يزال يدرس فى أكسفورد كما
عهدته؟

13 سيلنس : أجل يا سيدى وهو يبهظ كاهلى بنفقاته.

شالو : لا بد له أن يتابع بعد ذلك دراسة القانون فى إحدى كلياته وأظن أن

19 ذلك بات قريبًا، وقد التحقت بعض الوقت بكلية كلمنت وأعتقد أنهم لا

يزالون هناك يتحدثون عن شالو المجنون.

سيلنس : لقد كانوا يدعونك حينئذ شالو الماجن يا ابن العم.

شالو : فبحق القداس لقد كنت أنعت بكل النعوت وكنت أفعل كل ما بدا لى

عامدًا متعمدًا من غير تحرز ولا مبالاة بشىء ما. لم أترك شيئًا لم

أفعله، لقد كان صحبة فى هذه الأيام أنا وجون دويت من استافورد

شير وجورج بارنز الأسود وفرنسيس بكبون وول سكويل من أبناء

كوتسول المتمرسين بأعمال الفروسية وضروب الرياضة البدنية. وما أظن كليات القانون قد اجتمع لها مثل هؤلاء الأربعة من الشبان الماجنين الصاخبين بعد ذلك، وأقول لكم الحق إننا كنا أعرف الناس بالأماكن التي تغشاها بنات الهوى من الطبقة الممتازة، وكانت خيرهن مقامًا طوع بناننا، وكان جاك فلستاف، سير جون الآن، وقتئذ غلامًا صغيرًا وتابعًا لدوق نورفولك توماس مبراى.

سيلنس : أهو سير جون هذا الذى سيأتى إلى هنا الآن ليجمع المجندين يا ابن العم. ٣١

شالو : هو نفسه.. هو بعينه لقد رأيته يشج رأس سكوحان عند باب القصر، وكان لم يزل حدثًا لم يبلغ هذه المكانة بعد. وفى اليوم نفسه تشاجرت أنا خلف كلية جراى مع فاكهى متجول يدعى سمبسون استكفش. يا لها من أيام بحق يسوع، أيام الطيش والنزق التى أمضيها، إنى لأذكرها فأذكر الكثيرين من إخواننا الذين قضوا نحبهم. ٣٨

سيلنس : هم السابقون ونحن اللاحقون يا ابن العم. شالو : هذا أمر لا ريب فيه، مؤكد لا مفر منه، فالموت كما يقول مؤلف المزامير حتم مقضى على العباد جميعًا، والكل مساقون إلى الموت؛ كم بلغ ثمن الزوج من الثيران الجيدة فى سوق استمفورد. ٤٣

سيلنس : لم أكن فى السوق وأيم الحق. شالو : الموت حتم.. قل لى أيزال ابن بلدتكم دبل العجوز حيًا يرزق؟

سيلنس : لقد مات يا سيدى. ٤٧

شالو : مات.. يا يسوع يا يسوع.. أمات مع أنه كان بارع الرماية بالقوس لقد كان صائب الرمية.. وكان جون جوننت يحبه حبًا جمًا ويراهن بأموال كثيرة على براعته.. أيمن أن يموت مثل هذا الرامى البارع؟ لقد كان

يطلق السهم من كنانته على بعد مائتين وأربعين ياردة، فيصيب قلب الهدف تمامًا وكانت سهامه المستقيمة بعيدة المدى تبلغ أهدافها من مسافة مائتين وثمانين ياردة أو مائتين وتسعين. لقد كانت رمياته تدخل السرور على قلوب مشاهديها، كم تساوى عشرون نعجة الآن؟

سيلنس : هذا يتوقف على حالتها. فإن كانت فى حالة جيدة فإنها تساوى عشرة جنيهات.

شالو : فقد مات ديل العجوز!

(يدخل باردولف ومعه شخص آخر)

سيلنس : ها هما اثنان من رجال سير جون فولستاف قادمان فيما أظن.

شالو : عمتما صباحًا أيها السيدان الشريفان.

باردولف : أرجوك يا سيدى.. من منكم هو القاضى شالو؟

شالو : أنا روبرت شالو يا سيدى.. سيد متواضع من أهل هذه المقاطعة وأحد قضاة الملك.. فما الذى تبتغيه منى

باردولف : إن قائدى يا سيدى يحييك أحسن تحية، وقائدى هو سير جون فولستاف فارس مقدم بحق السماء، وزعيم آية فى الكرم والشهامة.

شالو : إنه يبعث لى بأطيب التحيات.. لقد كان حين عرفته يا سيدى مبارزًا بارعًا بالعصا. كيف حال الفارس الطيب؟ وهل لى أن أجرؤ وأسأل كيف حال سيدتى زوجة الفارس؟

٦٥

باردولف : عفواً يا سيدى.. فالجندى يكون مكفول الراحة أكثر، من غير زوجة.

شالو : أحسنت القول يا سيدى وأيم الحق.. أحسنت القول حقًا. أجل هو مكفول الراحة هذا كلام طيب.. نعم كلام طيب حقًا، والعبارة الطيبة تستحق بالتأكيد بالغ الإطراء وهى دائماً أبداً تذكر بالحمد.. مكفول

الراحة إنها مشتقة من أراح يريح.. هذا تعبير جيد.
إنها عبارة جيدة.

٨٤

باردولف : عفواً يا سيدى لقد استمعت إلى الكلمة كلمة الأمر أتسميها عبارة؟
وحق هذا الصباح أنا لم أسمع قط عن هذه "العبارة" ولكنى سأحافظ
على هذه الكلمة وأحميها بسيفى، لتكون بحق السماء كلمة خليفة
بجندى وأمرًا حقيقًا أن يصدر من أفواه قائد رشيد. مكفول الراحة يا
سيدى كلمة تقال عندما يكون الرجل كما يقولون متمتعًا بالراحة أو
عندما يظن أنه حيثما يكون
تكفل له الراحة، وهو أمر آية فى الإبداع.

(يدخل فلستاف)

شالو : هذا كلام صحيح، أنظر ها هو ذا سير جون فلستاف الطيب قد أقبل
(يسرع نحوه).. مد لى يدك الكريمة يا سيدى.. هات يدك الكريمة يا
صاحب السماحة، تالله إنك تبدو غاية فى الصحة والقوة، فتيا لم
تمسك الشيخوخة، مرحبًا بك يا سير جون الطيب.

(يتصافحان)

فولستاف : إننى سعيد أن أراك بخير يا سيدى الطيب روبرت شالو وهذا فيما أظن
هو السيد شوردر كارد.. أليس كذلك.

٩٠

شالو : كلا يا سير جون إنه ابن عمى سيلنس. زميلى فى القضاء

فولستاف : أيها السيد الطيب سيلنس أن مهنة السلام تصلح لك وتليق باسمك.

١٠٠ سيلنس : مرحبًا بك يا صاحب السماحة الطيب.

فولستاف : (وهو يجفف جبينه) تبا لهذا الجو الشديد الحرارة أيها السادة، هل
أعددت لى ستة من الرجال الأقوياء الأشداء لتزودونى بهم؟

شالو : أجل وحق العذراء... لقد أعددناهم لك، فهلا جلست يا سيدى.

١٠٥ فولستاف

: (بجلس) دعونى أراهم أرجوكم.

شالو

: (مضطربا) أين كشف المجندين، أين الكشف، أين الكشف؟ دعونى أراه، دعونى أراه. دعونى أراه. فلان وفلان وفلان هذا حسن يا سيدى. رالف مولدى، ذرهم يتقدموا كلما ناديت أحدهم بالاسم، مرهم أن يفعلوا ذلك، مرهم أن يفعلوا ذلك ودعونى أراهم. أين مولدى.

١١١

مولدى

: هأنذا إذ أذنت يا سيدى.

شالو

: ما رأيك فى هذا يا سير جون؟ إنه فتى مفتول، فتى وقوى وذو نسب عريق.

١١٥ فولستاف

: هل اسمك مولدى (العفن)؟

مولدى

: أجل إن أذنت يا مولاي.

فولستاف

: هذا أدعى إلى أن تستخدم فورًا لتزيل الأوساخ التى علق بك.

شالو

: ها.. ها.. ها هذه نكتة بارعة وأيم الحق، فالأشياء العفنة قد تعفنت من قلة الاستعمال.. هذه نكتة فريدة بارعة. لقد أحسنت القول وأيم الحق يا سير جون.

نعم لقد أحسنت القول.

١٢١ فولستاف

: .. انقب اسمه فى القائمة.

مولدى

: كفى وخزًا.. لقد لقيت من الوخز الأمرين من قبل، وخير أن تخلى سبيلى، وتدعنى لحالى، فإن أُمى العجوز، ستهلك أسى إن أنا جندت من العوز، فهى ستعدم من يكدح ويفلح من أجلها.. وما أحسبك فى حاجة إلى أن تزيد متاعبى، ومن الناس غيرى من هم أكثر صلاحية منى للخروج إلى الحرب.

١٢٦

فولستاف

: لا عليك من هذا والزم الصمت يا مولدى. لا بد أن تذهب يا مولدى فقد حان الوقت لتستهلك.

مولدى : أستهلك!

شالو : اصمت يا رجل.. اصمت وتتح جانبًا، ألا تعرف أين أنت؟

فلننتقل إلى الآخرين يا سير جون ولأنظر من يكون التالى إنه سيمون شادو.

١٣١

فولستاف : حسنًا وحق العذراء لأخذن هذا الشادو (الظل) لأجلس تحته ليكون جنديًا فاتر الحماسة.

شالو : أين شادو؟

(يتقدم رجل نحيل)

شادو : هأنذا يا سيدى.

١٣٧ فولستاف : اسمع يا شادو ابن من أنت؟

شادو : ابن امبى يا سيدى.

فولستاف : ابن أمك.. هذا أمر جد محتمل.. نعم ابن أمك وصورة من أبيك فابن الأنثى خيال الذكر. هذا فى الأغلب ولكن فى هذا الخيال كثير من بنية الأب.

١٤٢

شالو : أيعجبك هذا الرجل يا سير جون؟

فولستاف : سنجنده للخدمة فى الصيف، فاذكر اسمه فى القائمة، فإن لدينا أشباحًا كثيرة لا وجود لها نملأ بها قائمة المجندين.

١٤٦

شالو : توماس وارت

فولستاف : أين هو؟

(رجل ممزق الثياب)

ورأت : هأنذا يا سيدى.

- ١٥٠ فولستاف : أسمعك وارت؟
- وارت : أجل يا سيدى.
- فولستاف : إنك ممزق الثياب حقًا وياورت
- شالو : أتأذن لى أن أثقب اسمه يا سير جون... أخزه.
- فولستاف : خل عنه فهذا لا لزوم له وكفاه أن ملابسه معلقة فوق ظهره لا تمسكها إلا الدبابيس. فبالله لا تزده وخزًا.
- ١٥٦ شالو : ها.. ها.. إنك بارع النكتة يا سيدى.. إنك حاضر البديهة أنا شديد الإعجاب بظرفك يا سيدى.
- فرانسس فييل!
- (يتقدم رجل ضئيل الجسم)
- فييل : هأنذا يا سيدى.
- ١٦٠ شالو : ما صناعتك يا فييل
- فييل : حائك ملابس النساء يا سيدى.
- شالو : هل أثقب اسمه يا سيدى
- فولستاف : لك ذلك، ولو أنه كان للرجال لكان هو الثاقب لك، أرجو أن تحدث من الثغرات فى صفوف العدو ما أحدثته فى ملابس السيدات.
- ١٦٦ قبيل : سأبذل غاية جهدى، ولن أدخر وسعًا، وليس لك على أكثر من ذلك.
- فولستاف : أحسنت القول يا حائك السيدات الطيب. أحسنت القول يا فييل الشجاع، لتكونن جسورًا كالحمامة الغضبية شديد الإقدام كالفأر الشجاع اثقب اسم حائك النساء جيدًا يا شالو وعمق الثقب يا شالو.
- ١٧٣ قبيل : وددت لو يذهب وارت يا سيدى؟

فولستاف : وددت لو كنت حائك رجال لتصلح من شأنه وتجعله أهلاً للذهاب.
فليس فى طوقى أن أجعل من قائد لآلاف التى تكمن فى ملابسه
المهلهلة جندياً متطوعاً - وفى هذا القدر الكفاية يا فييل القوى.

١٨٠ فييل : فى هذا الكفاية يا سيدى.

فولستاف : أنا شاكر لك يا فييل المحترم. هات التالى يا سيدى.

شالو : بيتر بل كاف من المروج.

فولستاف : فلنر بل كاف هذا..

١٨٥ بل كاف : (شاب بدين) هأنذا يا سيدى.

فولستاف : أشهد الله أنه فتى ممتلى قوى البنية.. هيا خز هذا العجيل حتى يخور
خواراً عاليًا.

بل كاف : أوه يا سيدى.. سيدى القائد.

١٩٠ فولستاف : ما بك يا رجل أتخور قبل أن توخر؟

بل كاف : أواه يا سيدى إنى رجل معتل ممروض.

فولستاف : وما علتك؟

بل كاف : برد لعين يا سيدى وسعال شديد أصابنى حين عينت فى خدمة الملك

لأدق أجراس الفرح يوم تتويجه يا سيدى. ١٩٥

فولستاف : لا بأس عليك لتذهبن إلى الحرب فى معطف يدفئك بدلا من بزة

جندى وسنخلصك من هذا البرد الذى تشكو منه، وسأخذ تدابير ليقرع

أخوانك الناقوس بدلا منك ولك إن استشهدت فى المعركة. أهذا كل ما

عندكم من رجال؟ ١٩٩

شالو : لقد استدعينا اثنين أكثر من العدد المطلوب لك. فالتعليمات التى لدينا

أن نعد لك أربعة رجال فقط يا سيدى، وما دمنا قد انتهينا فأرجوك يا

سيدي أن تدخل معي لتناول العشاء.

فولستاف : هيا بنا سأدخل لأشرب معك. ولكنى لا أستطيع أن أتأخر لتناول العشاء.. إنى مسرور وأيم الحق برويتك يا سيد شالو. ٢٠٥

شالو : أتذكر يا سير جون تلك الليلة التى قضيناها بطولها معًا فى حانة الطاحونة فى ميدان جورج القديس.

فولستاف : خلنا من هذا الحديث يا سيد شالو الطيب ودعك منه.

شالو : ها.. ها لقد كانت ليلة بهيجة مرحة وبهذه المناسبة

ألا تزال جيل نايت ورك على قيد الحياة؟. ٢١١

فولستاف : حية ترزق يا سيد شالو.

شالو : إنها لم تكن تقدر على بعدى أبدًا.

فولستاف : أبدًا.. أبدًا.. وكانت تحب دائمًا أن تقول إنها

لا تستطيع الصبر على السيد شالو.

شالو : تالله لقد كنت أستثير غضبها من الأعماق.. كانت من أجمل بنات

الهوى.. فهل يا ترى لا تزال محتفظة بجمالها؟

فولستاف ٢١٩ : لقد هرمت.. هرمت يا سيد شالو.

شالو : أجل لا بد أنها أصبحت عجوزًا، ولا اختيار لها فى ذلك، لقد بلغت

الشيخوخة لا محالة، فقد زفها روبن العجوز إلى روبن نيت ورك قبل أن التحق أنا بكلية كليمنت.

٢٣٤ سيلنس : كان هذا منذ خمس وخمسين سنة.

شالو : آه لو أنك رأيت يا ابن العم سيلنس ما رأيته أنا وهذا الفارس. إيه يا

سير جون أليس صحيحًا ما قلته؟

فولستاف : أجل ولطالما سهرنا الليل نعريد ونسكر ونسمع الساعة تدق منتصف

الليل.

شالو : نعم فعلنا هذا يا سير جون.. هذا ما فعلناه وأيم الحق وكانت كلمة السر بيننا ودعوة السهر والعريضة "مرحى يا أولاد" هيا نتناول العشاء، هيا نتعشى هيا بنا.. هيا.

(يتقدم شالو وفولستاف إلى الداخل ومن ورائهما سيلنس)

سيدى الطيب البشجاويش باردولف، أترسل إليك أن تكون شفيعى، وهاك أربعة أنصاف جنيه من عملة الملك هارى أدفعها لك بالأرباع الفرنسية، خذها لك مقابل خدمتك لى، فأنا أفضل أن أشنق على أن أذهب إلى الحرب، وفى الحق يا سيدى أن الأمر من ناحيتى لا يعينى فى كثير ولا قليل ولكن المسألة أننى لست راغبًا فى الذهاب وإنما أحب أن أبقى مع أصدقائى، ولولا ذلك يا سيدى لما حلفت من جانبى بهذا الأمر.

باردولف : لا عليك، تتح جانبًا يا رجل.

مولدى : سيدى الطيب الباشاويش القائد.. أتوسل إليك أن تكون شفيعى وأن تتوسط فى إطلاقى إكرامًا لأمى العجوز، فليس لها من يعولها بعدى أو يقضى حوائجها إن أنا ذهبت إلى الحرب.. إنها عجوز ولا تستطيع أن تخدم نفسها بنفسها، ولك مقابل هذا يا سيدى أربعون شلنًا.

(يلوح له بشلن فى يده)

٢٤٩ باردولف : لا عليك تتح جانبًا.

فيل : وأيم الحق إن هذا الأمر لا يهمنى فى شىء، والإنسان لا يموت إلا ميتة واحدة، وإذا كنا سنموت لا محالة، فلا مفر من أن توفى بهذا الدين إن عاجلا وإن آجلا.

وأنا أضيق صدرًا بالعقول الأسنة وإذا كان فى ذهابى موتى فأهلا ومرحبًا بالموت. وإلا يكن فلا بأس. وما من أحد أعظم من أن يموت ليخلص فى خدمة أميره، فلتسر الأمور كما تسير، وفى أى طريق

تشاء فمن يلق حقه اليوم فقد خلص من ذنبه وأعفى من دينه غداً.

باردولف : أحسنت القول وما أنت إلا رجل طيب.

فييل : فى الحق أنى لا أطيق العقول الحقيمة.

(يعود فلستاف والقاضيان)

فولستاف : تعال يا سيدى وقل لى أى الرجال من نصيبى؟

شالو : أى أربعة منهم ترضى عنهم.

باردولف : (جانبا) سيدى أرجو أن تسمح لى بكلمة لقد أخذت ثلاثة جنيهاات

مقابل إطلاق مولدى وبل كاف.

٢٦١

فولستاف : لا عليك كما تشاء.

شالو : تعال يا سير جون واختر الأربعة الذين تريداهم.

فولستاف : اختر أنت لى.

٢٦٧ شالو : يحق العذراء إذن خذ مولدى، وبل كاف. وفييل وشادو

فولستاف : فأما مولدى وبل كاف فخلفاهما. يا مولدى ابق فى بيتك حتى تتجاوز

سن الخدمة وتعفى منها، وأنت يا بل كاف أكبر حتى تبلغ سن الخدمة
فتطلب إليها. لن آخذ أيًا منكما.

شالو : يا سير جون.. يا سير جون.. لا تخطئ فى حق نفسك، إنهما أمثل

رجلين للعمل معك، وأنا أود أن أزودك برجال أكفاء يعدلون خير جنود
جيشك.

فولستاف : أتعلمنى يا سيد شالو كيف أختار الجندى الذى ينفعننى؟ أفأعنى

بالأطراف المفتولة والعضلات القوية والهيئة والجسم والرجل الطرير؟
لا، وإنما الذى يعيننى هو الروح.. الروح يا سيد شالو. أعطنى الروح
يا سيد شالو ثم لا تسئل عن شىء بعد ذلك. فهذا وارت نحيل تزديره

العين ولكن فى أثيابه أسد هزير، هذا الوارت سيشحن بندقيته ويطلقها ويشحنها فى سرعة المطرقة التى يدق بها الحداد المعادن ويرفعها ويخفضها فى لمح البصر وبأسرع وأخف من رافع جرار الجعة. وهذا الرجل شادو ذو الوجه النحيل المشطور مثله، أعطنى هذا الرجل فهو فى ضالته لا يصلح أن يكون هدفًا للعدو، فالعدو قد يستطيع أن يحكم التصويب على رأس مبرة وأن تتاح له فرص محققة للإصابة وهذا فيبل حائك ملابس النساء ما أسرعه فى العدو عند التراجع بالله عليك اعطنى هؤلاء النحال وخل لك الطرارة يا رودولف اعط وارت بندقية وأرنى كيف يمسك بها.

باردولف : (يعطيه بندقية) قف مكانك، تقدم إلى الأمام، على الخلف سر على هذا النحو، سر. على هكذا هكذا.

فولستاف : اقترب منى وأرنى كيف تستعمل بندقيتك.. هذا هذا. حسن جدًا لا عليك هذا حسن جدًا (وارت يمسك بالبندقية ويستعملها بطريقة سمجة مضحكة)

ناشدتك الله أن تعطنى دائماً الصغار العجاف المسنين ذوى الوجوه المتغضنة الرماة. أحسنت صنعاً يا وارت وأجدت وأيم الحق. إنك أجدت يا وارث. قف وخذ هذا النصف شلن مكافأة لك.

شالو : (يمسك بالبندقية) إنه ليس حاذقاً فى هذه الصنعة فهو لا يحسنها ولا يؤديها على وجه صحيح، وإنى لأذكر يوماً فى ميل اند جرين عندما كنت مقيماً فى كلية كليمنت أننى قمت بدور سير داجونيت مضحك الملك آرثر فى العرض الذى قامت به جمعية فرسان آرثر للرماية. أذكر أنه كان معنا فتى صغير نشط يهتز فى حركاته اهتزاز أوراق الشجر، وكان يستعمل بندقيته على هذا النحو، فيجرى هنا ويجرى هناك، ويتحرك متنقلاً فى كل مكان فى أقل من دقيقة ويكر ويفر بسرعة كلمح البرق، ولا تكاد نسمع قرقرة حشو بندقيته، وقوله البرق، ولا تكاد نسمع قرقرة حشو بندقيته، وقوله راتاته حتى نسمعه يقول أطلق. فتتطلق الرصاصة ومن ثم يعود إلى الخلف من جديد ليحشو

بندقيته، ثم لا يلبث أن يعود فى سرعة وخفة إلى الأمام وفى الحق
إنى لم أر فى حياتى شخصاً مثله فى سرعته.

فولستاف : هؤلاء الرجال كافون لأداء المهمة على خير وجه يا سيد شالو وراك
الله يا سيد سيلنس وحفظك، ولا أزيدكم كلاماً، فمع السلامة يا سيدى
الكريمين، وشكرًا لكما فإن على أن أسير الليلة أثنى عشر ميلاً. بابا
ردولف أعط الجنود حللهم الرسمية.

شالو : اسأل الله لك يا سير جون البركة والتوفيق فى مهمتك وأسأله أن
يشملنا بالسلام جميعاً، وأرجو حين تعود أن تزور بيتى لتجدد صداقتنا
القديمة، وربما ذهبت معك إلى القصر.

٣١٦

فولستاف : أشهد الله أنى أود من كل قلبى أن تفعل ذلك يا سيد شالو

شالو : حسنًا فليكن، لقد قلت ما أريد، وما بى حاجة إلى مزيد، ففى رعاية
الله.

٣٢٠

(يخرج شالو وسيلنس)

: مع السلامة أيها السادة الكرام الأبرار، وأنت يا باردولف ابدأ السير

وقد هؤلاء الرجال إلى الميدان (باردولف يسير بهما) وحين أعود سأجرد هؤلاء السادة القضاة وأجعل وأجعل وأجعل منهم غنيمة باردة. لقد سبرت غور السيد شالو وتكشف لى قاعة. يا إلهى يا إلهى ما أشد تعلقنا نحن كبار السن برذيلة الكذب، فهذا القاضى البائس المحروم لم يفعل شيئاً اللهم إلا أن يصدع آذانى بمغامرات شبابه العابث، وإلا أن يروى لى قصص غزواته فى شارع تيرنبيل^(٤٢) وفى أعقاب كل كلمتين كلمتين يقولهما لا بد من كذبة يدفع بها إلى أذن سامعة كأنها الحزية المحترمة يتقاضاه إياها السلطان التركى فى عسف وشدة فيسارع إلى أدائها فى دقة وانتظام. وإنى لأذكره حين كان فى كلية كليمنت فأذكر رجلا سريع كتلك التماثيل الهزيلة التى يصنعها الآكلون بعد العشاء من قشور الجبن ليسلوا أنفسهم، وحين كان يتعرى كان يبدو كأنه فجلة حمراء صنع لها رأس خيالى عجيب، بحز السكين. لقد كان نحيفاً مهزولاً قميئاً تقتحمه العين وتزدرية. لقد كان الجوع مجسماً، ولكنه كان شبقاً كالقرد، وكانت البغايا يسمينه اللقاح. وكان ذا هيئة فى ملابس وطباعه لا يساير الزمن فى طرزه ولا سلوكه وكان يغنى للعاهرات الساقطات اللاتى تهرأ جلودهن السياط الأغانى والأنغام التى يرددها سائقو العربات، ثم يقسم لهن أنها من وحي خياله ومن تأليفه وتلحينه نظمها فى الهوى والحب. هذا السيف من خشب أصبح الآن سيّداً يتحدث عن جون جونت من غير كلفة كأنما هما صديقان حميمان، مع أنى أقسم إنه لم يره قطع فى حياته إلا مرة واحدة فى التلت يارد^(٤٣) وقد شج رأسه وقتئذ لأنه أقتحم نفسه بين منظمى هذه المسابقات. وقد شهدت ما حدث وقلت لجون جونت إنه ضرب رجلا يستحق اسمه بحق، لأنه كان فى إمكانه أن يطويه هو وجميع ملابسه

٣١٦

٣٣٥

(٤٢) حى البغايا واللصوص.

(٤٣) فى وستمنستر حيث تعقد المسابقات الدورية.

يدسه فى ثوب ثعبان السمك^(٤٤). لقد كانت حقيبة المزممار الرفيع الطويلة فى نظره منزلا فخما بل قصراً عظيماً، ولكنه الآن يمتلك أراضى وأبقاراً حسناً.. لأثقرين إليه إن عدت وأزداد به معرفة.. ستكون الطريقة شاقة ولكنى سأوطئه لخدمتى وأستغله لفائدتى كأنما هو حجر الفلاسفة، ولكنى سأبتز منه الفائدة ضعفين، وإذا كان الحوت الضخم يأكل السمك الصغير النشط فلست أرى فى قوانين الطبيعة ما يمنعنى من أن أتغذى أنا الآخر على هذا الشالو البليد. ألا فلتستقر الدنيا على وضع وبعدها أفرغ أنا لهذا الأمر وأقلبه على وجوهه

(يخرج)

٣٤٥

٣٥٠

٣٥٥

الفصل الرابع

المنظر الأول

يوركشير .. غابة جولترى

(يدخل رئيس أساقفة يورك فى لبوس من حديد ومبراى وهيستجز ولورد باردولف
وآخرون)

كبير الأساقفة : ما اسم هذه الغابة؟

هيستجز : أنها غابة جولترى إن أذنت يا صاحب النيافة.

كبير الأساقفة : فلنقف هنا أيها السادة ونبعث بعيوننا وأرصادنا ليتأكدوا لنا من تعداد
عدونا.

هيستجز : لقد بعثنا بهم فعلا.

كبير الأساقفة : أحسنتم صنعا ٥

إن واجبى يقتضىنى يا أصدقائى وإخوانى، فى هذا الأمر العظيم

أن أفضى إليكم أنى تلقيت مؤخرا

رسائل حديثة التاريخ من نورثمبرلند

خاتمة المرمى فاترة اللهجة والمبنى يقول فيها

١٠

إنه كان بوده أن يكون هنا معنا بشخصه ومعه قوات

تتفق فى عددها وعدتها مع ماله من مكانه رفيعة.

ولكنه لم يرفق إلى تجنيد هذه الجيوش،

ومن ثم فقد اضطره هذا العجز عن تجميعها

أن ينسحب الآن فى اسكتلندا حتى تواتيه الفرص التى أخذ يدون
قطافها.

واختتم رسائله بخالص الدعوات أن يكلل الله جهودنا بالنجاح، وأن
يكتب لنا الغلبة

١٥

ويجنبنا شر ما تأتى به الأيام من حادثات فى المعارك

الرهبية مع خصومنا الذين نحاربهم

مبرای : وهكذا انهارت صروح الآمال التي بنيناها عليه،

وتناثرت حطامًا وذهبت أدراج الرياح.

(يتقدم رسول)

هيستجز : هيه.. ما وراءك من أنباء.

الرسول : إلى الغرب من هذه الغابة وعلى مسيرة أقل من ميل من هنا

يربض العدو على أتم أهبة

ومن مساحة الأرض التي تنتشر فيها قواته

قدرات عدده بثلاثين ألفًا أو نحوها

مبرای : هذا هو نفس العدد الذي قدرنا به قواته.

فهيا نتحرك قدمًا للقاءه في الميدان.

(يرى وستمورلند وبعض الضباط من حاشية يقتربون)

كبير الأساقفة : من هذا القائد الشاكي السلاح الذي يواجهنا هنا؟

مبرای : أظن أنه سيدي اللورد وستمورلند

وستمورلند : أهديكم أطيب التحيات وأمانى الصحة والعافية من قائدنا الأمير ولورد

جون ودوق لانكستر.

كبير الأساقفة : قل وأنت آمن يا سيدي وستمورلند..

ما هو الهدف من مقدمك

وستمورلند : إذن، يا سيدي،

إلى نيافتك على وجه الخصوص أسوق حديثي.

فلو أن هذا العصيان لبس ثوبه المعتاد،

وقام به جماعات السوق من السفلة والأوغاد.

يقودهم شبان طائشون فى أسمال بالية

وغلمان معوزون،

٣٥

أقول يا سيدى.. لو أن هذه الثورة اللعينة بدت فى صورتها الطبيعية

وظهرت على حقيقتها وفى شكلها الطبيعى الملائم لها، لما وجدتم هنا

يا سيدى الأب المحترم، ولا هؤلاء

السادة النبلاء

ليخلعوا على هذه الثورة الكريهة الطائشة الوضيعة

ثوب القداسة ويظهروها بمظهر الكرامة

٤٠

الذى تنتحلها بانتسابها إليكم أيها السادة الشرفاء.

وأنت بالذات يا سيدى رئيس الأساقفة يا من تدين بكرسيك المقدس

لقيام حكومة مدينة؟ منظمة تحافظ على السلام والأمن،

ويا من وخطت يد السلام الفضية لحيته،

ويا من أعانه السلام على نشر ثقافته وعلمه.

ويا من تصور ملابسة الأسقفية البيضاء البراءة

٤٥

وتصور رقة الحمائم رسل السلام وروح المحبة المباركة فيما تنكرت يا

سيدى لرسالتك رسالة السلام

وأسأت التعبير عن نفسك

فتحولت من حديث السلاح السلام المحوط بالبركات ونطقت بلسان

الحرب الخشن اللعان؟

٥٠

وأحلت كتبك إلى قبور، ومدادك إلى دماء،

وأقلامك إلى حراب ولسانك الإلهى المقدس

إلى نفير عال للطعان وداعية للحروب.

كبير الأساقفة : أتسائلنى لم فعلت ذلك؟.. إذن إليك الجواب..

٥٥

فعلت ذلك فى اختصار لا بلغ هذا الهدف،

إننا جميعاً معتلون مرضى وبإسرافنا فى الملذات والشهوات جلبنا على
أنفسنا الحمى المحرقة،

ولا مفر لنا إذا أردنا الشفاء من أن نريق بعض الدماء.

وقد أصيب ملكنا السابق وتشرذ بهذه الحمى وقضى بها نحبه،

ولكن يا سيدى اللورد النبيل وستمورلند

لا أحب أن أجشم نفسى مشقة القيام بدور الطبيب، فأصف الدواء
الناجح لهذه العلة،

٦٠

لا ولست أنضم إلى هذه الجحافل المجندة من رجال الحرب

لأنى عدو للسلام

وإنما أوتر فى هذه الأيام أن أظهار بشن حرب مروعة لأرد الذين
صدأت نفوسهم وبشمت من الترف واللين إلى حياة مستقيمة وإلى
صحة كاملة بالزامهم عادات الجندية المنظمة

ولأظهر نفوسنا من هذا التراخى الذى يكاد يفسد علينا حياتنا ويجمدها
عن الحركة

٦٥

واسمعى أزيد الأمر إيضاحاً:

ولقد وازنت بميزان دقيق

بين الأضرار التى قد تحدثها سيوفنا التى امتشقناها وبين المظالم التى
تشكو منها فوجدت أن متاعبنا وآلامنا أثقل موازين من ذنوبنا وخطايانا
إننا نتابع مجرى الزمن بأنظارنا وذرى إلى أى طريق نتجه

ولكن الأمواج العاتية الطارئة

٧٠

قد انتزعتنا انتزاعاً من أحضان الشاطئ الآمن والسلام.

وحملتنا على أن نعدد آلامنا ومظالمنا

وأن نحددها تفصيلاً لنقدمها عندما تسنح الفرصة.

هذه المظالم بالذات قد رفعناها من أمد طويل قبل ذلك إلى الملك،

٧٥

ولكنها رغم كل ما بذلنا لم تجد منه أذنًا صاغية كما أملنا.

وحين يعتدى علينا وتنزل بنا المظالم ونرغب فى أن نفضى إليه
بآلامنا وشكوانا

يحال بيننا وبين أن نلقاه شخصيًا.

وممن؟ من أولئك الذين بالغوا فى إحاقة الأذى بنا.

إن مصائب الأيام القريبة

التي مرت والتي لا تزال ذكرها عالقة بالأذهان،

ولم تخفف معالمها الدامية

والت يما تزال كل دقيقة تمر بنا الآن،

تقيم الدليل عليها وتمدنا بالبرهان الحى،

هذه المصائب هى التى حملتنا على أن نظهر بهذا المظهر الثائر
ممتشقين الحسام،

لا لنعكر السلام أو أى فرع من فروعها،

بل لنقيم حقًا سلامًا دائمًا،

اسمًا وفعلاً.

: قل لى متى رفض الملك طلبكم؟

وستمورلند

وأين أساء معاملتكم، وتجافى عنكم؟

بل أى لورد من اللوردات حرضه الملك سرًا على تحديك أو استثارة
غضبك

حتى تبارك هذه الثورة الطائشة المفتعلة غير المشروعة

وتمنح القداسة لسيفها؟

كبير الأساقفة : إن ثورتى يا سيدى هى من أجل الصالح العام على العموم

ومن أجل أخى الذى قتل بأمر من الملك بصفة خاصة

لأن موته خسارة لأسرتنا تمسنى بالذات.

٨٠

٨٥

٩٠

وستمورلند

: لا داعى لدفع هذا الحيف،

وإذا كان ولا بد منها فلست أنت الذى تدفعه.

مبراى

: لم لا يقوم بنصيبه منه ونقوم نحن جميعاً بنصيبنا..

نحن الذين تحملنا جراح الأيام الماضية ومصائبها،

١٠٠

وما زلنا نقاسى الظروف التى تفرضها علينا هذه الأيام العصبية

التي تنزل من قدرنا ومكانتنا وتعرضنا للمهانة ظلمًا وعدوانًا.

وستمورلند

: سيدى الطيب لورد مبراى..

لو أنك فسرت الأمور على ضوء الضرورات التى تمليها

لوجدت نفسك مضطراً إلى أن تسلم بأن الزمن

١٠٥

هو الذى يوقع بك الأضرار وليس الملك،

ومع ذلك يا سيدى، لو أننا أخذنا الأمر من ناحيتك الشخصية بالذات

لما وجدنا أدنى سبب فيما رأى

يدعوك إلى الشكوى من تصرفات الملك أو صروف الزمان.

ألم تستعد

١١٠

كل حقوق دوق نورفلك وممتلكاته؟

وَألم تسترد كل مخصصات آباءك الأمجاد المذكورين بالحمد والثناء

وَألقابهم أيضاً؟

مبراى

: ما دمنا نتحدث عن الشرف فأى ذنب جناه أبى استوجب تجريدك من

ألقاب الشرف حتى يقال إننى حوبيت بإعادتها إلى وأكرمت بخلعها

على؟

إنى أبى لم يأت قط بل إن الملك الذى كان يحبه

دفعته الضرورة الملجئة فى ظل الظروف والحوادث التى وقعت فى

١١٥

عهده إلى أن يتخلى عنه وينفيه، فى نفس الوقت الذى كان هو وهنرى

بولنج بروك قد امتطيا جواديهما وتأهبا لخوض المعركة، وأشرأبا

برأسيهما للقتال،

وصهل جوادهما صهيلًا متصلًا ليحناهما على أن يعملًا مهمازيهما
ويطلقا لهما العنان،

فى نفس الوقت الذى استلا فيه رمحيهما وشرعاهما تأهبًا للنزال،

وقد أسدلا على وجهيهما، وقدحت عيونهما بالشرر من خلال ثقوب
الصلب الذى تدرا به، وقد أطلق نفير الحرب عاليًا إيذانًا بالالتحام،
عندئذ وعندئذ حين لم يكن شيء

١٢٠

يحول بين أبى وبين صدر بولنج بروك،

١٢٥

وا أسفاه.. قذف الملك بهراوته إلى الأرض مؤذنا بوقف القتال،

وقد كانت حياته معلقة على هذه العصا التى ألقاها.

وهكذا أهلك نفسه وأهلك جميع من كانوا معه،

هلكوا جميعًا فى عهد بولنج بروك إما بسيف القانون

الذى سلط عليها،

وإما بحد السيف فى ميادين القتال.

: إنك ترجم بالغيب يا لورد مبراى

١٣٠ وستمورلند

فمن أدرك لأيهما كان سييسم الحظ فى هذا الصراع، فايرل هيرفورد

كان معروفًا فى إنجلترا كلها حينئذ

بأنه سيد مغوار وفارس مقدم.

ومع ذلك لو أن النصر حالف أباك

١٣٥

لما استطاع أن ينعم به ولا أن يفر بجلده من كوفنترى،

لأن البلاد كلها كانت مجمعة على كراهيته،

على حين كانت دعواتهم وحبهم جميعًا

تتجه إلى هيرفورد الذى كانوا يتولاهون فى محبته

ويباركون خطواته ويعظمونه ويعاملونه بالإكبار أكثر مما يعاملون

ولكن هذا انحراف عن الهدف الذى جئت من أجله.

لقد جئت من الأمير القائد

لأقف على ما تشكون منه وأقول لكم باسمه

إنه على استعداد لأن يلقاكم وأن يصغى إليكم،

وإذا بدا له بعد أن يستمع إليكم أن مطالبكم عادلة

فإنه سيجيبكم إليها، وسيمحو كل شك فى ولائكم

ويسقط من الحساب كل ظن أو ريبة فيكم بأنكم أعداء.

: ولكنه، يضطرنا اضطرارًا لأن نفرض عليه هذا العرض،

مبرأى

ومن ثم فهو يصدر منه عن الحيلة ولم يصدر بوحى من الحب.

: أى مبرأى! إنك لتعدو طورك إذا حملت عرضنا على هذا المحمل

وستمورلند

فهو عرض مرده الرحمة لا الخوف،

فعلى مرمى البصر من هنا تريض جيوشنا،

واقسم لك بشرفى إن كل رجالنا تملأهم الثقة البالغة بأنفسهم،

بحيث لا يسمحون لأية فكرة عن الخوف أن تتسلل إلى نفوسهم

وجيوشنا تضم رجالا مبرزين فى القتال وأسماء لامعة فى النزال أكثر

مما تضم جيوشكم،

ورجالنا أكثر درية على حمل السلاح واستخدامه،

ودروعنا أشد قوة والقضية التى نحارب من أجلها أعظم شأنًا من

قضيتكم،

والمنطق ينادى بأن إيماننا بالنصر لا يقل عن إيمانكم، وقوتنا

وشجاعتنا كشجاعتكم.

ومن ثم فلا محل للقول بأنكم قد ألجأتمونا إلى أن نتقدم إليكم بهذا

العرض.

ميراي : هيه، لو أن الأمر لى فى قيادة هذه الجماعة، لما سمحت بهذه
المفاوضة.

١٦٠ وستمورلند : إن هذا الإصرار على الرفض يكشف عن شعورك بالخجل من
تصرفاتك

فالقضية الخاسرة لا تثبت للنقاش.

هيستجز : وهل للأمير جون مطلق التصرف،

بحيث يمثل أباه فى جميع سلطاته، وينوب عنه؟

وهل هو مفوض أن يستمع إلينا وأن يقطع برأى حاسم فى الشروط
التي نعرضها

١٦٥

ونصر على أن يكون التفاهم والصلح على أساسها؟

وستمورلند : هذا الحق مخول له بوصفه قائداً عاماً

وإنى لأعجب كيف تسأل هذا السؤال التافه.

كبير الأساقفة : ما دام الأمر كذلك، فخذ يا سيدى اللورد وستمورلند هذه القائمة

فهى تضم كل ما نشكو منه وتجمع تظلماتنا الأساسية.

فإذا تحقق لنا رد هذه المظالم وإصلاح هذه الأخطاء كل واحدة على
حدة

١٧٠

فإن كل رجالنا المؤيدين لقضيتنا أينما يكونون

والذين عقدوا الخناصر على تنفيذ هذه الخطة فى مقاومة الملك

إذا منحوا عفواً عاماً صحيحاً، ريثاً وقانونياً

وأجيببت مطالبهم وتأكدوا من التنفيذ السريع لكل رغباتهم

فيما يمس ذواتهم وأهدافهم،

١٧٥

فإنهم يعودون إلى التزام جانب الطاعة

وبذل كل جهد فى طوقنا لتدعيم السلام والأمن.

وستمورلند : سأعرض هذا على القائد العام، ولنعتقد اجتماعاً إذا كان يرضيكم يا سادتي

لنناقش هذا الموضوع على مرأى من الجيشين،
فإما أن ننتهي إلى السلام، وهذا ما أثق أن الله سيوفقنا إليه،
وإما أن نحتكم إلى السيف إذا لم نرفق إلى الاتفاق
لننهي هذه القضية.

١٨٠

كبير الأساقفة : سيدي.. سنفعل ذلك.

(يخرج وستمورلند هو ورجاله)

مبراي : إنني أحس هاتفاً في صدري يقول لي:

إن أي شروط للسلام نتفق عليها لن تنهي هذه المشكلة.

١٨٥ هيستجيز : لا تخشى شيئاً يا سيدي، لأننا إذا وفقنا إلى أن نقيم السلام

على شروط واسعة كهذه، ونهائية وحاسمة،

كالتى تقدمنا بها فإن السلام سيرتكز على دعائم ثابتة ثبات الجبال
الشم.

مبراي : أجل.. أجل. لكن مكانتنا عند الملك ستكون في وضع يجعلها تتأثر

بكل قيل وآه وبكل نميمة تافهة.

١٩٠

أجل إن رأى الملك فينا

سينتأثر بكل أمر مغرض وكل كلمة عارضة وكل حديث غث،

لأن الملك سيزن مثل هذه الترهات بموازن هذه الثروة

ويشم في كل نائمة ريحها.

ومهما نبالغ في إخلاصنا للملك ونستشهد في سبيل محبته فإن رياح

الشك العارمة ستذرونا كما تذرو الهشيم، وتجعلنا خفافاً، لا فرق بين

حب وهشيم، وهكذا يختلط الحق بالباطل.

٢٠٠

٢٠٥

٢١٠

٢١٥ هيستنز

كبير الأساقفة : لا لا يا سيدى، ينبغي أن نضع موضع الاعتبار أن الملك قد مل
من طول الغريلة ودقة التنقية بحثاً وراء الأخطاء والمثالب، وأدرك أن
التخلص من عدو بالقتل
يبعث فى الخلف الذين يرثون هذه المظالم أعداء أشداء وطأة وأعظم
قوة.
لذلك سيمحو من كتبه هذه الشكوك والريب،
ويردها بيضاء نظيفة،
ليعفى ذاكرته من كل قيل وقال،
ويجنب نفسه أن يعيد تسجيل هذه المساوئ إلى ذاكرته تاريخ خسائره
كل حين وأن. ذلك أنه يدرك تمام الإدراك
أنه لا يستطيع لكل إثارة من شك تعرض لذهنه أن يجتث كل أسباب
الفتنة فى هذه البلاد واحداً إثر واحد،
فأعداؤه ملتفون بأصدقائه تتشابك جذورهم،
فإذا عمد إلى اقتلاع عدو
فإنه بهذه الطريقة قد يقلقل صديقاً ويزعزعه،
وبذلك تكون هذه الأرض أشبه بالزوجة الشكسة
التي تستثير زوجها وتلجئه إلى تأديبها بالعصا،
فإذا ما رفع عصاه ليضربها أمسكت بطفلها
ورفعته فى وجهه ليحميها وبذلك تقف الضربة التي أوشكت أن تحيق
بها.
أضف إلى ذلك أن الملك قد استنفذ كل آلات تعذيبه فى تأديب
المذنبين السابقين، حتى باتت تعوزه الأيدي الباطشة المؤدبة
وبذلك أضحت قوته كقوة الأسد الذى انتزعت أنيابه، قد يستطيع
الهجوم ولكنه لا يقدر على البطش بفريسته لأنه لا يقوى على
الإمساك بها.

٢٢٠ كبير الأساقفة : هذا جد صحيح، ولذلك كن على ثقة يا سيدى القائد الطيب

أننا لو أقمنا اتفاقنا على أساس وطيء سليم،

فإن سلامنا بعد ذلك سيكون أوطد وأقوى بعد هذه القطيعة،

كالساق التى تصبح أقوى وأشد بعد أن تجبر من الكسر.

مبراى : فليكن الأمر كما ترجون.. ها هو ذا سيدى لورد وستمورلند قد عاد.

(يعود وستمورلند ويرى الأمير جون وجيشه عن بعد)

وستمورلند : إن الأمير على مقربة من هنا فإذا أذنت يا سيدى اللورد فى لقاء سموه

٢٢٥ فى منتصف الطريق بين معسكرى الجيشين فبها ونعمت.

مبراى : على اسم الله هيا نتقدم يا صاحب النياقة كبير أساقفة يورك.

كبير الأساقفة : اسبقنا يا سيدى وسنلحق بك على الفور.

(يخرجون)

المنظر الثانى

جزء آخر من نفس الغابة

الأمير جون : (يعتقدون ويلقاهم الأمير جون) إنى مسرور بلقائك هنا يا ابن العم مبرأى،

طاب يومك يا سيدى كبير الأساقفة النبيل،
وطاب يومك يا لورد هيستنجز وعمتم صباحاً جميعاً أيها السادة.

سيدى لورد يورك لقد كان أوقع وأجمل بك
أن ترى وقد أحاط بك رعيته الذين تجمعهم أجراس الكنيسة
ليستمعوا فى خشوع

على تفسيرك للكتاب المقدس
من أن ترى وقد تمنطقت بالحديد
تتحدث إلى عصابة من الثوار تستثير حماسهم بدقات الطبول
واضعاً للسيف موضع الكلمة المقدسة التى هى أليق
بك وأخلق ومحىلا الحياة إلى الموت

١٠

- تصور أن رجلاً ما كان يحتل مكاناً قريباً إلى قلب ملك ويتخذه
مشيراً له فى مجالسه وشئونه الخاصة، تصور أن هذا الرجل الذى
استوى له المجد ودانت له الدنيا مستمتعة بشمس عطفه تنكر لهذا
العطف الذى يسبغه عليه الملك وأحال النعمة نقمة.

١٥

فوا أسفاه أية أضرار وأية إساءات يجريها هذا الرجل ويتركها تتدفق
وهو يتقيأ الأمن فى الظل العظيم! إن الأمر فى شأنك يا سيدى
الأسقف لا يختلف عن ذلك أبداً فمن منا لم يسمع ما يتردد على
الأسنة

من تمرسك بالكتب المقدسة وسعة اطلاعك فيها؟
فأنت عندنا بمثابة رئيس البرلمان الإلهى،

صوتك من صوت الله فأنت الوسيط بين الله وبيننا،
تكشف لنا عن رحمته وإرادته المقدسة
وتقربها إلى أذهاننا نحن الذين نتخبط في الظلمات
.. أواه منذ الذى يصدق

إنك تسى استغلال جلال منصبك المقدس،
وإنك تستخدم تأييد السماء وعونها
كما يستغل حظى الأمير ومحسوبة المزيف اسم سيده فى الأعمال
المنكرة المشينة.
فتحت ستار الدين وبحجة الدفاع عنه
حشدت رعايا ظل الله فى الأرض،
وجندتهم وزودتهم بالأسلحة ليثوروا على الملك أبى، وجمعتهم فى أهبة
وعدة كاملة ليعكروا السلام وينتقضوا على ظل الله فى الأرض.

كبير الأساقفة : سيدى لورد لانكستر الطيب

أنا ما جئت إلى هنا لأثور على أببك وأعكر سلام بلادى،
ولكن الحقيقة كما قلت لسيدى لورد وستمورلند،
أن اضطراب الأيام هو الذى حملنا

على أن نتجمع فى هذه الجموع المخيفة الهائلة
بدافع من شعورنا بالخطر الذى يتهددنا جميعاً لنعمل على أن نصون
سلامتنا ونحمى أنفسنا من المخاوف.
ولقد بعثت إلى سموك تظلمنا وآلامنا
التي سبق أن رفعناها إلى القصر فقوبلت بالرفض المهين
وأدى هذا الرفض إلى مولد هذه الحرب المتعددة الرؤوس
والتي لا يزال فى الإمكان تسكينها بسهولة
بالاستجابة إلى مطالبنا الحق العادلة

وعندئذ تشفى الطاعة المخلصة من لوثتها الجنونية
وتفى إلى السكون وترتمى مستسلمة عند أقدام الملك.

مبارى : أما إذا لم تجب مطالبنا فإننا على استعداد أن نجرب حظوظنا وأن
نخوض هذه الحرب حتى آخر رجل فينا.

هيستيجز : وإذا أخفقنا نحن في محاولتنا هذه وقضى علينا فلن تهدأ المعركة فإن
وراءنا أمدادًا ستجرب هي الأخرى وتعاود الكرة
فإن لم توفق جاءت الثالثة من وراءها لتحذو حذوها
وهكذا دواليك يتوالى الشر ويتوالد
ويرث جيل عن جيل حمل عبئ هذا الصراع
ويظل هذا الحال ما ظلت إنجلترا تعقب.

جون : إنك ضحل التفكير يا هيستيجز وإن بصرك لا ينفذ كثيرًا.
بل لا ينفذ في أمر أبدًا حين تتعرض لسبر أغوار ما يجد من أيام
وستمورلند : إن أذنت يا صاحب السمو أرجو أن تجيبهم بصراحة إلى أى مدى
أرضتكم مطالبهم

جون : لقد رضيت عنها جميعها وسلمت بها جميعًا
وإنى لأقسم هنا بشرف محتدى
إن مقاصد أبى قد أسئ تأويلها
وإن بعض من حوله من أصدقائه المقربين
قد أسرفوا في تحريف أغراضه وإساءة استخدام سلطانه.

سيدى إن هذه المساوى كلها ستقوم على الفور
وقسمًا بحياتى لنقوم جميعًا وتصلح. فإذا راكم هذا وحاز عندكم
القبول فأرجو أن تسرحوا قواتكم، وتدعوها تتفرق إلى مواطنها في
المقاطعات المختلفة،

ونحن أيضًا سنفعل هذا بقواتنا. وهيا بنا في هذه البطحاء وسط

معسكرنا

نشرب معا فى صداقة وود، ونتعانق أمام جنودنا
ليروا بأعينهم أمارات المحبة والصفاء وعودة الحب إلى قلوبنا
ولينقلوا ذلك إلى بنى وطنهم إذا رجعوا إليهم.

٦٥

(وفى أثناء الحديث يأتى الخدم بموائد عليها زجاجات النبيذ والكؤوس)

كبير الأساقفة : إنى أتقبل كلمتك يا سيدى وأخذك عند وعدك فى تقويم المساوى
وإصلاحها.

جون : وأنا أعطيك العهد والميثاق وأعدك أن أحافظ على كلمتى وهأنذا
أشرب نخبك

هيستنز : اذهب أيها اليوزباشى وأذع فى الجيش أنباء السلام وأدّ لهم رواتبهم،
ومرهم أن يرحلوا إلى بلادهم،

٧٠

فأنا واثق أنهم سيتلقون النبأ بالبشر والسرور... هيا أسرع أيها
اليوزباشى

(يخرج اليوزباشى)

كبير الأساقفة : فى صحتك يا سيدى لورد وستمورلند النبيل.

وستمورلند : فى صحتك يا صاحب النيافة ولو علمت كم بذلت من المتاعب

ليتمخض الموقف عن هذا السلام الحالى

لشربت فى حرية وبلا تحفظ ولكن مهما يكن من شىء فإن حبى لك
سينكشف فى وضوح فى القريب العاجل.

٧٥

كبير الأساقفة : ما أشك فى حبك لى

(يشربان)

وستمورلند : إنى لسعيد بهذا..

الصحة لسيدى وابن عمى الكريم مبرأى.

ميراي : إنك تتمنى لى الصحة فى مناسبة غاية فى السعادة

لأنى أحس إحساسًا مفاجئًا بشيء من المرض.

٨٠

كبير الأساقفة : حين يشعر الإنسان بالصفو ويكون فى أحسن حالاته من البهجة

والسرور يحدث الكدر

وعلى العكس حين يشعر بالضيق والانقباض يكون ذلك إيذانًا بالفرج وموافاة الحظ.

وستمورلند : إذن قر عينا يا ابن العم ما دام هذا الانقباض المفاجئ ينبئ أن الغد

سيأتى بالفرج والمصرة.

٨٥ كبير الأساقفة : صدقنى يا أخى.. فأنا أشعر بنشوة وسرور بالغين.

ميراي : وهذا ينذر بالشر إذا سلمنا بأن قاعدتك صحيحة.

(هتافات)

جون : لقد بلغت كلمة السلام مسامعهم وأعلنت لهم..

اسمع كيف يضجون فرحًا

ميراي : لو أن هذه الصيحات جاءت فى أعقاب النصر، لكانت أكثر بهجة.

كبير الأساقفة : إن السلام كالنصر سواء بسواء

ذلك أن الفريقين فى ظله يغلبان فى نبل وترفع

دون أن يخسر أى من الفريقين شيئًا.

جون : اذهب يا سيدى ومر جيوشك أن تتفرق هى الأخرى.

(يخرج وستمورلند)

وأنت يا سيدى الطيب أرجو إن أذنت أن تأمر قواتك أن تسير أمانا

لتستعرض الرجال

الذين كنا سنلتحم بهم ونخوض غمار المعركة معهم.

٩٥

كبير الأساقفة : اذهب أيها السيد الطيب هيستنجز، ومرهم أن يمروا أمامنا قبل أن يتفرقوا.

(يخرج هيستنجز)

جون : إنى على ثقة أيها السادة أننا سنمضى الليلة معًا هنا (يدخل وستمورلند) إيه يا ابن العم فيم وقوف جيشنا صامدًا إلى مكانه.

وستمورلند : إن القواد قد تلقوا أوامرهم منك بالوقوف.
١٠٠ ولن يتفرقوا حتى يسمعونك تأذن لهم فى ذلك.

جون : إنهم يعرفون واجباتهم حق المعرفة (يدخل هيستنجز)

هيستنجز : سيدى اللورد. إن جنودنا قد تفرقوا
كالغزلان الصغيرة حين يطلق سراحها
وأخذوا يعدون شرقًا وغربًا وشمالًا ويمينًا متخذين طريقهم إلى بيوتهم
أو كالمدرسة حين يؤذن لها فى الانصراف يسارع
تلاميذها إلى بيوتهم أو أماكن لهوهم

١٠٥

وستمورلند : هذه أنباء سارة يا سيدى لورد هيستنجز تستحق من أجلها
أن أقبض عليك أيها الخائن بتهمة الخيانة العظمى، وعليك أيضًا يا
سيدى كبير الأساقفة وأنت يا سيدى اللورد مبراى،
أنى أنهم كليهما بتهمة الخيانة العظمى
(يوضعون تحت الحراسة)

١١٠ مبراى : وهل هذا إجراء عادل وشريف؟

وستمورلند : وهل كان تجمعكم كذلك؟

كبير الأساقفة : وهل تتقض عهك على هذا النحو؟

جون : أنا لم أتعهد لكم بشيء فيما يتصل بسلامة أشخاصكم، فقد وعدتكم أن أقوم المساوي التي شكوت منها وأن أصلحها،

وهذا ما أقسم بشرفي إنى سأنفذه بكل دقة شأن المسيحي الشريف

أما أنتم أيها الثوار فأعدوا أنفسكم

لتذوقوا جزاء ما جنت أيديكم وما أحدثتم من ثورة.

لقد بدأت بجمع هذه القوات فى غباء وحمق، دون أن

تسبروا غور الأمور،

وجئتم بها إلى هنا فى طيش ونزق، ثم فرقتموها من هنا ببلاهة وغباء.

دقوا طبولنا وتابعوا هذه القوات التى تفرقت أيدى سبأ فله وحده ندين اليوم بهذا النصر الذى لا يد لنا فيه،

وليحرس بعضكم هؤلاء الخونة إلى المقصلة

التي هى المئوى الحق لأمثال هؤلاء الخونة فهى المخدمة

لأنفاسهم القاضية على حياتهم.

(تدق الطبول وتسير الجيوش)

المنظر الثالث

نفير الحرب - حملات ومناوشات بين جند الأمير جون وبعض الثوار الفارين يقدم
فولستاف ويواجه شخصا يسمى كولفيل ويستعدان للقتال

فولستاف : ما اسمك يا سيدى.. وما رتبك ومن أين أنت

٤ كولفيل : أنا فارس يا سيدى واسمى كولفيل من أبناء الوادى؟

فولستاف : حسناً يا سيدى إذن، كولفيل اسمك، والفارس رتبك والوادى

مكانك. سيظل كولفيل اسماً لك، وسيكون الخائن رتبك، والجب
مكانك وهو مكان جد عميق، ومن ثم ستظل تحمل اسم كولفيل من
١٠ الوادى العميق.

كولفيل : أأست سير جون فولستاف؟

فولستاف : رجل فى أصالته يا سيدى أيّا أكون.. هل تستسلم يا سيدى أو تحملنى
على أن أقاتلك وأتصيب فى جهادك؟ إن أنت حملتنى على أن
أتصيب عرفاً فكن على ثقة أن هذه القطرات هى دموع محبيك التى
سيذرفونها حزناً على مصرعك. لذلك هز مشاعر الخوف والفرق،
١٧ وأيقظها فى نفسك واستسلم شاكرًا بين يدي رحمتى.

كولفيل : (بركع) أعتقد أنك سير جون فلستاف وبوحى هذا الاعتقاد أستسلم لك.

فولستاف : إن بطنى تدل على؛ فهى أشهر من نار على علم، وكلها ألسنة تنطق
باسمى فى كل مكان. ولو كانت لى بطن أقل بروزاً وأكثر ضموراً
لكنت أشد الفتيان نشاطاً وأخفهم حركة فى أوربا كلها.. أواه إن
رحمى.. رحمى^(٤٥) تحطمنى وتقصد على حياتى هذا هو قائدنا يقبل
(يعود الأمير جون ووسمورلند وبلنت)

٢٧ جون : لقد هدأت حدة القتال فكفوا عن المتابعة الآن

واستدع قوائنا يا ابن العم الطيب وستمورلند

(يسرع وستمورلند خارجا) هيه. يا فلستاف أين كنت طوال هذه المدة،

أو عندما ينتهى كل شىء تقبل أنت؟

أن ألاعيبك هذه لا بد أن تؤدى

إلى كسر مشنقة من المشانق يوما من الأيام^(٤٦).

٢٢

فولستاف : إن الأسف ليعرونى يا سيدى اللورد لو أننى لم أعنف ولم ألم لومًا كهذا الذى وجهته إلى فإن مدح المرء بما لا يستحق هو ذم فى قالب المدح ولكنى أعرف دائمًا أن اللوم والتعنيف هو جزاء البسالة.. ماذا كنت تحسبنى يا سيدى؟..

أحسبتنى طائرًا خفيف الجناحين أم حسبتنى سهمًا مارقًا، أم حسبتنى رصاصة منطلقة، أم حسبت أن لى أنا البطيء الحركة الضعيف الخطو سرعة كلمح الفكر؟ ومع ذلك فقد أسرعت إلى هنا مستغلًا كل ما وجدت من الوسائل إلى أبعد مدى، واستبدلت فى الطريق إلى هنا نيفًا ومائة وثمانين حصانًا، ركبتها جميعًا حتى كلت الواحد بعد الآخر. وما أن بلغت هذا المكان مجهدًا أشعث أغبر من رحلتى الطويلة كما أنا بين أيديك الآن حتى أسرت سير جون كولفيل من أهل الوادى بما لى من جسارة معصومة من الزلل نقية لم تشبها شائبة، أسرت هذا الفارس العضود والعدو الجسور، ولكن ماذا وراء هذا، لق رآنى فاستسلم حتى حق لى أن أقول كما قال قيصر روما ذو الأنف الأقرنى!

٣٧

جئت فرأيت فانتصرت.

جون : لك أن تمتدح تواضعه لا أن تثنى على مزاياك، إن الفضل

فى تسليمه يرجع لمجاملته أكثر مما يرجع لجهدك.

٤٨

(٤٦) يعنى أنه لضخامة جسمه لن تتحملة المشنقة بل ستتكرر به.

فولستاف : لست أدري لأيهما يرجع الفضل، ولكنى قد أسرتته على أى حال وهأنذا أقدمه إليك، وأرجو يا صاحب السمو أن تأمر بإدراج هذه المفخرة فى عداد مفاخر هذا اليوم، وألا تفعل فبحق السيد المسيح لأضمنها أغنية تكتب خصيصًا لتمجيد هذه الذكرى وأنشرها متوجة بصورتى، وكولفيل ينحنى ليقبل قدمى. وإذا اضطررت اضطرارًا إلى أن أسلك هذا المسلك، وإن لم أجعلكم تبدون إلى جانبى كما يبدو - البنى المذهب إلى جانب الجنيه الذهب، وإن لم أخسف بنورى فى سماء المجد الصافية أنواركم كما يطمس نور البدر بصيص أضواء الشهب والنجوم فى السماء التى تبدو إلى جانبه كأنها رؤوس الإبر، فلا تصدقوا بعد ذلك كلام نبيل مثلى. فاكتفوا أنفسكم بثبوتة هذا وأظهروا حقى ومكنوا لكفايتى صعود درجات المجد.

٦١

جون : كفايتك من ثقلها لا تقوى على الصعود.

فولستاف :

إذن فمكنوها من أن تضى.

جون : سمئك قد فاق الحد؟ هى أثخن من أن تضى.

فولستاف :

دعوها تفعل أى شىء من أجلى يا سيدى اللورد الطيب،

وسموه ما شئت ما دام ذلك يحقق لى الخير.

٦٦

جون : هل اسمك كولفيل؟

كولفيل : هو ذلك يا سيدى.

جون : أنت من الثوار المعروفين يا كولفيل؟

فولستاف ٧٠ : وقد أسره أحد الرعايا المخلصين ومن المعروفين أيضًا يا سيدى.

كولفيل : أجل يا سيدى. ولست فى هذا بأقل ممن هم خير منى ممن قادونى إلى هنا

غير أنهم لو كانوا تحت أمرى ولم يسلموا لك بلا حرب لكلفك أخذهم غاليا يا سيدى.

فولستاف : لست أدري الثمن الذى باعوا به أنفسهم، غير أنى أعلم أنك سلمت نفسك كما يفعل الرجل الكريم بلا مقابل وبلا شرط. وأنا شاكر لك أن أهديت نفسك لى.

٧٦

(يسمع صوت النفير من بعد تأمر بالارتداد ويدخل وستمورلند)

جون : هيه.. هل كففت عن الطراد؟

وستمورلند : لقد تم التراجع ولم يبق إلا تنفيذ الإعدام.

جون : أرسل كولفيل لينضم إلى رفاقه فى المؤامرة،

إلى يورك ليواجه الإعدام. ٨٠

أى بلنت خذ الرجل إلى هنا وأمعن فى حراسته.

(يخرج بلنت ومع كولفيل) والآن أيها السادة هيا بنا

نستعد للرحيل لنذهب إلى القصر.

فقد سمعت أن الملك أبى اشتدت عليه وطأة المرض،

وستسبقنا أنباء النصر إلى مسامع جلالته

وستحملها إليه يا ابن العم لتدخل السرور على نفسه، وسنأتى على ٨٥

أثرك بأقصى سرعة تسمح بها ظروفنا.

فولستاف : سيدى أرجوك أن تأذن لى أن أعود عن طريق جلوسنشير، وأتوسل

إليك، سيدى حين تعود إلى القصر أن تكون شفيعى وأن تؤثرنى

بعطفك فى تقريرك الطيب.

جون : رافقتك السلامة يا فلستاف. سأحدث عنك فى تقريرى ٩٠

بخير مما تستحق بدافع من طبيعتى

(يخرج الجميع عدا فلستاف)

فولستاف : وددت لو توافر لك الألمعية والذكاء اللذان تستطيع بهما أن تتحدث

عنى بخير مما أستحق، ليت هذه الموهبة تتوافر لك فهى خير لك من

دوقيتك. وأيم الحق أن هذا الفتى الرزين الجاد لا يحبنى، وما من أحد

يستطيع أن يحمله على الضحك. ولا عجب في هذا فهو

٩٥

لا يشرب النبيذ. وما من أحد من هؤلاء الفتيان الجادين المتزمتين قد برهن على أنه كفاء لأى شىء حين وضع فى محك الاختبار. ذلك أن مداومتهم على شرب الماء القراح وما إليه من سوائل تبرد دماءهم وإقبالهم على أكل السمك فى سرف أصابهم بداء الخلوروز^(٤٧) ومن ثم فإنهم حين يتزوجون يصبحون هم أنفسهم كالنساء ولولا المثيرات^(٤٨)

١٠٠

لكان بعضنا عرضة لهذا أيضًا. أجل لولا النبيذ الطيب السخى الذى يدفىء جسمنا وينشطنا ويحفزنا لكنا عرضة لذلك! إن النبيذ الطيب

١٠٥

السخى يؤدى لنا وظيفتين فهو يصعد إلى الدماغ ويمتص كل الأبخرة المعنمة المنومة والمتخمرة التى تغلفه، وينشطه فيفتق للفهم حيًا

مبدعًا خلقيًا ممثلًا بالصورة الخفيفة والمتهبة والمبهجة، حين يتمخض عنها الصوت أو اللسان تخرج إلى الدنيا وتصير بديهة

بارعة. أما الخاصية الثانية من خواص النبيذ فهى تسخين الدم وتنشيطه، فالدم قبل النبيذ يكون عند خروجه من الكبد أبيض مصفرًا

باردًا راکدًا وهذه الصفرة من أعراض الخور والجبن. ولكن النبيذ يدفىء الدم ويحركه فيندفع من داخل الجسم إلى الأطراف القصية منه،

ويضئ الوجه الذى يقوم بدور النذير عند لخطر لبقية أجزاء هذه المملكة الصغيرة التى تكون الإنسان لتتسلح وتأخذ أهبته. وعندئذ

١١٥

تتجمع قوات الجسم الثانوية حول قائدها القلب، ليجندها. والقلب حين يشد أزره ويعظم أمره بهذه الحاشية المجندة حوله يقدم على أى عمل

من أعمال الشجاعة والبسالة تطلب إليه؛ هذا الإقدام كله مرده إلى النبيذ السخى. ومن ثم فالحدق فى استعمال الأسلحة لا قيمة له بدون

١٢٠

النبيذ، لأنه، هو الذى يطلقه من جموده وينشطه للعمل. وليس التعلم إلا كنزًا من الذهب مخبوءًا تحرسه الأبالسة، لا يمنح الإجازة فى

استغلاله ولا يأذن بممارسته والانتفاع به إلا النبيذ. وبهذا ينجلي الأمر

(٤٧) Gereen sichness أو Chloropis مرض مصحوب بفقر الدم يصيب الفتيات أعراضه اخضرار

الجلد بعض الشىء واضطراب الحيض إلخ.

(٤٨) كالخمر وغيره...

١٢٥

فى شأن شجاعة الأمير هارى فالدّم البارد الذى ورثه بالطبيعة عن
أبيه قد تعهده كما تتعهد الأرض الضعيفة الجذباء القحلة بالتسميد
والحرث والرعاية، تعهده بالجهود المتصلة فى تخير أطيب الأنبذة
وشربها، وتزويد نفسه بكميات وافرة منها، كلها دسم مخصب حتى
حمى دمه وصار شجاعاً مقداماً. ولو كان لى ألف ولد لكان أول
درس دنيوى أحرص على تلقينه إياهم هو أن يقسموا على أن ينبذوا
شرب الماء القراح والسوائل الخفيفة وأن يدمنوا شرب النبيذ.

١٣٠

١٣٥

(يدخل باردولف من الخلف ويمسه من فوق كتفه) ما وراءك يا باردولف؟

باردولف : (وهو يضحك بصوت منخفض) لقد سرح الجيش كله وتفرق.

فولستاف : ذرهم يذهبوا أما أنا فسأمر بجارستشير حيث أزور السيد روبرت شالو
المالك. لقد أصبح عجينة رخوة بين سبابتى وإبهامى أشكله وفق
مشيئتى ولن يمضى إلا قليل من الوقت حتى أستخدمه فيما أريد. فهيا
بنا نذهب.

١٤٠

(يخرجون)

المنظر الرابع

(القصر - قاعة أورشليم - الملك يجلس على كرسى العرش وقد وقف حوله الأمير توماس كلارنس والأمير همفري جلوستر وأيرل ورك وأيرل كنت وآخرون)

الملك : هيه.. أيها السادة إذا من الله علينا بالنصر

فى هذا القتال الدامى الناشب بين ظهرانينا

فلأقودن شبابنا لخوض معارك أنبل غاية.

ولن نجرد سيفاً بعد ذلك إلا لإعلاء كلمة الدين

إن أسطولنا يقف متأهباً للعمل، وجيوشنا قد تجمعت، ونوابنا فى

الحكم قد عينوا ومنحوا سلطاتهم ليقوموا مقاومنا حال غيابنا،

وكل شىء يسير وفق مشيئتنا

ولم يعد يحول بيننا وبين الرحيل إلا انتظار بعض العافية وانتظارنا أن

يسلم هؤلاء الثوار القائمون الآن بحركتهم

وفيفئوا إلى الطاعة

ورك : ما أشك فى أن كلتا الأمنيتين سنتعم بها جلالتك حالا

الملك : أى ولدى همفري - دوق جلوستر -

أين أخوك الأمير؟

جلوستر : أظنه خرج للصيد فى وندسور يا مولاي.

الملك : ومن صحبه؟

جلوستر : لست أدري يا مولاي

الملك : ألم يصاحبه أخوه توماس دوق كلارنس؟

جلوستر : كلا يا مولاي الطيب فتوماس حاضر معنا هنا.

كلارنس

: (يتقدم) ما هش مشيئتك يا مولاي وأبى؟.

الملك

: لا شىء إلا الخير لك يا توماس دوق كلارنس.

٢٠

كيف حدث أن تركت صحبة أخيك الأمير

مع أنه يؤثرك بالحب وأنت تتجافاه يا توماس؟

لك مكانة فى قلبه أكثر من كل أخوتك،

فزدها يا فتاى وأحطها بالرعاية

٢٥

لتستطيع أن تقوم بالوساطة النبيلة

بين عظمته وبين أخوتك الآخرين

بعد أن أثوى فى لحدى،

ولهذا أطلب إليك ألا تتعافل أو تتقاعس عن الفوز

بقلبه، ولا تتلم حدة محبته،

ولا تضيع مزية عطفه

بتصنع البرود وإظهار عدم المبالاة لإرادته

٣٠

فهو كريم السجايا إذا أحيط وخص بالعناية، قريب الدموع يلبى نداء

الرحمة إذا استثيرت كوامنه، سخى اليد ندى كالصبح حين تستدر

شفقته

ولكنه رغم كل ذلك صخر لا يلين إذا غمز جانبه، يقدح شرارًا إذا

أورى زناده قاس متقلب النزوات كالشتاء سريع مفاجئ كالعاصفة

التلجية التى تحمل البرد فى مطلع النهار

٣٥

ومن ثم يجب أن ترعى مزاجه غاية الرعاية،

عنفه على أخطائه ولكن فى كرامة

حين تتلمس فيه ميلا للمرح،

فإذا أحسست منه العبوس واكتئاب المزاج فارخ له الزمام ومد له حبل

الصبر

حتى تستنفذ هذه النزوات أغراضها وتهمد كما يهمد الحوت الذى جر
إلى الأرض بعد أن يستنفذ قواه فى المجاهدة والمقاومة
تذكر هذا يا توماس تكن ملجأ لأصدقائك ومثابة لهم وأمنًا
وتكن العروة الوثقى التى تربط بين إخوانك جميعًا برباط متين
حتى لا تتعرض سفينة القرى التى تجمعهم ووشيجة القرى التى
توحدهم

إلى أن تخرق أو تتبت حين تختلط بسموم الألسنة الحاقدة والوقية
وهو أمر لا مفر منه لأنه من طبيعة الزمان والإنسان
مهما تكن هذه السموم شديدة الفاعلية
كالسم الزعاف أو البارود المتفجر.

كلارنس : سألحظه بالعناية وأحيطه بالرعاية والحب.

٥٠ الملك : ولماذا لست معه فى وندسور يا توماس؟

كلارنس : إنه ليس هناك اليوم. فهو يتعشى فى لندن.

الملك : ومن صحبتته؟ ألا تستطيع أن تخبرنى؟

كلارنس : فى صحبة بوان وغيره من صحابته المعتادين.

الملك : إن أشد الأراضى خصوبة هى أكثرها تعرضًا للآفات والأعشاب
الضارة

وها هو ذا ابنى وظل شبابى النبيل

قد طغت عليه هذه الأعشاب وغلبته على أمره

لشد ما أنا محزون حزنًا يمتد بى إلى ما بعد ساعة الموت

إن قلبى لينفطر ويمج دمًا حين يسرح بى الخيال

وأتصور ما سيؤول إليه الحال عندما أوارى فى التراب إلى جانب
أسلافى

حين تبدو لعين خيالى أيام الفوضى والإباحية

التي ستواجهونها حين تتطلق شهوته العارمة على هواها ولا تجد من
يرد جماحها،

وحين يصبح الهوى والنزق دليله وقائده،

وحين تتجمع فى يده الجدة والسلطة،

فوا حزنه كيف تلح به عندئذ شهواته وعلى أى جناح من سرعة تطير
به نزواته

معجلة به نحو الخطر الداهم والدمار المحيق.

ورك : مولاي الرحيم، إن اهتمامك بالنظر إلى هذه الشرور والآثام التي تحيط

بالأمير قد جعلك تجاوز حقيقته وتباعد عن طبيعته،

ذلك أن الأمير إنما يدرس أصحابه

كما يفعل الغريب حين يدرس لسانًا جديدًا،

فهو مضطر إلى أن يدقق النظر فى كل كلمة وأن

يحفظها حتى ولو كانت نابية

ليملك ناصية اللغة، حتى إذا ما مكلها

هجر حوشها، كما تعلم يا صاحب الجلالة،

وأدرك أن هذه الكلمات إنما تعرف لتهجر وكذلك شأن الأمير

فإنه حين تكمل تجاربه وتتضج أيامه

سيهجر هؤلاء الصحاب كما يهجر حوشى القول ومتبذله،

وتبقى ذكراه فى نفسه كالطراز أو النمط الذى تقص عليه الملابس

ليقيس سموه حياة الآخرين،

فينفض عنه مفاصد الماضى ويخلعها ويرتدى مكانها مفاخر وأمجادًا.

الملك : قلما تهجر النحلة خليتها

ولو بنتها فى الجيفة الميتة.

(يدخل وستمورلند)

من هناك؟ أهذا أنت يا وستمورلند.

وستمورلند : الصحة لمولاي الملك، وفيض السعادة والسرور فوق ما أحمل من

خير! مولاي. إن الأمير جون يقبل يديك الكريمتين،

وقد أخضع مبراى والأسقف سكروب. وهيستجز ودانوا جميعًا لحكم
قانونك،

٨٥

ولم يبق الآن سيف مشرع من سيوف الثوار

بل نشر السلام أغصان الزيتون في كل مكان

أما كيف تم الأمر لنا

فهنا في هذه الرسائل تستطيع أن تقرأ وقت فراغك يا مولاي

٩٠

تفصيل الحوادث واحد واحدة.

الملك : أى وستمورلند.. لأنت البشير. لأنت صداح الصيف

الذى يأتى آخر الشتاء ليغرد ترانيم انبلاج الصبح،

انظر ها هي ذى أنباء جديدة تقد علينا.

(يدخل هاركورت)

هاركورت : وفاك الله يا مولاي شر أعدائك،

فإن تعرضوا لك فليذهب الله بريحهم

٩٥

كما ذهب بريح أولئك الذين جئت أحمل إليك أنباء اندحارهم،

فقد هزم إيرل نورثمبرلند ولورد باردولف

ومعهم جيوش مجندة من الإنجليز والإسكتلنديين.

فقد قضى عليهم وهزمهم شر هزيمة حاكم يوركشير

أما كيف هزموا وكيف سار القتال لغايته

١٠٠

فهذه الرسائل إن أذنت يا مولاي تحمل كل الأنباء بالتفصيل.

الملك

: ما لهذه الأنباء الطيبة السارة تسلمنى للمرض؟

أو حتم ألا يواتى الحظ كاملا أبدًا فيأتى بالخير ملئ يديه أم لا بد من نقصان يشوبه فيخط الكلمات الطيبة الجميلة بحروف مشوهة كريهة؟

فالحظ إما أن يواتى بالشهية وينتقص الطعام

كما هى الحال مع الفقراء حين يمنحهم الصحة ويحرمهم الزاد الوفير

وإما يكثر الأرزاق ويجرم الشهية كما هى الحال مع الأغنياء

حين يعطيهم السعة فى العيش ويسلبهم نعمة الاستمتاع بها.

لقد حق لى أن أحتقى الآن وأبتهج بهذه الأنباء السعيدة، ولكن بصرى يضعف فلا أكاد أرى وعقلي يضرب فلا أكاد أعى.

أواه يا رباه أمسكونى واقتربوا منى. فإن العلة قد اشتدت بى.

١٠٥

١١٠

(يغمى عليه ويسقط على الأرض فيسرع إليه الأمراء)

: اطمئن يا مولاي صاحب الجلالة!

جلوستر

: أبى يا صاحب الجلالة

كلارنس

: مولاي الملك أفق لنفسك خفف عنك وانتعش.

وستمورلند

: الصبر الصبر أيها الأمراء،

ورك

فأنتم تعرفون أن هذه النوبات معتادة على جلالته، وكثيرًا ما تنتابه.

ابتعدوا عنه وخلوا بينه وبين الهواء يستفيق فورًا ويعد إلى صوابه.

: لا.. لا إنه لن يستطيع تحمل هذه الآلام طويلا،

كلارنس

فقد هـد كيانه وحطم بنيانه موالاة السهر والعمل وكـد الذهن

حتى خبت ذبالة حياته

ولن تلبث أن تتطفئ.

١٢٠

: إن الناس تخيفنى وتدخل الرعب إلى نفسى.

جلوستر

فهم يتحدثون وقد تملكهم الفزع عن ظواهر خارقة للطبيعة. وعن

مواليد مرعبة مخيفة، وعن أطفال حملت بهم العذارى من المردة
والجن

وعن تغيير الفصول واختلاط أحوالها

كأنما السنة فى مدارها مرت على شهور فوجدتها نائمة
فتخطتها وقفزت عنها إلى غيرها.

١٢٥ كلارنس : وقد فاض النهر ثلاث مرات متواليات دون أن يغيض مرة واحدة.

ويقول العجائز وهم المؤرخون الحمقى

إن النهر فاض مثل هذه الفيضانات

قبل أن يمرض جدنا الأكبر إدوارد ويموت بقليل.

ورك : اخفضوا أصواتكم أيها الأمراء. لقد بدأ الملك يستفيق.

١٣٠ جلوستر : ستكون فى هذه النوبة آخرته المحتومة ولا ريب.

الملك : أرجو أن تقيمونى وتنقلونى من هنا إلى قاعة أخرى.

احملونى فى رفق أرجوكم.

(يحملة ورك وستمورلند ويخرجون به ومن ورائهم الأمراء)

المنظر الخامس

قاعة أخرى فى القصر - الملك ينام على فراش وبين يده كلارنس

وجلوستر وورك وآخرون

الملك : أرجو أن تعفونى من كل ضجيج أيها الأصدقاء الكرام.

إلا أن تكون أنغامًا موسيقية هادئة

تعزفها يد حانية رقيقة لتتعش روحى المعذبة.

ورك : أعدوا الموسيقى فى قاعة أخرى

الملك ه : ضعوا التاج هنا إلى جانبى على هذه الوسادة.

كلارنس : لقد غارت عيوننا وتغيرت حاله تغييرًا ظاهرًا

(يدخل الأمير هنرى على عجل)

ورك : خفف الوطاء.. خفف الوطاء

(يضع التاج على الوسادة)

الأمير : من منكم رأى الدوق كلارنس؟

كلارنس : هأنذا يا أخى تثقلنى الهموم.

الأمير : أتسح الدنيا فى الداخل ولا تمطر فى الخارج؟

كيف حال الملك؟

جلوستر : فى شدة المرض..

الأمير : وهل بلغت مسامعه الأنباء السارة؟

أبلغوه إياه.

جلوستر : لقد تغير كثيرًا حين سمع بها.

الأمير : إذا كان السرور قد غلب عليه فأمرضه فسيشفى دون حاجة إلى علاج.

١٥

(يرى الأمير هنرى)

ورك : خففوا الضجيج يا سادتى.

خفض من صوتك يا سيدى الأمير المحبوب
فإن الملك والدك يتداعى للنوم.

كلارنس : هيا ننسحب إلى القاعة الأخرى.

ورك : أتأذن يا صاحب السمو أن تصاحبنا إلى هناك.

الأمير ٢٠ : لا، لا أجلس هنا وأسهر إلى جانب الملك

(يخرجون من الباب الأيسر) لماذا يرقد التاج هنا فوق وسادته

وهو رقيق جد متعب مؤرق لصاحبه فى الفراش؟

إيه أيها القلق البراق.. إيه أيها الهم الذهبى.

يا من تنفى الرقاد من العيون وتسدها

مفتحة الجفون مؤرقة ليالى طوالا، أينام أبى وأنت جانبه؟ ٢٥

ولكنه نوم على أية حال ليس فى نصف حلاوة نوم الحلى

الذى غطى رأسه

واستغرق فى نوم هنيء طوال الليل. إيه يا تاج الملك!

إنك حين تشقى وتعذب حاملك

تحل فوق رأسه كدرع سميك يلبس فى حر النهار. ٣٠

فيشوى صاحبه بلظاه وإن ضمن له الحماية والأمن (يقترّب من فراش

الملك) إن بالقرب من شفتيه ومخرج أنفاسه زغب ريشة ولكنها ساكنة

لا تتحرك: ترى هل يتنفس؟ لو كان يتنفس لتحركت بالضرورة هذه

الخفيفة التى لا وزن لها (يصرخ) مولاي الكريم..

أبتاه..

٣٥

هذا هو النوم العميق بحق،

هذا هو النوم السرمدي الذي أخرج عددًا كبيرًا من ملوك إنجلترا

من هذه الدائرة الذهبية.

إن حَقَّكَ على أن أذرف الدموع وأن يملأ الحزن جوانحي كمدًا

وهذا يا أبتاه العزيز ما سأوفيكه بسخاء

٤٠

بدافع من طبيعتي وحبى وبنوتى الحنونة المخلصة لك.

أما حقى عندك فهو هذا التاج العظيم

الذى ينحدر إلى لَأْنَى خليفتك الطبيعى وأقرب الناس إليك مكانة ونسباً.

(يضع التاج على رأسه) انظر أين حل التاج؟

إنه حيثما حل حرصته عناية الله! ومهما تجمعت قوى الدنيا كلها

وتركزت فى ذراع مارد جبار فلن تستطيع

أن تغتصب هذا الشرف الموروث أباً عن جد منى.

هذا التاج الذى ورثته عنك سأورثه لخليفتى وأتركه له سليماً كما تركته

لى (يرجع على ركبتيه لحظة فى صلاة وخشوع ثم يغلبه الأسى

فينسحب فى هدوء من الباب الأيمن. سكون)

الملك : (بتحرك) ورك.. جلوستر.. كلارنس (يعود ورك والأمراء الصغار على عجل)

كلارنس : أينادى الملك

٥٠ ورك : ما هى مشيئتك يا صاحب الجلالة وكيف حالك يا مولاي

الملك : لم تركتمونى هنا وحيداً يا سادتى

كلارنس : تركنا الأمير أخى هنا يا مولاي،

فقد أخذ على نفسه أن يجلس معك ويسهر إلى جانب فراشك.

٥٥ الملك : أمير ويلز أين هو دعونى أراه

أنه ليس بينكم هنا

ورك : (مشيرًا إلى الباب الأيمن) إن هذا الباب مفتوح ولا بد إنه خرج منه

جولستر : إنه لم يخرج إلى القاعة التى كنا نجلس فيها.

الملك : وأين التاج؟ من أخذه من فوق وسادتى؟

ورك : حين خرجنا تركناه هنا فى موضعه يا مولاي.

٦٠ الملك : إذن لقد أخذه الأمير اذهب وابحث عنه.

أهو متعجل إلى هذا الحد

حتى ليظن نومى موتى؟

ابحث عنه يا لورد ورك وأرسله إلى هنا، وله على ما فعل

(يخرج ورك) هذه العجلة من جانبه تتحالف مع دائى وتعجل بآخرتى.

تأملوا يا أبنائى أى شىء أنتم!

وانظروا كيف تسارع الطبيعة إلى الثورة والانتفاض حين يكون الذهب

هو الهدف والغاية!

ألمثل هذا أقض الآباء الحمقى الملهوفون مضاجعهم بالسهر والضنى

: لصالح أبنائهم، وكدوا أذهانهم بالهموم،

وهدوا عظامهم فى السعى والعمل؟

ألمثل هذا جمعوا وكدسوا أكوام الذهب التى حصلوها بشق الأنفس

وأثقلوا ضمائرهم بخطايا جمعها بشتى الأساليب؟

وألمثل هذا تحملوا هم تنقيف أبنائهم

بالآداب وفنون الحرب؟

إننا كالنحلة التى تشتتار الرحيق من كل زهرة.

حتى إذا امتلأت أفواهنا بالشهد وأثقلت أفخاذنا بالشمع

عدنا إلى الخلية لنضع حملنا فيها

وجزاؤنا على هذا الكد لا يختلف عن جزاء النحل فنحن مثله نقتل

كى يفوز غيرنا بالشهد؟

إن هذا هو العلقم الذى يتجرعه الآباء على فراش الموت (يعودوك)

هيه أين هو ذلك الذى لم يطق صبراً

حتى يقضى صفة المرض أمره فى ويسلمنى للموت؟

ورك : مولاي! لقد وجدت الأمير فى الغرفة المجاورة يغسل خديه الرقيقين
بدموع الوفاء

وقد بدا الحزن المرير على ملامحه بوضوح مؤثر

ترق له قلوب العتاة الظالمين الذى لا يروى غلتهم إلا الدم المراق،

حتى لا يملكون عند مشاهدته إلا أن تسيل عبراتهم ويغلسوا
بمدرارهم مداهم.

إنه قادم إلى هنا يا مولاي.

: ولكن لم أخذه التاج من هنا؟

الملك

(يدخل الأمير هنرى) انظروا ها هو ذا قادم. تعال

هنرى يا هنرى اقترب منى،

أخرجوا من هذه الغرفة ودعونا وحدنا (يخرج ورك والآخرين)

: ما ظننت قط أن أعود فأسمعك تتكلم ثانية.

الأمير

: هذا الظن من بنات رغباتك يا هنرى!

الملك

لقد أطلت البقاء إلى جانبك حتى أملتك

هل أنت متعطش إلى هذا الكرسي لا تطيق صبراً على بعده

حتى لتتعجل بإلباس نفسك أمانة ملكي وتاجي

قبل أن تحين ساعتى؟ يا لحماقة الشباب

أتسعى إلى العظمة التى ستهلكك؟

تمهل قليلاً فإن سحابة عظمتى

لما تنزل تمسكها أنفاس ضعيفة

١٠٠

لن تلبث أن يتساقط ماؤها وتنقضى سريعاً إن نهارى

قد أظلم،

لقد سرقت التاج الذى سيصبح بعد ساعات معدودات ملكاً لك دون

حاجة إلى أن ترتكب إثماً

وهأنت ذا قد أثبت ساعة موتى أن ظنى فيك كان حقاً!

فقد كانت حياتك تشهد بأنك لا تحبنى،

١٠٥

وأنت أردتتى على أن أموت متيقناً من هذه الحقيقة.

لقد كنت تخفى لى العداوة والقللى وتضمر لى الشر فى أفكارك

وتشخذ خناجر بغضك على قلبك الحجرى

لتكيل لى الطعنات قبل أن أقضى بنصف ساعة.

١١٠

ألم يكن فى طوقك أن تمهلنى نصف ساعة؟

إذن هيا عجل بى واحفر قبرى بيديك

ومر الأجراس أن تدق دقات الفرح والسرور بدلا

من دقات الحزن والأسى على موتى،

ليمتلئ سمعك بأنك توجت لا بأننى مت.

واجعل الدموع التى ستبلى شاهد قبرى

١١٥

كأنها قطرات الزيت المقدس الذى تضحك به رأسك

وتبارك به تاجك.

واكتف بأن تدفن رفاتى مع رفات من سبقونى إلى الموت بأجيال
من أسلافى،

وألقي بهذا الذى نفخ فيك الحياة طعمة للديدان. وانزع من السلطان
كل رجالى، واخرق كل أوامرى، فقد حان الوقت الذى تسخر فيه
من كل نظام وقانون.

١٢٠

لقد توج هارى الخامس، إذن فليحيا الغرور!
وليسقط نظام الملك! وليخرج كل المستشارين الحكماء من القصر
وليحل محلهم وليجمع فى أروقة القصر
كل الحمقى المتحذلقين الذى لا يحسنون شيئاً إلا التفاهة ولغو
الكلام من كل إقليم ومكان!
والآن يا أبناء البلاد المجاورة لقد سنحت الفرصة لتتخلصوا من كل
تافه داخل حدود بلادكم.

أليس لديكم وغد أثيم يستطيع أن يلعن، ويشرب ويرقص،
وأن يعربد طول الليل، ويسرق، ويقتل،
ويرتكب الآثام القديمة والجديدة؟

١٢٥

إن يكن لديكم مثل هذا الوغد فقروا عيئاً فإنه لن يعود إلى إقلاقكم،
فإنجلترا ستتستر على خطاياها وتخفى معالمها مرتين، إنجلترا
ستهيئ له العمل، وتمنحه الشرف وتعطيه القوة، ولا غرو فهنرى
الخامس قد انتزع كمامة القمع من فم الإباحية
وأطلق لهذه الكلبة المسعورة العنان

١٣٠

لترضى شهواتها وتنتاش بأسنانها الأبرياء.
واهاً لك أى مملكتى المسكينة يا من مزقتك الحروب الأهلية

حين لم تستطع رعايتى أن تجنبك الثورات

١٣٥

ككيف بك حين يصبح الفساد راعيك وهاديك؟

إذن لتعودين بركة قاحلة

أناسيك الذئاب الجائعة، سكانك من قديم.

الأمير : (وهو راع) أسألك العفو يا مولاي. فلولا دموعي التي عطل تدفقها
لغة الكلام ١٤٠

لبادرت بوقف هذه الحملة من التقريع العزيز الشديد ولكفيتك مئونة
هذا الكلام المحزون، ولكفيت نفسي ألم الاستماع إليه إلى هذا
الحد.

هذا هو تاجك (يضمه على الوسادة مرة أخرى)

وليحرسه عليك إلى الأبد رب السموات الذي لا يموت

وإذا كنت قد أحببت تاجك

فما أحببته لذاته وإنما أحببته لأنه يمثل شرفك ومجدك،

وإن كذبتك فلا وعيت أن أقوم من ركوعي

هذا الذي هو مظهر لولائي وإخلاصي القلبي لذاتك،

هذا الولاء العميق الذي علمني هذا الخضوع.

فأنا حين دخلت إلى هنا، والله شهيد على ما أقول

ولم أجد في جلالكم حسًا ولا نفسًا

جمد قلبي في صدري.

وإذا كنت أفترى أو أتمحل كذبًا فذرني أمت وأنا على هذه الحال
الشعثة،

ولا تدعني أعش أبدًا لأرى هذه الدنيا الكذوب،

التغير النبيل الذي قصدت إليه،

وحين اقتربت لأطل عليك، وطننتك مينا،

كدت أموت كمدًا يا مولاي لمجرد التفكير في أنك مت وتحدثت

إلى هذا التاج كأنما هو شخص يسمع ويعي،

ووجهت له اللوم العنيف هكذا: "إن الهموم التي لا بد تصاحبك

١٤٥

١٥٠

١٥٥

أوهت جسم أبى وأكلته،

ولذلك صرت يا أفضل الذهب أخس الذهب.

إن هناك ذهباً أقل منك نقاء ولكنه أنفس منك وأعظم قيمة،

لأنه يحفظ الحياة حين يمزج فى جرعات الدواء

أما أنت الأشد نقاوة والأعظم شرفاً والأكثر شهرة

فقد أكلت حمالك". وهكذا يا مولاي المعظم

بعد إذ اتهمته وضعته على رأسى

لأقتص منه حقك كما أقتصه من عدو

بطش بأبى أمام عيني،

وضعته على رأسى لأقتص منه حقك بوصفى الوريث الشرعى

المخلص فى ولائه لا لك،

ولكنى إذا كنت أحسست بالفرحة تسرى فى عروقى أو بالزهو

يخالج أفكارى ويدفعنى للتعالى والغطرسة، وإذا كانت أية خالجة

من خوالج نفسى مهما تكن متمردة أو مغرورة.

قد أبدت جانب الميل إليه

أو اهتزت للحفاوة بهذا السلطان الذى يخلعه عليها التاج

فادع الله أن يحرم رأسى منه إلى الأبد،

وأن يجعلنى كأفقر تابع من عبيد الأرض

الذين يركعون له خوفاً ورفقاً.

: أى ولدى!

الملك

لقد وجهك الله لتأخذى هذا التاج فوراً

لتستطيع أن تتال المزيد من أبيك

بهذا الدفاع الحسن عن أخذك التاج.

اقترب منى هارى واجلس إلى جانب فراشى، واستمع إلى نصيحتى

الأخيرة فيما أظن؛ إن الله وحده هو الذى يعلم يا بنى
كم بذلت من جهد وكم سلكت من طرق جانبية وكم قطعت من
سبل ملتوية.

لأفوز بهذا التاج؛ وأنا أعلم حق العلم

١٨٥

كيف حل قلقًا على رأسى وكم أثار على من متاعب أما أنت
فسينحدر إليك أكثر استقرارًا وأشد اطمئنانًا
وأجل سمعة وأوطد مركزًا أمام الناس والقانون.

ذلك أن كل الأوشاب التى صاحبت اقتناصى له

قد دفنت معى فى لحدى

١٩٠

لقد كان مظهر التاج على جبينى مذكرًا للناس بالشرف الذى
انتزعته يد جبارة

وكان إلى جانبى كثرة تقاسمنى الحياة

ولا تفتأ تمن على بالعون الذى قدمته لى كيما أفوز بهذا التاج.

وكثيرًا ما كان العتاب يتحول إلى شجار وينتهى على قتال وسفك
دماء

١٩٥

يشوه جال السلام الذى كان يبدو فى الظاهر أنه ناشر ظله على
بلادى.

هذا المخاوف الشديدة التى تراها فرعًا قلقًا قد واجهتها بنفسى
وتغلبت عليها،

فقد كانت أيام حكمى كلها مسرحًا

لهذا الخلاف وتلك الحروب،

٢٠٠

ولكن موتى قلب الصورة الآن وغير المنظر،

فالذى كان يبدو فوق رأسى غنيمة منتزعة غير موروثة انتقل إليك

وحل على رأسك فى وضع أكثر قبولاً فى عيون الناس،
فأنت تلبس هذا الإكليل الملكى بحق الوراثة الشرعي، غير أنك وإن
تكن أثبت قدمًا وأظهر حقًا مما استطعت أن أبلغه،
فإن الملك لم يصف لك بعد، فما زالت الجراح والكُوم غضة لم
تلتئم،

ولا يزال أصدقائى الذين أعانونى على أمرى والذين لا بد لك من أن
تتخذهم أصدقاء، حديثى عهد بما فعلت فيهم من استئصال إبراهيم
وانتزاع أسنانهم حتى آمن شرهم،
هؤلاء الأصدقاء هم الذين أدين بعرشى لتدابيرهم العنيفة،
وهم الذين أخشى بحق أن أتعرض بسعيهم لفقده.

ولكنى أردت أن آمن جانبهم
وأتجنب هذه المخاوف فقلمت أظفارهم،

وإنه ليدور بخلدى الآن لأمر فى نفسى، أن أوجه
عددًا منهم على الأراضى المقدسة

خشية أن تحملهم الدعة ويدفعهم السكون
إلى أن ينقبوا من جديد ويبحثوا وجوه الرأى فى الحق
الذى تسنمت بمقتضاه العرش.

لذلك فليكن سبيلك أى ولدى هارى أن تشغل.

هذه العقول الغادرة الماكرة عن تقليب الأمور بالحملات الخارجية.
كى يمحوا انتقال المغازى إلى خارج إنجلترا آثار أيامى الماضية
وينسى الناس أحداثها.

ولقد كان بودى أن أسمعك المزيد من القول، ولكن رئتى كلتا
وأنفاسى تقطعت حتى لقد عجزت كل العجز ع الكلام.

أما كيف لبست التاج فهذا ما أسأل الله فيه المغفرة!

كما أسأله أن يثبت عرشك وأن يحيط بالأمن والسلام دعائم ملكك.

٢٠٥

٢١٤

٢١٥

الأمير

: مولاي الكريم،

لقد فزت بالتاج، ولبسته، وحافظت عليه وأعطيتني إياه،
فحقى فيه ما من بد حق شرعى واضح
وسأحتفظ به وأمسكه بحق
ولو تألبت ضدى قوى العالم كله، وسأبذل فى صيانتة كل مرتخص
وغال.

٢٢٥

الملك

: انظر ها هو ذا ابنى جون دوق لانكستر قد عاد.

جون

: الصحة والسلام والسعادة لجلالة الملك أبي!

الملك

: لقد جننت لى بالسعادة والسلام يا ابنى جون،

أما الصحة فوا أسفاه قد طارت بأجنحة شابة خفيفة من فوق هذا
الجزع المتغضن،

٢٣٠

والآن وقد رأيتك فقد انتهت رسالتى فى هذه الدنيا وختمت أعمالى،
أين لورد ورك؟

الأمير

: يا لورد ورك.

(يقدم لورد ورك)

الملك

: هل هناك اسم بعينه

يطلق على القاعة التى فاجأنى بها الإغفاء أول الأمر؟.

٢٣٥ ورك

: أجل يا مولاي، إنها تسمى قاعة أورشلیم

الملك

: الحمد لله، ففى هذه القاعة بالذات يجب أن تنتهى حياتى

فقد تتبى لى من عدة سنوات
أننى لن أموت إلا فى أورشليم،
وقد ظننت غرورًا منى أنها الأرض المقدسة،
فاحملونى إلى تلك القاعة حيث أرقد
إذ لا مفر من أن يقضى هارى نحبه فى أورشليم
(يحملونه ويخرجون به)

الفصل الخامس

المنظر الأول

جولستر شير. البهو فى منزل شالو. وفى الوسط باب كبير يؤدى إلى الخارج، وأبواب أخرى تؤدى إلى الغرف الداخلية من يمين ويسار، يدخل شالو يقود فولستاف ووراءهما باردولف والغلام

شالو : لا بد تسافر الليلة أبدأ، هيه يا دافى.. دافى أين أنت أقول لك؟

٤ فولستاف : لا بد أن تعذرني يا سيد شالو

شالو : لا لن أقبل عذرك، الأعذار لن تقبل، ولن تجدى المحاولات أبدأ،

لن أعذرك أبدأ.. يا دافى أين أنت؟

يقدم دافى من الداخل ويجلس فولستاف ويتحدث مع باردولف

دافى : هأنذا يا سيدى

شالو : دافى.. دافى.. دافى.. دعنى يا دافى.. دعنى. أى نعم بحق العذراء

دعنى. وليم الطاهي، مره أن يأتى إلى هنا. سيرجون لن أقبل عذرك.

دافى : بحق العذراء سأفعل يا سيدى؛ هذه التعليمات لا يمكن تنفيذها؛

وأسألك أخرى يا سيدى هل نزرع حوافى الحقول بالقمح؟

شالو : ازرعوها بالقمح الأحمر^(٤٩) يا دافى ولكن فيما يختص بوليم

الطاهي أليس لدينا حمام صغير؟

دافى : أجل يا سيدى. هاك حساب الحداد يا سيدى ثمنًا لحداوى الخيل

وقواطع المحاريث.

شالو : فلتراجع وتجمع ثم تدفع؛ يا سير جون لن يقبل عذرك

(٤٩) ويسمى أيضًا باللاما الأحمر ويزرع فى جو أغسطس الرطب فى كتسولد.

دافى : سيدى نحن فى حاجة إلى شراء رشاء جديد للدلو؛ ويا سيدى هل فى نيتك أن تخصص شيئاً من مرتب وليم عقاباً على الزكينة التى أضاعها فى سوق هنكلى فى ذلك اليوم؟

شالو : فليلزم بقيمة الخسارة.. نريد بضعة أزواج من الحمام، وزوجين من الدجاج قصير الأجل، وفخذه من الضأن، وبعض أشياء أخرى صغيرة مشهية، ابلغ ذلك إلى وليم الطاهى.

دافى : (جافيا) هل يمضى المحارب ليلته هنا يا سيدى

شالو : أجل يا دافى وسأبالغ فى إكرامه، فصديق فى القصر خير من قرش فى الكيس، احتف برجاله يا دافى وبالغ فى إكرامهم فهم أوغاد مشهورون وألسنتهم تلدغ وتشهر.

٣٦

دافى : لن تلدغنا بأسوأ مما هم ملدوغون، فقد أكلتهم البراغيث يا سيدى لأن ملابسهم الداخلية فى منتهى القذارة.

٤ شالو : هذه نكتة بارعة يا دافى، فهيا أسرع إلى عملك يا دافى.

دافى : أتوسل إليك يا سيدى أن تظاهر وتعين وليم فيزور من ونكوت (٥٠) على كليمنت بركز (٥١) من التل.

شالو : لدى شكايات كثيرة يا دافى ضد هذا الفيزور، فهذا الفيزور وغد مشهور، أقولها عن علم.

٤٦

دافى : أنا أسلم لك يا صاحب السماحة بأنه وغد، ولكن حاشا لله ألا يلقى وغد عوناً وتأييداً فى قضيته تحت تأثير رجاء صديقه. إن الرجل الأمين الشريف يا سيدى يستطيع أن يدافع عن نفسه ولكن الوغد لا يستطيع، وأنا قد خدمت سماحتك بصدق وإخلاص طوال هذه

(٥٠) Visor of Woncor.

(٥١) Clenent parkes.

السنوات الثمان. فإذا أنا لم أستطع مرة أو مرتين كل ثلاثة أشهر أن أحابى وغداً وأعينه على رجل شريف فمالى من وزن فى حسابك يا سيدى.

٥٧

شالو : لا عليك، وأقول لك إنه لن يصيبه مكروه؛ اهتم براحة الضيوف وأسرع بإعداد العشاء.

(يخرج دافى)

٦٢ أين أنت يا سير جون، تعال يا سيدى، اخلعوا نعالكم، وهات يدك يا سيدى باردولف.

باردولف : إنى ليسرنى أن أرى سماحتك

شالو : أشكر من كل قلبى أيها السيد الطيب باردولف،

٦٦ مرحباً بك أيها الغلام الفارع، (إلى الغلام) تعال يا سير جون

فولستاف : سأتبعك أيها السيد الطيب شالو، وأنت يا باردولف عليك بخيولنا

(يخرج باردولف والغلام) لو أنى قطعت قطعاً صغيرة لأمكن أن

أصنع من هذه القطع ثمانية وأربعين من العصى المحلاة برؤوس

نساك ملتحين فى حجم شالو. وأنه من عجب الأشياء أن يلاحظ

الإنسان التطابق الذى بين مسلك السيد ومسلك أتباعه؛ إنهم صورة

طبق الأصل من سيدهم، فهم من كثرة مخالطتهم له واعتمادهم عليه

قد انطبعوا بطابعه ووضعوا على وجوههم سمت القضاء الحمقى؛

وهو من كثرة حديثه معهم تحول إلى خادم فى مظهر القضاة، وكلهم

لطول الصحبة قد تماثلت طباعهم وتشابهت مشاربهم، فهم على

اتفاق بالغريزة كسرب البط البرى. ولو أن لى قضية عند السيد شالو

لأغويت رجاله بادعائى أنهم أقرب الناس إلى سيدهم، أو كان لى

طلب عند رجاله لتملقت السيد شالو على خدمه. ولا جدال فى أن

المرء يتأثر بمن حوله، فالحكمة والجهالة كلتاها معدية للخطاء كما

يعدى المرض سواء بسواء. ولذلك فليحسن الناس تخير أصدقائهم؛

لأستخرجن من قصة هذا الشالو مادة تكفى لحمل الأمير هارى على

الضحك المستمر طيلة المواسم الستة للأزياء، وهى أربعة فصول

٧٥

٨٠

٨٥

بأثنى عشر شهراً، أو المدة التى تستغرقها المحاكم للفصل فى
قضيتين، وسيضحكها هارى بلا توقف أو عطلة. أواه.. إن كذبة
واحدة يؤيدها قسم خفيف، ونكتة تقال بوجه جاد، لكافية أن تدخل
السرور على رجل فتى لم تعرف أطرافه بعد آلام النقرس ولسوف
ترونه يضحك حتى يتغضن وجهه من فرط الضحك كعباءة مبللة لم
يحسن طيها بعد غسلها

٩٠

٩٥

شالو : يا سير جون

فولستاف : إنى قادم يا سيد شالو إنى قادم يا سيد شالو.

(يدخل)

المنظر الثانى

وستمنستر . حجرة فى القصر . يلتقى ورك بقاضى القضاة .

ورك : مرحى يا سيدى كبير القضاة إلى أين أنت ذاهب؟

كبير القضاة : كيف حال الملك؟

ورك : على أحسن حال، لقد انتهى من متاعبه وهمومه كلها.

كبير القضاة : أرجو ألا يكون قد مات

ورك : سلك الطريق الذى كتبته الطبيعة على كل حى،

أما بالنسبة لنا فهو لم يعد فى عداد الأحياء. ٥

كبير القضاة : ليت صاحب الجلالة دعانى لمرافقته

فإن الخدمات التى قدمتها مخلصًا لجلالته فى حياته

تركتنى هدفًا مكشوفًا تصوب غليه سهام الحقد والكراهية.

ورك : هذا حق فالملك الشاب فيما أعتقد لا يحبك.

كبير القضاة ١٠ : أعرف أنه لا يحبني، ولذلك وطدت نفسى

على أن أتقبل بنفس راضية صروف الزمان

التي لن يكون عدوانها على

أبشع مما جرى به خيالى.

(يدخل جون لانكستر وجلوستر وكلارنس ووستمورلند وغيرهم)

ورك : ها هم ذرية هارى الراحل يقدمون وقد أثقلتهم الأحزان إليه.. ليت

لهارى الحى مزاجًا

١٥

ولو كمزاج أسوأ واحد من هؤلاء السادة الثلاثة النبلاء،

إذن لاحتفظ كثرة من النبلاء بمراكزهم،

بدلاً من أن يخفضوا شرacهم ويحنوا رؤوسهم للعصبة الآثمة!

كبير القضاة : أواه يا رباه إنى لأخشى أن ينقلب الحال كله.

٢٠ جون : سعدت صباحاً يا ابن العم ورك، سعدت صباحاً

جلوستر وكلارنس : عمت صباحاً يا ابن العم

(وقفة)

جون : إننا نلتقى كما يلتقى الناس الذين نسوا القدرة على الكلام.

ورك : إننا لم ننس القدرة على الحديث،

ولكنها الأحزان التى ننوء بها هى التى تمسك ألسنتنا عن الكلام
الكثير فظروفنا لا تسمح به.

جون : حسناً فليكن السلام رفيق هذا الذى تركنا محزونين!

رئيس القضاة : بل ليكن السلام رفيقنا نحن، فنحن أحوج ما نكون إليه وإلا زادت
أحزاننا ثقلًا.

جلوستر : أواه يا سيدى الطيب لقد فقدت صديقاً بحق،

وإنى لأقسم أنك لا تتصنع هذا الحزن الذى يبدو على وجهك،
فهو حزن صادق نابع من قلبك.

٣٠ جون : إنك يا سيدى أقلنا أملاً فى عطف الملك

وإن كان أحد منا لا يستطيع أن يقطع بما سيلقاه من عطفه
وإنى لشديد السف لهذا ولوددت أن كان الأمر على خلافه.

كلارنس : إيه إن واجبك الآن يقتضيك أن تتكلم بخير عن سير جون فلسناف؛
وهو الأمر الذى يتنافى مع طبيعتك.

٣٥ كبير القضاة : سادتى الأمراء المحبوبين، إن ما فعلته فعلته لغاية شريفة

وقد اهتديت فيه بروح العدل والإنصاف التى أملاها على ضميرى

ولن ترونى أبداً أرجو وأتوسل

من أجل غفران مذل مهين

وإذا خذلنى الصدق ولم تشفع لى استقامتى،

فسألق بسيدى ومولاي الملك الراحل

لأقول له من الذى ألحقنى به.

٤٠

ورك : هذا هو الأمير قادم.

(يدخل الأمير هنرى^(٥٢) وبلنت)

كبير القضاة : أسعدت صباحاً يا مولاي وحفظ الله جلالتك!

الملك : إن تلك الجلالة الجديدة الفخمة الضخمة

لم تستقر على كتفى فى يسر كما تظنون...

٤٥

أيها الأشقياء، إنكم لتخلطون حزنكم على أبيكم بشيء من الخوف
منى،

ولكننا هنا فى البلاط الإنجليزى لا فى البلاط التركى،

وقد خلف هارى أباه هارى،

ولم يخلف مراد أباه مراداً

ولكن أظهروا الحزن أيها الإخوة الصادقون فإنه وأيم الحق بكم جد
خليق،

٥٠

وتالله إنكم لتبدون آية فى الجلال الملكى فى لباس حدادكم،

وليحملنى هذا على أن أحذو حذوكم جاداً

وأحمل حزنى إلى أعماق قلبى. إذن فاحزنوا أيها الإخوة البررة.

ولكن لا توغلو فيه

٥٥

إلا على أنه قسمة مشتركة بيننا نحمل عبئه متكاتفين.

وكونوا على ثقة أيها الإخوة الصادقون أنى سأكون لكم بحق السماء
أبًا وأخًا أيضًا،

فأولوني محبتكم أحمل عنكم همومكم

بيد أن هذا لا يمنعكم ولا يمنعنى من أن نذرف الدمع حزنًا على
هارى الراحل.

٦٠

وإن يكن هارى قد مات فما هنا هارى حى يعيش بينكم ليبدلكم من
بعد حزنكم سعادة وأمانا وليجزىكم عن كل دمة ذرفتوها ساعة من
هناءة.

جون وإخوته : هذا أملنا فيك يا صاحب الجلالة ولسنا نأمل سواه.

الملك : إنكم جميعًا تحدجوننى بنظرات منكرة واجفة، وأنت يا كبير القضاة
أشدهم فى هذا

لأنك فيما أظن متأكد من أنى لا أحبك.

٦٥ كبير القضاة : إنى متأكد، لو أنى وزنت بميزان الإنصاف،

أن جلالتكم لن تجدوا سببًا يبرر كراهيتكم لى.

الملك : لا سبب!..

كيف يمكن لأمير مثلى له آماله العظيمة فى وراثة العرش أن ينسى
الإساءات والإهانات التى هلتها على رأسى؟

كيف ينسى التعنيف واللوم والخشونة فى المعاملة

وإرسال ولى عهد إنجلترا ووريث عرشها إلى السجن؟

أكان هذا أمرًا هيئًا على النفس سهلا تناسيه؟

أيمكن أن تغمر كل هذه الإساءات فى نهر النسيان فيغسلها جميعًا
وتتنسى؟

كبير القضاة : كنت حينئذ أمثل شخصية أبيك

وأصدر عن إرادته، فقد خلع على سلطانه،

وأنا بنى فى أن أجرى أحكام القانون باسمه،

وفيما أنا مشغول بتحرى مصالح الدولة

حلا لسموك أن تتناسى مكانتى بوصفى نائباً للملك،

وأن تتجاهل جلال القانون وسطوته وأن تسخر من العدالة،

ومن ظل الملك الذى أمثله،

وأن تعتدى على بالضرب وأنا فى مجلس القضاء.

فلما أسأت بذلك إلى أبيك لم أتردد فى استخدام سلطتي،

وأمرت بسجنك فإن يك ما فعلت إجراء غير سديد وما أخاله،

فهل يرضيك الآن وأنت صاحب التاج

أن يكون لك ولد يخرق قوانينك؟

ويلغى أوامرك؟

وينتزع العدالة من مجلس قضائك المهيب؟

ويعترض سير القانون؟ ويثلم سيف الحق

الذى يرعى سلامتك وأمنك؟

بل وأكثر من ذلك أن يمتهن ويحقر ظلك القريب منك ونائبك؟

وأن يسخر من الأحكام التى يصدرها نوابك وباسمك؟ استخر

ضميرك الملكى فى كل هذا، وأقم نفسك مقام أبيك عندئذ، واقض

فى الأمر على أنك صاحبه. أجعل نفسك فى مكان الأب وتخيل

أن لك ولدًا من عقبك،

وأنت سمعت أنه استباح حماك وجدف فى حقك،

ورأيت أنه استهان واستهتر بقوانينك المهيبة،

تصور يا مولاي أن ولدك فعل كل هذا وبالغ فى الزرية بك

وتصور هذا ثم تصورنى بوصفى نائباً عنك

أستخدم سلطانك فى تأنيب ابنك فى رفق ولين،

تدبر موقفى يا مولاي على هذا الضوء وانظر فيه فى هدوء

ثم اقض فى أمرى ما أنت قاض، وقل كلمتك فى شأن كما يقولها

ملك فى سلطانه، قل ماذا فعلت مما يشين مكانى ويحط من رفعة

شأنى ويمس سيادة مليكى وسلطانه

١٠٠

: أنت على حق يا كبير القضاة، وقد أحسنت وزن الأمور

الملك

فاستمر فى مكانك ممسكًا بالميزان والسيف.

وانى لأرجو لك مزيدًا من الحسنات والأمجاد،

وأن تعيش لترى ولدًا من عقبى

يذنب فى حقك ويطيعك كما أطلعتك،

وأن أعيش أنا الآخر لأردد كلمات أبى:

"ما أسعدنى أن يكون بين رجالى رجل مقدم شجاع

يقدم على أن يقيم حد القانون على ابنى،

وما أسعدنى أن يكون لى ابن

يخضع لجلاله على هذا النحو

لحكم القانون". لقد أسلمتنى للسجن،

ومن أجل هذا أسلمك من جديد

سيف العدالة الذى لم يدنس، والذى اعتدت حمله،

وأن أمرك أن تستخدمه

بنفس الشجاعة والعدالة وروح الإنصاف

التي استخدمتها ضدي... وهذا يدى أصفحك بها.

والعهد بيننا أن يكون لشبابى أبًا،

وعهدى لك أن يرجع لسانى الكلمات التى تلقىتها أذنى

وأحنى وأخضع رغباتى

١٠٥

١١٠

١١٥

١٢٠

لتوجيهاتك السديدة التى حنكتها التجارب.

أما أنتم أيها الأمراء فأقول لكم، وأرجو أن تصدقونى جميعاً،

إن نزواتى الجامعة قد وسدتها التراب مع جثمان أبى، وفارقتها منذ مات،

وأنا اليوم أعيش متقمصاً روحه الجادة وشخصيته المتزنة، لأسخر من كل ما يتوقعه العالم.

١٢٥

وأخرس التنبؤات، وأكذب التخرصات،

وأمحو السمعة السيئة التى ألصقت بى وأنقصت من قدرى وكان مردها إلى مظاهر حياتى التى تبدت للناس. ولقد كانت فورة شبابى ودمائى.

١٣٠

تتصب كلها حتى الآن ويا للعار فى مجال الغرور، وتتجه إلى الأمور التافهة الهينة.

أما الآن فقد غيرت مجراها وانحسرت عن طريقها واتجهت إلى البحر

حيث تختلط بجلال المحيط الأعظم،

وتتسم بجلال الملك ووقاره.

والآن لقد حان الوقت لدعوة مجلس البرلمان،

فدعونا نختر أعضاء مجلسنا الخاص من المستشارين ذوى الرأى
الحصيف

١٣٥

لتسير هيئة الحكم فى دولتنا سيراً منسقاً

وتخطو قدماً لتنافس أرقى الحكومات فى العالم،

كى يكون الحرب والسلم أو كلاهما معاً

أموراً نعرفها حق المعرفة،

(مخاطباً كبير القضاة)

وسيكون لك فى هذا كله يا أبى اليد العليا.

١٤٠

وحين ننتهى من التتويج فسأدعو

كما أشرت من قبل كل أهل الرأى فى البلاد

والله أسأل أن يؤيدنى بعونه ليحقق آمالى الطيبة،

حتى لا يكون لأمير أو نبيل يومًا ما تعلقة مقبولة

تدفعه إلى أن يدعو الله أن يقصر من أيام هارى يومًا واحدًا.

١٤٥

(يخرجون)

المنظر الثالث

جلوستر شبر. بستان خلف منزل القاضى شالو. موائد وكراسى تحت خميطة من الشجر،
والوقت ليلة من لىالى الصيف الجميلة. يدخل شالو وفولستاف يتبعهما سيلنس والغلام ودافى
قادمين من البيت فى مشية مترنحة

شلو : أجل لترون بستانى، ننتاول العشاء فى خميطة منه، ولأقدمن لكم فى
العشاء تفاحًا من محصول العام الماضى زرعته بىدى ومعه طبق
من الحلوى وأشياء أخرى من هذا القبيل، مهلا يا ابن العم سيلنس،
(يسنده بيده ليمنعه من السقوط)

وبعد ذلك سآوى إلى الفراش.

٥

فولستاف : أشهد الله أن لك سكنًا عظيمًا وفخمًا ينطق بالغنى

شالو : لا تقل ذلك يا سير جون فالمكان أجرد قاحل لا شىء فيه فكلنا
فقراء يا سير جون وبحق العذراء لا شىء عندنا إلا الهواء، الهواء
الطيب. انشر الخوان يا دافى ومد الطعام يا دافى لقد أحسنت
صنعا يا دافى

١٠

(دافى يضع النبيذ وأطباق الفاكهة على الموائد)

فولستاف : إن هذا الدافى يحسن القيام على خدمتك يا سيدى؛ فهو يعد مائدتك
ويرعى شئون مزارعك وحديقتك ويوفر عليك أشياء كثيرة.

شالو : إنه خادم طيب.. خادم طيب يا سيدى.. خادم طيب جدًا.. يا سير
جون

(يأخذه الفواق)

تا لله لقد أسرفت فى الشراب مع العشاء. إنه خادم طيب؛ هيا
اجلسوا، تفضلوا، تعال يا ابن العم

١٦

(يجلس فولستاف وشالو أمام مائدة)

سيلنس : (مخمورا)

قال هيه هيه يا غلام همنا اليوم طعام ونعيم
فاحمد المولى على عام كريم رخيص اللحم غال فى الحريم
وانظر الفتية تغدو وتقيم تتشد الأنعام واللحن النظيم
فى سرور وابتهاج مستديم

٢٠

فولستاف : هذا قلب من خلى يا سيدى سيلنس، لأشرين

فى الحال نخب صحتك شكرًا لك على هذه الأغنية. ٢٥

شالو : قدم للسيد باردولف بعض النبيذ يا دافى

(يجلس باردولف والغلام على مائدة أخرى)

دافى : اجلس يا سيدى العزيز سأوفيك على الفور، اجلس يا أعز الناس،

اجلس أيها السيد الغلام الطيب، أيها الغلام اجلس، مرحبًا بك، إن
ما ينقصك من اللحم سنعوضه من الشراب، وأرجو أن تغفروا أى
تقصير أو نقص والأعمال بالنيات

(يدخل إلى البيت).

شالو : ابتهج وامرح يا سيدى باردولف. وأنت يا جندى الصغير، اضحك
وامرح

(يغني)

افرح افرح افرح زوجى أفنت مالي
فالنسوة هن النسوة ذات السنة طوال

كلهن فى ذلك سواء صغارهن والطوال

وما أكثر المرح حين تهتز اللحى فى

البهو، مرحبًا بالسكر أيام الصيام

٣٠

فولستاف : ما ظننت السيد سيلنس قط له سابقة عهد بمثل هذا المرح.

سيلنس : من أنا؟ لقد كنت مرحًا مرة أو مرتين قبل ذلك.

(يدخل دافى ويبيده طبق من التفاح الأحمر)

دافى : هذا طبق من التفاح الجاف لكما يا سادة
(يضع الطبق أمام باردولف)

٤٥ شالو : اسمع يا دافى.

دافى : لبيك يا صاحب السماحة، قادم على الفور
(إلى باردولف)

أتريد كأساً من النبيذ يا سيدى؟ (يملاً كأساً)

سيلنس : (يغنى) كأس من نبيذ، صاف ولذيذ،

أشربه فى نخبك، يا فتاتى الحرة..

القلب الفرحان، يجلى الأحزان،

ويفيد الإنسان، وبطيل العمر..

٥٠

فولستاف : أجدت يا سيدى سيلنس

سيلنس : وما دمنا قد اتفقنا على أن نلهو ونمرح فهذا هو الوقت للمرح
والسرور.. فقد حلا الليل وطاب السهر.

٥٥ فولستاف : (يشرب) الصحة والعمر المديد لك يا سيدى سيلنس

سيلنس : (يغنى) هات الكأس واملأ لى. ودرها بيمين وشمال.

ولأشربها حتى الثمالة.

شالو : مرحباً بك يا باردولف الأمين (يشرب نخبه) إذا كنت تريد شيئاً ولا

تتطلبه فأنت الملموم يا سيدى. مرحباً بك أيها الخبيث الصغير (إلى

الغلام) وأهلاً بك. وسهلاً، سأشرب نخب السيد باردولف ونخب كل

الشجعان والفتيان فى لندن.

٦٣

دافى : أرجو أن أرى لندن مرة قبل أن أموت.

باردولف : وأرجو أن ألقاك هناك يا دافى.
شالو : تا لله لنشربن عندئذ نصف زجاجة من نبيذ معا تحية لهذا اللقاء؛
ها! ها! أليس كذلك يا سيد باردولف؟

باردولف ٦٨ : بل زجاجة كاملة يا سيدى.
شالو : أنا شاكر لك والله ولیمسكن بك الوغد ولا يفلتك أبداً.
أؤكد لك أنه لن يتركك أبداً. إنه لن يتظاهر بالسكر
ويقع على الأرض ويهرب منك فهو أصيل.
(يسمع طرق على الباب)

باردولف ٦٢ : وأنا لن أتركه أبداً يا سيدى
شالو : هذا كلام ملوك ألا ينقصك شيء؟ اشرب وامرح يا سيدى (طرق من
جديد) انظر من هذا الذى يطرق الباب، من هناك؟ من الطارق؟
(يدخل دافى، سيلنس يشرب كأساً كبيرة مملوءة إلى الحافة فى
صحة فولستاف)

فولستاف ٧٦ : لقد بالغت فى إكرامى، وسأرد جميلك بنخب مثله.
سيلنس : (يغنى) رد جميلى واشرب كأسك.. واجعل منى فارس طاسك، يا
سمنجو^(٥٣). أليست القصيدة هكذا
كما أرويه؟ ٨٠

فولستاف : أجل هى كذلك
سيلنس : أهى كذلك؟ ز. إذن فقل إن الرجل المسن لا يزال يصلح لشيء
(يعود دافى ووراءه بيستول)

دافى : إن أذنت يا صاحب السماحة، هنا رجل يدعى بيستول جاء من القصر يحمل أنباء.

فولستاف : من القصر؟ دعه يدخل، مرحباً يا بيستول.

بيستول : سيدى سير جون حفظك الله

٨٩ فولستاف : أى ريح طوحت بك إلى هنا يا بيستول؟

بيستول : ليست ريح سوء التى لا توجه الإنسان إلى خير أبداً، يا فارسى العزيز لقد أصبحت الآن أحد عظماء هذه المملكة

سيلنس : بحق العذراء أعتقد أنه أضخم رجل فى المملكة إذا استثنينا فتى يا رسون السيد بف (٥٤).

بيستول : ريح فى حلقك يا أشد الناس جبناً وحقارة!

يا سير جون أنا بيستول رجلك وصديقك،

فقد ركبت إليك بشق الأنفس السهل والوعر

لأسبق بحمل الأنباء الطيبة إليك لقد حملت لك معنى أطيب الأخبار

١٠٠ وبشريات الأيام الذهبية والأنباء السعيدة التى تسترعى الانتباه وتستأهل السماع.

فولستاف : أرجو أن تتفض جعبة أخبارك بأسلوب الرجل العادى فى هذه الدنيا!

بيستول : نبأ لهذه الدنيا وسحفاً للدينويين الحقراء

إننى أتحدث عن أفريقيا مصدر الذهب وعن الأفراح الذهبية.

فولستاف : ويل لك أيها الفارس الأشورى الحقير ما وراءك من أنباء؟

١٠٦ دع الملك كوفيتيا (٥٥) يعلم النبأ اليقين فى هذا الأمر.

- سيلنس : (يغني) "روبن هود وسكارلت وجون"
- بيستول : أتواجه الكلاب القذرة التي تلغ في مزابل الشعراء الذين يستلهمون
الوحي من هليكون؟
- أو تدنس الأنبياء الطيبة على هذا. النحو؟
- إن يكن ذلك فألق بمواهبك يا بيستول في أحضان الشيطان. ١١٠
- شالو : أيها السيد الأمين لم أتشرف بعد بمعرفة من تكون؟
- بيستول : إذن فلتحزن على ما فاتك.
- شالو : أسألك المعذرة يا سيدي.. ويا سيدي إن كنت تحمل أنباء من
القصر فأنت مخير بين أمرين إما أن تلقى بها وإما أن تخفيها، وأنا
أحد رجال الملك وفي مركز له نفوذه ومكانته. ١١٨
- بيستول : من رجال أى ملك أنت؟ انطق أيها. الغر الجهول أو تذوب الموت.
- شالو : من رجال الملك هارى
- بيستول : هارى الرابع أو هارى الخامس؟
- شالو : هارى الرابع
- بيستول : إذن فسلام على مركزك.
- ١٢٢ يا سير جون! إن حملكم الوديع أصبح الآن ملكًا أصبح صاحبك
الملك هارى الخامس، والحق أقول وإن يك بيستول كاذبًا فافعل به
هذا واغمزه بأصبعك كما يفعل الأدعياء من الإسبان
- ١٢٦ فولستاف : أمات الملك العجوز؟

بيستول : مات واستقر فى قبره كما يستقر المسمار فى الباب. إن الذى أقوله لكم حق لا مرية فيه.

فولستاف : أسرع يا باردولف وأسرج حصاني، وأنت يا سيدى روبرت شالو تخير ما شئت من المناصب تكن طوع بنانك، وأما أنت يا بيستول فسأضاعف شحنتك من المفاخر والمكارم.

١٣١

باردولف : يا لليوم السعيد البهيج!
إن رتبة فارس لن تكفينى! بل لا بد من مزيد من المكافأة

: (لدافى) احمل السيد سيلنس إلى فراشه، سيدى شالو، لورد شالو، أو ما شئت من ألقاب السيادة، تمن على فأنا خادم إله الحظ، انتعل حذاءيك فإننا سنركب طول الليل. مرحبًا بك أيها العزيز بيستول (يتعانقان) أسرع بالخروج يا باردولف! (يخرج باردولف) وتعال يا بيستول زدنى من حديثك وفى أثناء ذلك فكر فيما تريد من خير سابق أسبغه عليك فى الحال.. انتعلى حذاءيك.. انتعل حذاءيك يا سيد شالو! فأنا أعرف أن الملك الشاب مشوق لرؤيتى متطلع للقائى. استول على خيول أى إنسان فقوانين إنجلترا كلها رهن بمشيئتي. النعمة والمجد لكل من كانوا أصدقائي، والنعمة والويل لكبير القضاة!

: فلتعصر العقبان الكاسرة رنتيه أيضًا وليحشر فى نور الجحيم!

سيقول الناس فى أسى وحسرة "أين أيام سعدنا الخوالى"؟

أما نحن فالسعد وافانا وبانت الأيام الحلوة أمامنا،

مرحبًا بأيام الهنا والسرور

(يسرعون إلى الداخل وقد حمل دافى والخدم السيد سيلنس)

المنظر الرابع

شارع فى لندن. يدخل القواصون وهم يجرون كويكلى صاحبة الحانة ودول ترشيت.

صاحبة الحانة : (وهى تقاوم للإفلات): لا أيها الوغد الأثيم، تمنيت على الله أن أموت حتى تشنق بسببى، لقد خلعت كتفى ونزعت مفصلى

القواص الأول : لقد أسلمنى إياها رجال الحفظ، وسأكرم وفادتها بكثير من السياط فقد قتل رجل أو رجلان مؤخرًا فى صحبتها أو بسببها

دول : أيها الخطاف إنك تكذب.. تكذب أيها الخطاف (يضربها) ويحك ماذا يكفينى فى سبك ولعنك لو أنك أجهضت الطفل الذى فى بطنى أيها الوغد ذو الوجه الأصفر اللعين؟ كان أحرى بك أن تضرب أمك التى ولدتك أيها الخبيث الناحل الوجه.

١٢

صاحبة الحان : آه يا إلهى! لو أن سير جون عاد لجعل هذا اليوم أسود على رؤوس بعض الناس، ولكنى أدعو الله ألا يصيب مولودها مكروه

القواص الأول : وماذا لو أصابه؟ لو أنه سقط لوضعت اثنتى عشرة وسادة أخرى لتتظاهرى بالحمل بدلا من إحدى عشرة وسادة تضعينها الآن.

ما علينا هيا أمامى، فأنا أتهمكما أنتما الاثنتين بالقتل، فقد مات الرجل الذى اشتركتما مع بيستول فى ضربه.

١٩

هيا اذهبى معى.

دول : بماذا أسبك أيها الرجل المهزول القمىء كصورة المسخ التى تحلى به علب البخور؟ لأتسبين فى جلدك جلدًا مرًا جزاء لك على قحتك أيها الشقى، ذا الرداء الأزرق، يا جلاد البغايا الهلوك القدر، تالله لئن لم تجلد لأهجرن لبس الإزار.

٢٤

القواص الأول : دعك من هذا يا بنت الليل أيتها المذنبة المتجولة الخاطئة دعك من هذا.

صاحبة الحان : يا إلهى كيف تغلب القوة الحق على هذا النحو! ومع ذلك فلا بأس
فإن بعد العسر يسراً.

٣٠ دول : رويدك أيها الشقى رويدك هيا خذنى إلى القاضى.

صاحبة الحان : أجل هيا إلى القاضى أيها الكلب المتعطش إلى الدماء.

دول : أيتها الجمجمة النخرة والعظام العارية.

صاحبة الحان : هيا أيها التافه الناحل، هيا أيها الوغد الهزيل!

القواص الأول : حسن جداً.

(يأخذهما إلى السجن)

المنظر الخامس

مكان عام بالقرب من كنيسة وستمنستر. تجمعات من الناس وحرس مصطفىون على جانبي الطريق. يدخل حاملو الحصر).

حامل الحصير (١) : افرشوا مزيداً من الحصر، مدوا مزيداً من الحصر.

حامل الحصير (٢) : لقد نفخت الأبواق مرتين.

حامل الحصير (٣) : لن يخرجوا من حفلة التتويج قبل الساعة الثانية، فهيا عجلوا.. عجلوا.

(يمرون. صوت الأبواق يرتفع. يصعد الملك وحاشيته في موكب ويدخلون إلى الكنيسة وبعد برهة يقترب فولستاف وشالو وبيستول وباردولف والغلام ويتخذون لهم أمكنة وسط الجموع المحتشدة)

فولستاف : قف هنا إلى جانبي أيها السيد وروبرت شالو؛ وسأجعل الملك يحبك في عطفك وبشاشة، سأطلع إليه في ود ومحبة وهو يمر بنا، وأرجو أن تلاحظ العطف الذي سيغمرني به.

بيستول ٩ : فليبارك الله رثيتك أيها الفارس الطيب

فولستاف : تعال هنا يا بيستول وقف ورائي (إلى شالو) إيه لو،

أن الوقت فيه سعة لتفصيل أزياء رسمية جديدة محلاة بشعار الملك، إذن لصرفت الألف جنيه التي اقترضتها منك في حياكة هذه الحلل، ولكن هذا لا يهم، إن هذا المظهر الأشعث الأغبر سيكون له أحسن الوقع عنده، فسيعلم منه كيف كنت حريصاً ومتعجلاً لرؤيته.

شالو ١٦ : سيكون له هذا الأثر.

فولستاف : سيكشف هذا عن صادق حبي،

- شالو : سيكون كذلك.
- فولستاف : ويكشف عن ولائى وإخلاصى.
- بيستول ٢٠ : أجل ليكون له هذا الأثر وليكشفن عن ولائك
- فولستاف : ويكشف عن حقيقة الأمر كما وقعت، مواصلة للسفر بالليل والنهار؛ وسعى إليه بلا تمهل أو تفكير، وبغير صبر، حتى على تغيير ملابس السفر.
- شالو ٢٤ : هذا خير بالتأكيد.
- فولستاف : ومسارعة إلى مشاهدته بوعناء السفر، متصبباً عرقاً من دار اللهفة للقاءه، صارفاً النظر عن التفكير فى أى شىء آخر، صاحباً ذيل النسيان على كل الشئون الأخرى، كأنما ليس ورائى ما يشغلنى إلا أن أراه.
- بيستول ٢٩ : هذا هو حالك دائماً، ف فيما عدا هذا ليس وراءك من شىء يشغلك^(٥٦) فهو شغلك الشاغل دائماً.
- شالو : هذا هو الواقع. حقاً
- بيستول : سيدى الفارس سأحرق كبذك النبيل كمداً وأثير حفيظتك وغضبك.
- إن حظيتك دول ومحبوبتك التى تحل فى قلبك كما تحل هيلين فى قلب اليونانيين ترقع الآن فى سجن حقير ومحبس عفن ينشر العدوى جرتها إلى هناك يد عتل حقيرة قدرة،
- أيقظ الانتقام من مضجعه الأسود فى نار الحميم، متشاحاً

بجلد الكتو ذى الثعابين،

لأن دول فى السجن، وبيستول لا يقول شيئًا إلا الحق.

٤٠

فولستاف : سأخلصها من محبسها. (يسمع صوت الأبواق وهتاف عال)

بيستول : لقد بدأ البحر يزخر وعلا صوت الأبواق

(يخرج الملك وحاشيته ومعهما كبير القضاة من الكنيسة).

٤٤ فولستاف : حفظ الله جلالك أيها الملك هارى.. أى سيدى ومليكى هال.

بيستول : فلتحرسك عناية السماء وترعاك يا سليل المجد المعظم.

الملك : (جانبا) سيدى كبير القضاة، تحدث إلى هذا الرجل الأحمق.

كبير القضاة : أنت فى كامل وعيك أترى ما تقول؟

فولستاف : (يندفع تاركًا إياه) مليكى، إلهي، جوبيتر إنى أتحدث إليك يا مليكى المحبوب.

٥٠

الملك : لست أعرفك أيها الرجل العجوز، اعكف على صلواتك،

فما أقبح أن يصبح العجائز حمقى ومهرجين

لقد رأيت منذ أمد بعيد فى الحلم رجلا مثل هذا، شديد انتفاخ البطن، متقدمًا فى السن، بذئ اللسان، ولكن ما أن استيقظت حتى احتقرت هذا الحلم ومن الآن فصاعدًا خفف وزنك يا رجل وزد مكانتك. واهجر البطنة واعلم أن القبر متفتح لالتهامك

٥٥

وسع ثلاث مرات مما يتفتح لأى إنسان آخر

وكف عن إجابتي بنكت ساخرة يملئها الطيش والنزق،

ولا تفترض أبدًا أننى الشىء الذى كنته،

٦٠

فالله يعلم والعالم كله سيشهد

إننى عدلت عن مسلكى السابق فى الحياة

وهجرته كما هجرت كل صحبتى السابقة.

فإذا سمعت ولن تسمع أنى عدت سيرتى القديمة

فاقترب منى وستكون منى كما كنت،

المعلم والمهيئ لفرص اللهو والعبث.

والى أن يحدث ذلك فإنى أمر بنفيك كما فعلت بكل الآخرين

الذين أضلوني سواء السبل، والموت جزاؤك إن عصيت أمرى

أو اقتربت منى ولو على مبعدة عشرة أميال.

ولأعينك على العيش سأرتب لك معاشاً يكفيك قوتك،

لعل هذا الكفاف يحملك على الابتعاد عن الآثام

وحينما نسمع أنكم أصلحتم أنفسكم.

سنمنحكم رضانا ونقريكم منا بقدر ما تبرهنون على أنكم أهل
له

(إلى اللورد كبير القضاة)

وخذ على عاتقك يا سيدى

مراعاة تنفيذ أوامرى بدقة..

ولنواصل السير...

(يمر الموكب)

: أيها السيد شالو أنا مدين لك بألف جنيه.

فولستاف

: أجل وحق العذراء يا سير جون، وإنى لأرجوك أن تسمح لى
أن أعود بها على البيت.

شالو

٨٠

: هذا غير مستطاع يا سيد شالو. لا تأس يا سيدى على ما
حدث، فيستدعينى الملك للقاءة سرا، غلا أن مكانته تضطره
إلى أن يبدو أمام أعين العالم على هذا النحو من التزمّت

فولستاف

الشديد يا سيد شالو. ولا تخش بأسًا على ترقيتك إلى منصب رفيع، فسأظل أنا الرجل الذى يجعلك فخماً ضخماً.

٨٥

شالو : لست أتصور كيف أصبح ضخماً، اللهم إلا إذا ألبستنى حلتك، وحشوتنى بالقش، أتوسل إليك يا سير جون الطيب أن تعيد إلى خمسمائة جنيه من الألف التى أعطيتك إياها.

٩١ فولستاف : سيدى سأكون عند كلمتى، وما هذا الذى رأيت ألا تظاهراً وطلاء.

شالو : ولكنه طلاء أخشى أن يصبغك ويخمد أنفاسك يا سير جون.

فولستاف : لا تخشى طالباً ولا عدوا وتعال معى ننتاول العشاء. تعال أيها الملازم بيستول وهيا يا باردولف، لبيعثن فى طلبى هذه الليلة فوراً.

٩٦

(يعود الأمير جون ومعه اللورد كبير القضاة وبعض الضباط).

كبير القضاة : (إلى الضباط) اذهبوا واحملوا سير جون فولستاف على سجن فليت، وخذوا كل صحابه وجماعته معه (يقبضون على فولستاف وجماعته)

فولستاف : سيدى اللورد.. سيدى

١٠٠ كبير القضاة : لا أستطيع الكلام الآن، سأسمعك فى التحقيق حالا، خذوهم من هنا.

بيستول : إن تخلص عنى الحظ فلن يتخلص عنى الأمل (٥٧)
(يقود لهم الضباط إلى الخارج)

الأمير

: لقد سرتنى هذه البداية الطيبة من الملك،

فقد أبدى رغبته فى أن أوفر أسباب العيش الرغد

لكل أتباعه المقربين

ولكنه أمر بإبعادهم جميعاً

١٠٥

حتى يصلحوا من سلوكهم فى هذه الحياة، ويبدو

فى أعين الناس أكثر رزانة وتواضعاً.

كبير القضاة

: وهذا هو ما حدث لهم

الأمير جون

: لقد دعا الملك البرلمان للاجتماع يا سيدى.

١١٠ كبير القضاة

: نعم دعاه.

الأمير جون

: أنا مستعد للرهان على أننا قبل أن ينتهى هذا العام، سنحمل

سيوفنا التى استخدمناها فى حروبنا الأهلية ونزاعنا الداخلى

ونتجه بها إلى فرنسا فقد سمعت طائراً يهتف فى أذنى بهذا

النبأ

وأعتقد أنه استهوى الملك

هيا ألا تذهب من هنا؟

١١٥

(يخرجان)

خاتمة

أبدأ أولاً بذكر مخاوفي ثم أثنى بالتحية وأخيراً أقول كلمتي. فأما مخاوفي فهي من رأيكم فى هذه المسرحية، أما التحية فيقتضيها واجبي، أما الكلام فأستمحىكم المغفرة فيما أقول، فإن كنتم تتوقعون منى الآن خطبة جيدة فقد ظلمتموني، فما يقتضى المقام أن أقوله هو من وضعي وتأليفي؛ وما أنا ملتزم بقوله أخشى أن يبرهن على عجزى. ولكن على أن أؤدى واجبي وأتحمل المغامرة مهما تكن نتائجها. وليكن معلوماً لديكم، وما أشك أنكم تعرفون هذا حق المعرفة، أننى أقف موقفي هذا فى هذه الساعة المتأخرة فى أعقاب المسرحية التى شاهدتموها والتى لا نعرف رأيكم فيها، لأسألكم الصبر عليها وأعدكم إن لم تكن راقتم أن أقدم لكم أخرى خيراً منها. وقد قصدت بهذا حقاً. أن أستمهلكم فى الوفاء حتى تجيء هذه المسرحية، فإن جاءت، لسوء الحظ، كما تجيء سفينة تجارية فيما وراء البحار، جانبها التوفيق فقد أفلست وخسرتم أنتم ديونكم يا دائنى الكرام. فقد وعدتكم ها هنا أنى شديد الرغبة فى الوفاء، ولذلك أضع نفسى تحت رحمتكم، فإن شئتم سامحتموني فى جزء من الدين وقبلتم منى هذه الرواية على علاقتها على أنها قسط أوفيه لكم.. ولكم بعد هذا أن أعدكم بالوفاء وعوداً لا تنتهى كما يفعل معظم المدينين. وتأكيذاً لذلك هأنذا أركع على ركبتي لا ضراعة لكم بل إلى الله أن يحفظ الملكة.

وإذا كان لسانى قد عجز عن التوسل إليكم لتغفروا لى فهل لى أن أستأذنكم فى أن ألجأ إلى ساقى. ومع ذلك فقد يكون هذا الوفاء غير كاف لتحلوني من ديونكم، ولكنى أبذل غاية وسعى وأنا ذو ضمير حى يستنفد كل الوسائل ليحوز الرضا وهو ما أحرص عليه. لقد أرضيت السيدات النبيلات اللاتى هنا فصفحن عنى جميعهن، فإن لم يصفح عنى الرجال النبلاء فمعنى هذا أن الرجال ليسوا على وفاق مع السيدات، وهو ما لم نشهده قط من قبل فى مثل هذا الجمع.

الفهرس

مقدمة.....	٥
أشخاص الرواية.....	١٤
الفصل الأول.....	١٦
الفصل الثاني.....	٤٩
الفصل الثالث.....	٩٤
الفصل الرابع.....	١٣٠
الفصل الخامس.....	١٥٣
الجزء الثاني.....	١٨٨
الفصل الأول.....	١٩١
الفصل الثاني.....	٢٢٢
الفصل الثالث.....	٢٦٤
الفصل الرابع.....	٢٨٦
الفصل الخامس.....	٣٣٢

رقم الإيداع	١٩٩٣/٨٤٨٨
الترقيم الدولي	ISBN 977-02-4224-1

١/٩١/٤٣٥

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)